تحفة العروسين في سعادةِ الزَّوْجينِ

كتابٌ في أصول وآداب المعاشرة الزوجية

لكلِّ شابٍّ وشابَّة

إعداد وتنسيق

محمد أمين الضنّاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

تحفة العروسين

في سعادة الزوجين

كتابٌ في أصول وآداب المعاشرة الزوجية
لكلّ شابٍّ وشابّة

إعداد وتنسيق
محمد أمين الضنّاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الثالثة
٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3388-8
90000
9782745133885

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

الإهداء

إلى ولديَّ الحبيبين أمين وحسن.
وإلى كل شاب وشابة، وكل حريص على حياة سعيدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال رسول الله ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوّج»(١)

لم تكن الصراحة مطلوبة يوماً كما هي اليوم لما يواجه أبناءنا من موجات وتيارات مختلفة، ووسائل إعلام لا عدّ ولا حصر لها، فبات شبابنا اليوم يعرف منذ نعومة أظفاره، ما لم نكن نعرفه نحن وما عرفناه حتى سن متأخرة.

إن الصراحة العلمية المستندة إلى القرآن الكريم وتعاليمه، وعلى السنة النبوية الشريفة شكّلت في هذا الكتاب نوعاً من أنواع المعرفة المتخصصة في مجال الحياة الجنسية الناجحة في ظلّ أسرة مسلمة سعيدة هانئة.

إن هذه الخاتمة تتلخّص في الحض على التمسّك بالفطرة السليمة التي تعتمد على تبادل المشاعر البشرية الراقية بين الزوجين بصورة حضارية شفّافة راقية.

مما لا شك فيه إن تعلّم الحياة بصدق وخبرة عالية ورغبة في التعلّم لا حدود لها.

إن إتقان الحبّ وفنونه من أهم المكتسبات التي يجب على المرء أن يتعلّمه في حياته، سواء كان رجلاً أم امرأة، فالحبّ وفنونه أسلم الطرق لجعل الحياة الزوجية عالماً يتّسم بالسعادة.

من أهم عوامل وأساليب تعلُّم فنّ الحب أن يتعلّم المرء ويعرف عن جسده كلّ صغيرة وكبيرة، فالمتعة عند البشر غريزة وإحساس وليست كما الحيوان غريزة فقط.

لقد استندت في إعداد هذا الكتاب على كتاب «تحفة العروس ونزهة النفوس» لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، فاستندت إلى متن الكتاب

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (الصوم ١٠)، مسلم في الصحيح (النكاح ١)، أبو داود في السنن (النكاح ١)، ابن ماجه في السنن (النكاح ١)، أحمد في المسند (١ : ٣٧٨).

الأصلي، وذيّلت بعض أبوابه بتوضيحات وحواشٍ وألقيت الضوء على بعض القضايا المهمة في هذا الكتاب.

لا أدّعي نسبة الكتاب لنفسي كما فعل بعضهم، لكني اكتفيت بإعداد وتنسيق وتذييل هذا الكتاب الذي ذكرته سابقاً.

ليس لي فضل في هذا العمل المتواضع سوى الترتيب والإعداد والتنسيق. وأرجو أن أكون قد وُفّقت في عملي هذا إلى ما أصبو إليه من تعميم الفائدة لشبابنا وفتياتنا، والله ولي التوفيق.

محمد أمين الضناوي

باب في النساء

ما يُتَّقى من فِتنهنَّ

إن ما يتقى من فتنة النساء وما زينه الله سبحانه في قلوب الرجال منهن، وحكمة الله تعالى أن خلقهن والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم إلى بعض، وكراهة الخلوة مع غير ذوات المحارم، وما يؤثر الرجل أن يفعله إذا رأى امرأة وأعجبته.

قال الله سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٤].

فجعل الله سبحانه النساء في هذه الآية رأس الشهوات بتقديمه إيَّاهنَّ على جميع ما ذكر منها، وذلك لتقدمهنَّ في قلوب الرجال على جميعها.

ويقول ابن كثير في تفسيره[١]: إن في قوله سبحانه وتعالى إشارة لما يزين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملذات من النساء والبنين فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهنَّ أشدّ كما ثبت في الصحيح من قول النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرجال من النساء**»[٢].

أما إذا كانت المرأة فاضلة فهي نعمة ينعم الله بها على الرجل، فتكون له خير متاع ومتعة، والحياة على الأرض إذا خلت من المتعة، كانت جافة قاسية.

قال رسول الله ترغيباً في التزويج والاستكثار من الذرية الصالحة: «**وإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء**»[٣].

---

(١) ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ١١)، مسلم في الصحيح (الذكر والدعاء ب ٢٦ رقم ٩٧ و٩٨)، الترمذي في السنن (٢٧٨٠)، أحمد في المسند (٥: ٢٠٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٤).

وفي النساء يقول رسول الله ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر ماذا تفعلون فاتّقوا الدنيا واتّقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[(١)].

وهو القائل ﷺ في النساء: **«حُبِّب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة»**[(٢)].

لكنه ﷺ يذكر النساء بالخير ليس من باب الحسن والجمال فحسب، بل من حيث صلاحها وطاعتها وإخلاصها، فهو في هذا المجال يقول: **«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة إن نظر إليها سرَّته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسه وماله»**[(٣)].

المودة والرحمة أساس الحياة

كانت عائشة رضي الله عنها تقول: من شهوتنا أن الله سبحانه قدمنا حيث ذكر الشهوات، ثم تتلو هذه الآية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم: ٤٣]، فجعل الله تعالى خلق بعضهم من بعض علّة لسكون بعضهم إلى بعض.

كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾[الأعراف: ١٨٩]، فالإنسان لجنسه أميل وعليه أقبل.

وفي ذكر الشهوات يقول صديق حسن خان[(٤)]: زين للناس حبّ الشهوات. وهذا

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٠٩٨)، الترمذي في السنن (٢١٩١)، ابن ماجه في السنن (٤٠٠٠)، أحمد في المسند (٦: ٣٦٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٣٦٩)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ٣١١)، المنذري في الترغيب والترهيب (٤: ١٨٤)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٩٩)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٦١٦٦)، ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٢١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢)، القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ١٩٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٨٩١٣)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦)، القرطبي في التفسير (٢: ١٤).

(٣) أخرجه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٨٤).

(٤) حُسن الأسوة (١/٤٧).

لما للشهوات من وقع في النفس البشرية، ولقد جاء أن النساء هنَّ رأس الشهوات وذلك لكثرة تشوّق النفس إليهن والاستئناس والالتذاذ بهنّ ومعهنّ.

جاء في الحديث النبوي الشريف: «**إن الله لما خلق آدم وأسكنه جنته بقي في الجنة مستوحشاً، ليس له من يسكن إليه، فألقى الله عزّ وجلّ عليه السِّنَةَ، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر وهي القصير، فخلق منها حوّاء، فاستيقظ، فإذا هي عند رأسه، فسألها: ما أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولِمَ خُلقتِ؟ قالت: لتسكن إليَّ، فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾**[الأعراف: ١٨٩]، وكان من هبوطهما إلى الأرض وانتشار الذرية منهما ما كان»[(١)].

وروى عبد الرحمٰن بن ميسرة رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يتزوج المرأة لا يعرفها ولا تعرفه، فلا تكون إلا ليلة حتى لا يكون شيء أحب إليه منها، وإليها منه.

قال رسول الله ﷺ: «**تلك ألفة الله**»، **وتلا قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾**[الروم: ٢١].

ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات: ١٣].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء: ١].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، أي ليألفها ويسكن بها.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم: ٢١]، فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين المؤمنين، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه.

من هنا نجد أن الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم حضّا الإنسان على الزواج، لكنّ هذا مشروط بالمودة والرحمة لأن عقد الزواج في الإسلام من أشرف العقود على الإطلاق.

---

(١) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (١: ٧٤) بمعناه.

الزواج في الإسلام

جاء الإسلام وعمل على تنظيم حياة العربي وأزال عنها الفوضى، ونظم علاقاته الزوجية، فصار للعائلة حدود معيّنة، ومنح الزوجة حقوقاً لم تكن لتنالها من قبل.

كانت تعاليم الإسلام ترمي إلى تشكيل أسرة قِوامَها السلام، والاستقرار، وتقوية رابطة التضامن بين أفرادها بغية إنشاء مجتمع متماسك قوي قادر على نشر الدعوة وتحمّل أعباء قيام دولة الحق والعدل بين الأمم.

معنى الزواج وحكمه في الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١]

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء: ١]

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٨٩]

يقال للزواج النكاح والعكس صحيح. ذلك بأن المعنى اللغوي للنكاح الضم والجمع. والزواج هو الجمع بين الرجل والمرأة، وضمّ المرأة إلى زوجها وعائلته وقبيلته وعشيرته، وقد وضعت كلمة الزواج لدلالة على اقتران الشيء بالشيء.

ولمّا كان الزواج بمعنى الاقتران سمي العقد الذي يتمّ الاتفاق بين المرأة والرجل به «عقد القران» أي الزواج. ومنها تسمية الزوجة «قرينة».

أما المعنى الشرعي للزاج فهو العقد الذي يفيد استمتاع الرجل بامرأته حلالاً، لم يمنع من عقده عليها أي مانع شرعي. والعكس صحيح أي لا يمنع من استمتاع المرأة بزوجها أي مانع شرعي.

وقد اختلف العلماء في النكاح والزواج فمنهم من اعتبر أن النكاح هو العقد عامة، ومنهم من اعتبره الوطء خاصة.

ويعتبر الإسلام أن عقد الزواج أو النكاح من أشرف العقود، ذلك لأنه يتعلّق بالإنسان نفسه، فهو يربط بين الرجل والمرأة برباط المحبة والرحمة، وهو سبب إنجاب لذرية يأمل المرء منها أن تكون صالحة، وهو صَوْن للفرج عن الرذيلة.

أما حكم الزواج أو النكاح في الشريعة الإسلامية فالأصل فيه أنه من باب الاستحباب، وهو من سنن النبي ﷺ لقوله: **«أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أنا أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منّي»**(١).

وقد يكون الزواج أو النكاح فرضاً، أو واجباً، أو سنة مؤكّدة، أو مباحاً، أو حراماً أو مكروهاً ذلك لما يلي:

فرض

قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ التَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ النِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

قد يكون الزواج فرضاً عند الاشتياق الشديد إليه مع التأكيد من عدم الوقوع في الزنا، بحيث لا يمكن الابتعاد عن هذه الفاحشة إلاّ بالزواج.

واجب

قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**(٢).

---

(١) أخرجه القرطبي في التفسير (٦: ٢٦١). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٣). والسيوطي في جمع الجوامع (١٤٢٥٤). والطبراني في المعجم الكبير (٩: ١١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣). ومسلم في الصحيح (النكاح: ١). والنَّسائي في السنن =

قد يكون الزواج واجباً عند الاشتياق الشديد إليه مع الخوف من الوقوع في الزنا في حال لم يتزوّج.

سنّة مؤكّدة

قال رسول الله ﷺ: «**أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أنا أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منّي**»[1].

قد يكون الزواج سُنة مؤكّدة في حال التوسّط والاعتدال بالنسبة للزوج وهو القدرة على النكاح أو الجماع، والمهر، والنفقة، مع عدم الخوف من الظلم والزنا.

مباح

قد يكون الزواج مباحاً مع الاعتدال وإذا لم يخف شيئاً، أو لم يقصد بهذا الزواج إقامة السنة، بل كان بقصد الشهوة، ومع ذلك ففيه ثواب عدم الوقوع في الزنا.

مكروه

قد يكون الزواج مكروهاً تحريماً عند خوف الضرر أو الظلم للزوجة، وذلك استناداً إلى قول النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإنَّ أَعْوَجَ ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**»[2].

= (٤: ١٦٩). وابن ماجه في السنن (١٨٤٥). وأحمد في المسند (١: ٣٨٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٤: ٢٩٦). والدارمي في السنن (٢: ١٣٢). والطبراني في المعجم الكبير (١٠: ١٤٩). وابن أبي شيبة في المصنّف (٤: ١٢٦). وابن حجر في فتح الباري (٩: ١٠٦). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٨٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٢٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٠٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢).

(١) أخرجه القرطبي في التفسير (٦: ٢٦١). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٣). والسيوطي في جمع الجوامع (١٤٢٥٤). والطبراني في المعجم الكبير (٩: ١١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥: ٢٧٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤٠: ٤٣). وابن كثير في البداية والنهاية (١: ٧٥).

الغاية من الزواج في الإسلام

إن للزواج حكم في الإسلام وغاية. الحكم منه سبق الحديث عنه، أمّا الغاية منه فالزواج أهم سبب للإنجاب الشرعي للأطفال، وبذلك تكثر الذرية المسلمة في دولة الحق والعدل، دولة الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «**تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»[1].

وهناك غاية أخرى وهي صون الفروج عن المحارم والتعفّف عن الرذيلة.

أما تكاثر الذرية فعلى الراغب في الزواج أن يكون هذا الأمر أول قصد له من الاقتران، لأن إنجاب الأولاد الصالحين يحفظون ذكره ويقيمون الصلاة ويؤديون شعائر الله.

هذا هو القصد من الإنجاب، ويعتبر سنة عن رسول الله ﷺ ذلك استناداً إلى قوله: «**تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة**»[2].

أما صون الفرج عن المحارم والتعفّف عن الرذيلة فهو سبب مهم حضّ عليه الإسلام لأن الزنا وسائر الفواحش يعاقب عليها الدين.

ذلك لأن الإنسان إذا كان هدفه قضاء الشهوة فقط فقد يعكف على ممارسة الجماع وليس قصده تحصين نفسه من الزنا وبعدها عن الرذيلة، بل كلّ قصده قضاء شهوته وفي هذه الحال يكون أشبه ما يكون بالدواب التي لا تعقل والتي تتحرك تبعاً لغرائزها.

إذن لا بد من أن يكون للمتزوجين هدف شريف من الزواج، وأن تكون عملية استمتاع أحدهما بالآخر إشباع الشهوة بالحلال لتستغني وتتعفّف عن الزنا والرذيلة وارتكاب الحرام.

فالزواج في رأي الإسلام لا تقتصر ثمرته على شهوة الجنس وإشباع الغريزة، وتلبية الرغبات المادية فحسب، بل وظائف روحية، ونفسية، واجتماعية، وتعاونية، ودينية، لا بدّ من وضعها في الحسبان إلى جانب مطالب الغريزة.

---

(١) أخرجه القاضي عِياض في الشفا (١ : ١٩٠). والعجلوني في كشف الخفا (١ : ٣٨٠). ومناهل الصفا (١٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣: ١٥٨). وسعيد بن منصور في السنن (٤٩٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢ : ٣٧٧).

من هنا لا يجوز الاقتصار عند اختيار الزوجة على اعتبار الجانب الجسدي وحده وإهمال ما عداه، بل لا بد من رعاية الأهداف جميعاً وضمان الوفا لها بما تحتاج.

الزوج كما يريده الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[النساء: ١٩]

عند بلوغ الشاب والشابة تمام البلوغ تبدأ أذهانهم في رسم صورة الشريك الذي يرغب أحدهما في أن يكون زوجاً له يوما ما.

تختلف نظرة الناس إلى تلك الصفات باختلاف التربية والبيئة التي ينشأون فيها. لذا فالإسلام قرر بالنسبة للرجل من التشريعات ما يكفل للزواج النجاح، وما يحفظ للزوجة حقها ويصون كرامتها. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾[البقرة: ٢٢٨]

أما ما يريده الإسلام في الزوج المسلم فهو أن يعمل على احترام إنسانيتها، ويشاركها رغباتها المباحة لها في الحياة، لأن عدم احترام إنسانيتها ومشاركتها رغباتها والتعالي عليها وعدم رعاية مشاعرها ليس من أخلاق الإسلام، بل من أخلاق الجاهلية.

وعلى الزوج أن يكون قادراً على القيام بكامل واجباته تجاه زوجته جنسياً، غير عاجل أو عنِّين، ولها الحقّ في أن ترفضه إن كان عنِّيناً.

وعلى الزوج ألاّ يعتزل نساءه في منزله لأن هذا من أعمال الجاهليين، وألا يعتزلهن إذا كُنّ في فترة الحيض لأن هذا من عمل اليهود لأن اليهود كانوا إذا حاضت نساؤهم أخرجوها من المنزل وأبعدوها ولم يآكلوها أو يشاربوها.

وعلى الزوج أن يكون نظيف المظهر مرتّب الهندام، ليس فقط وقت الوطء، بل يجب عليه أن يبقى كذلك طالماً هو خارج عمله فيما لو كان عمله من الأعمال التي تقتضي لباساً خاصاً، أو من الأعمال التي يتعفّر فيها وجهه ويداه.

إن من الخطأ بمكان أن يعتبر الترتيب والتّطَيُّب واجب فقط عند الجماع، بل إن المرأة بحاجة لتمتِّع نظرها بزوجها كما يمتّع نظره بها.

وعلى الزوج أن يكون محبّاً، صابراً، رحيماً بزوجته عند اقترافها لخطأ ما، رفيقاً لها عند غضبه منها، حنوناً عليها لحظة ضعفها ووهنها.

وأن يكون يسير المعاقبة لها إذا أخطأت، فالزوجة لا تحتاج إلى الحب والعاطفة أكثر من الحنان الحقيقي النابع من أعماق قلب زوجها، لأن شعورها بهذا الحنان يجعلها تتفانى في حبه وتذوب في شخصيته فيكون لها زوجاً وأخاً وأباً وصديقاً.

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً، خِياركم خِياركم لنسائهم (خُلُقاً)**»[1].

على الزوج أن يحفظ أسرار بيته وعلاقته بزوجته، فلا تكون حياته معها وعلاقته الحميمة بها محط إفشاء لكل من هبّ ودبّ، وذلك بقصد الشكوى منها إذا كانت مُتعِبة، أو المفاخرة إذا كانت هنية.

فالرجل ستر على زوجته وهي ستر على زوجها فيستمتع كلّ منهما بالآخر ويُسَرّان بانفعالاتهما النفسية، والعاطفية، والجسدية في خلوتهما. ويغضان الطرْفَ عن هفوات بعضهما ويتركان سجاياهما الطيبة تعبّران عمَّا بهما.

إن ما أراده ويريده الإسلام في الزوج ومن الزوج ليس إلاّ إصلاح هذه المؤسسة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي فنجاحها ينعكس إيجاباً على المجتمع الإسلامي ككل فيتقدّم وينجح، وفشلها ينعكس سلباً على المجتمع الإسلامي فيساهم بشكل أو بآخر في تقهقره وتخلّفه كما هو شأننا اليوم.

ويقول النبي ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[2].

الزوجة كما يريدها الإسلام

عند بلوغ الفتيات تبدأ أذهانهن برسم صورة فارس الأحلام، الفتى الذي يرتدي

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١١٦٢). ابن ماجه في السنن (١٩٧٨). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٧٦). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٩). والبغوي في شرح السنة (١: ٢٢٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٩٧١).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١٠٨٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٢). والبغوي في شرح السنة (٩: ١٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٧٠١).

زيّ الفرسان ويركب الفرس الأبيض الآتي من الحلم، من البعيد ليأخذها على صهوة فرسه إلى دنيا الأحلام إلى السعادة التي تحلم بها، وتتمناها، وتسعى إليها. إلاّ أن نظرة كلّ منهن إلى تلك الصفات رغم الاتفاق على وجود الفارس وانتظاره تختلف بمواصفات ذلك الفارس ومردّ الأمر يعود إلى اختلاف البيئة والتربية.

لذا فالإسلام لَحظ هذا الجانب وأقرّ للزوجة من التشريعات ما يكفل للزواج النجاح، وما يحفظ لزوجها كرامة موفورة وبيت مطمئن.

أما ما يريده الإسلام في الزوجة المسلمة فهو أن تكون مصدر سعادة وفرح لقلب زوجها وقد سئل النبي ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «**التي تُسّره إذا نظر إليها**»[1].

على الزوجة عدم إهمال عاطفتي المحبة والرحمة اللتين وضعهما الله فيها بغية بثّهما في نفوس أبنائها، لأنهما تساعدان الأبناء على التحلي بالخلق الحسن.

ذلك لأن المودة والرحمة اللتين وضعهما الله في المرأة دعامتان أساسيتان يقوم عليهما الزواج السليم الناجح.

على الزوجة ألاّ تكثر من العتب على الزوج ومحاسبته على الكلمة العابرة، أو تتطلّب كثيراً عليه وتقرن تنفيذ مطالبها أو عدمه بإثبات حبه لها.

وعلى الزوجة جعل السرور يدخل إلى قلب زوجها بابتسامتها العذبة، فالسرور النابع من الزوجة من أهم الحوافز التي تحدو بالرجل على مضاعفة سعيه لإسعاد زوجته، وبذل ما بوسعه لإبقائها سعيدة ولا يملّ أو يتعب في سعيه هذا.

على الزوجة أن تكون مطيعة لزوجها لأن هذا اومر من أهم شروط نجاح الحياة الزوجية فالرسول ﷺ يحث على ذلك فيقول: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[2]، ولكن ليس أي رجل، بل الزوج الذي يحفظ كرامة زوجته والزوج الذي أراده ويريده الإسلام، وقد سبق لنا الحديث عنه.

على الزوجات ألاّ يدعن أزواجهن يسخطون عليهن لأن سخط الزوج على زوجته لعدم طاعتها يجعلها ممن لا تقبل لها صلاة، ولا تُقَرّ لها حسنة.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**ثلاث لا تقبل لهم الصلاة، ولا تصعد لهم حسنة:**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١: ٢١٧).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١١٥٩).

العبد الآبق حتى يرجع، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو»[١].

يعتبر الإسلام أن رفض الزوجة دعوة زوجها لها إلى الفراش من أكثر أنواع العصيان، فقد توعد الله ورسوله المرأة العاصية في تلك الحال بأشد الوعيد فيقول رسول الله ﷺ في ذلك: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[٢].

لم يقف الأمر عند العقاب، بل وعد بالثواب للنساء المطيعات لأزواجهن فقال النبي ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[٣].

كل ما سبق وذكرته عن طاعة الزوجة لزوجها لا يحطّ من كرامتها، بل يحفظ فضلها على زوجها، وعدم طاعتها يفقدها هذا الفضل، ويضعها في مكانة لا فضل فيها.

إن الحقيقة التي تغيب عن الكثير من الرجال أن التمرد ليس طبعاً من طباع النساء عامة، بل هو نتيجة لعدم حزم الرجل وحسن تدبيره ومعاملته لزوجته.

ولما كان الرجال يحبون الأنوثة الخاضعة، كانت النساء يحبن الرجولة الآمرة الحانية عليهن دون ظلم وقسوة.

على الزوجة أن تكون أمينة على مال زوجها وعرضه، وألا تعبث بماله ولا تبذّره فبذلك تكون قد انتهكت حرمة البيت الزوجي وقداسة هذا العقد الشريف ألا وهو عقد الزواج الذي كما سبق وذكرنا أنه من أشرف العقود.

فالزوجة بهذا السلوك لاتعتدي على حقوق زوجها فقط، بل تتعداه إلى المجتمع الإسلامي ككّل، لأن الإسلام سعى إلى إنشاء مجتمع متماسك قوي.

على الزوجة أن تحفظ زوجها في غيبته وحضوره، وعدم خيانته لا في ماله، ولا في عرضه، فخيانتها في ماله تهدد العائلة بالدمار، فمن تخون زوجها بماله، هي من

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٣١٣).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٩٢). والبغوي في شرح السنة (٩: ١٥٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٤٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٧٩٢). والشيوطي في الدر المنثور (٢: ١٥٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١: ٢٠٠).

تدّخر مالاً دون علمه إذا كان نزيهاً محافظاً على حقوقها غير بخيل.

أما من تدّخر المال دون علم زوجها بهدف إظهاره عند حاجته الماسة له فليست بخائنة في مال زوجها، بل هي حريصة، شريفة، طاهرة، قِمَّة في الأمانة.

أما التي تخون زوجها خيانة روح أو جسد فتلك أسوأ النساء وأفحشهن، ولهن العقاب والحدّ وبئس المصير إذا لا تستقيم تلك النفس الخبيثة وأشرف العقود ألا وهو الزواج.

إذ كيف لنفس مريضة خائنة مهما كانت أسبابها أن تتلاءم مع حياة من المفترض أن تكون رمزاً للطهارة والشرف والنقاء.

على الزوجة أن تكون نظيفة المظهر من الخارج والداخل، فأكثر ما ينفّر الزوج من زوجته عدم نظافتها على بيتها وعلى نفسها. إذ لا يخفى على أحد أن تركيب أعضاء المرأة الجنسية لها إفرازات، إن لم تحافظ المرأة على نظافتها فقد تبدو عند لقائها الجنسي بزوجها أشبه بجيفة، لذا فقد حضّ الإسلام على النظافة لأنها من أهم عوامل نجاح العلاقة الجنسية بين الزوجين، فنظافة الثوب والجسد من أهم عوامل جذب الرجل نحو زوجته.

ولا ننسى التطيّب بأجمل العطور شرط أن تكون مما يحبّه الزوج ولا ينفر منه، فكثير من النساء يتطيّبن بعطور يحببنها هن فقط دون الاكتراث لما للشريك من رأي بها.

أما رائحة الفم فمن أهم ما يجب أن تحرص الزوجة على إزالته ومعالجته إذا ما كانت ذات رائحة فم، وهذا الأمر يجب أن يسعى إليه الرجل أيضاً لأن رائحة الفم منفّرة للاثنين معاً.

اذ لا نخطئ إذا قلنا إن أكثر ما يهدد العلاقات الجنسية ويحكمها بالفشل إلى حدّ ما هو رائحة الفم الكريهة، وهذا عند الزوجين على حد سواء.

على الزوجة أن تتزيّن لزوجها في بيتها وقد حث النبي ﷺ على ذلك عندما قال لامرأة أهملت زينة يديها: «يد امرأة هذه أم كفّا سبع، اذهبي فغيّري»(١).

أما القرآن الكريم فقد شجع على ذلك وأباح لك كل أنواع الزينة شريطة أن تكون فقط للزوج لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٣٧). وابن كثير في البداية والنهاية (٨: ١٣٥).

﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

إن ما يريده الإسلام وأراده هو الحفاظ على المؤسسة الزوجية التي يعتبرها أصل المجتمع الإسلامي السليم الناجح، وبذلك يقول النبي ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[(١)].

التحذير من النساء

قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ صَبَاحٍ إلاّ وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: سبحانَ الملكِ القدوسِ. وملكانِ يناديانِ: اللّهُمَّ أَعْطِ منفقاً خلَفاً، وممْسكاً تلفاً، وملكانِ موكْلاَنِ بالصُّورِ مَتى يؤمَرانِ فينفُخانِ، وملكانِ ينادِيَانِ: يا باغيَ الخيرِ هَلُمَّ ويا باغيَ الشرِّ أقصِرْ، وملكانِ ينادِيَانِ: ويلٌ للرجَال من النِّسَاءِ، وويلٌ للنِّساءِ مِنَ الرجال»**[(٢)].

وقال ﷺ في بعض خطبه: **«النِّساءُ حَبائلُ الشَّيْطَانِ، والشَّبابُ شعبةٌ من الجنونِ»**[(٣)].

قال سعيد بن المسيب: مَا يئس الشيطانُ من وليٍّ قطُّ إلاّ أتاه من قِبَلِ النِّسَاءِ.

قال أبو عثمان النَّهْدِي: مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته بطريق من طرق المدينة، فسمع جاريةً تهتف بمحمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب في شِعْرٍ غنْت به.

فسألها: أحرَّة هي أم مملوكة. فاشتراها، وبعث بها إليه وقال له: لا فتن الرجالِ كم مات بهن من كريم وعَطِبَ عليهن من سليم.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٩). ومسلم في الصحيح (الرضاع: ٥٣). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٧٩). والألباني في إرواء الغليل (٦: ١٩٤). وسعيد بن منصور في السنن (٥٠٦). وابن حجر في فتح الباري (٩: ١٣٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠٨٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٥٢). والسيوطي في الدر المنثور (١: ٢٥٧). والبغوي في شرح السنة (١: ٢٢٠). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣٨٣). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٥). وابن كثير في البداية والنهاية (١: ٣٧٧).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٣٣١).

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٢٥٧)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ٩٦)، العجلوني في كشف الخفا (٢: ٤٣٦).

قال يونس: صحبتُ الحسن البصري ثلاثين سنة ما سمعته خاض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، إنما كان ذكره الموت حتى أتته امرأة يوماً ناهيك من امرأةٍ شباباً، وجمالاً، وشحماً، ولحماً، يدفع بعضها بعضاً، فجلست بين يديه وقالت: يا شيخ أيحل للرجل أن يتزوج على امرأته وهي شابة جميلةٌ ولودٌ.

قال: «نعم أحل الله أربعاً، قال: فكشفت عن وجهٍ لم يُرَ مثلُه حسناً، وقالت: أَوَعلى مثلي؟ قال: نعم، قالت: سبحان الله بعينيك يا أبا سعيد، لا تُفْتِ الرجالَ بهذا، ثم قامت منصرفة فأتبعها الحسن بصره، ثم قال: «ما ضر أمرءاً كانت هذه عنده ما فاته من دنياه».

وأنشد أبو الفرج في النساء للأسود الخاقاني وقد عاتبته امرأته على هوى له:

وَيْكِ إن الملامَ يُغري الملُومَا ليس جُرمي كما زَعَمْتِ عظيماً
إن أكن عاشقاً فلم آتِ إلا ما أتتهُ الرجالُ قبلي قديماً
إنما يكثرُ التعجُّبُ ممن كان من فتنة النساءِ سَليماً

قال ابن الجوزي في كتاب الأذكياء: مرَّ شاعر بنسوة فأنشد يقول:

إنَّ النساءَ شياطينٌ خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

قال فأجابته واحدة منهن:

إنّ النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شمّ الرياحين

وفي هذا السياق يطالعنا القول المنسوب(١) إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المرأة شرّ وشرّ ما فيها أنّها لا بدّ منها.

ويقول رسول الله ﷺ في النساء: «**ناقصات عقل ودين**»(٢)، ومع أنهنّ ناقصات عقل ودين لكنهنّ أحياناً يحملن الرجال على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك في طلب الدنيا وذلك أشدّ الفساد.

ويقول رسول الله ﷺ: «**إنكم ابتليتم بفتنة الضرّاء فصبرتم وإني أخاف عليكم فتنة السرّاء وهي النساء! إذا تحلّين بالذهب ولبسن رَيط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلّفن الفقير ما لا يطاق**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢: ٦٦)، ومسلم في الصحيح (١: ٦١)، أبو داود في السنن (٤٦٧٩)، ابن ماجه في السنن (٤٠٠٣)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٩: ٢٤٩).

(٢) أخرجه ابن عبد ربه في العقد (٦: ١٠٣).

(٣) كان الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَسْري ليلاً ويتفقد رعيته، وهو كذلك =

باب في العفاف

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣٣]، أمر الله سبحانه بغضّ البصر وحفظ الفرج إلا على الأزواج وهذا صريح واضح في الآية السابقة.

= سمع امرأة تنشد شعراً تتغزّل به بشاب جميل اسمه نصر بن حجاج وتتمنى لو كانت زوجاً له:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

فغضب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: «والله لا أرى رجلاً معي تهتف النساء به في بيوتهن». وفي الصباح أحضره، ولما رأى حسنه وجماله قال: والله لا تساكنّي في بلدة يتمنّاك بها النساء، فخذ من بيت المال ما يصلحك وسر إلى البصرة، وفي بعض الليالي سمع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفتاة تنشد وقد علمت بما حلّ بنصر بسببها:

قل للإمام الذي تخشى بوادره مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقاً أو تبينه إنّ السبيل سبيل الخائف الراجي
ما منية قلتها عرضاً بضائرة والناس من هالك قدماً ومن ناج
إنّ الهوى ذمّ بالتقوى فقيده حتى أقرّ بإلجام وإسراج

فبكى الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لسوء ظنه بالمرأة، وقال: الحمد لله الذي قيّد الهوى بلجام العفاف والتقوى.

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عزّ وجلّ عونهم: المكاتب يريد الأداء، والناكح يبغي العفاف[1]، والمجاهد في سبيل الله»[2].

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله[3]، رجل قلبه معلّق بالمساجد، ورجلان تحاباً في الله، اجتمعا على ذلك وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ربّ العالمين[4]، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[5].

---

(١) أخرجه النَّسائي في السنن (٦: ٦١)، الترمذي في السنن (٥: ٢٩٦)، ابن ماجه في السنن (٢: ١٠٥)، عبد الرزاق في المصنف (٥: ٢٥٩)، أحمد في المسند (٢: ٢٥١)، ابن خزيمة في الصحيح (١٦٥٣)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣٨٨)، البغوي في شرح السُّنَّة (٩: ٧).

(٢) المسلم الشاب المتمسِّك بإسلامه وأحكام آداب الطاعة لله يجعل من نور القرآن نبراساً ومن هدي النبي ﷺ نهجاً ينهجه في كل أمور حياته، فبذلك لا يزيغ ولا ينحرف عن طريق الهداية والاستقامة والصلاح، ولا يماشي الجهلة في جهلهم وطغيانهم ولا سيَّما أن الشباب اليوم محاصر بالكثير من وسائل الفسق والفجور.

(٣) بعض الرجال ينظر إلى المرأة وإلى العلاقة بها على أنها متعة وتسلية، وقضاء شهوة، فلا يتردّد، ذلك لأنه يريد أن ينوِّع، ويعدِّد العلاقات، وما عرف يوماً أن الشيطان يتلاعب به ليفسد عليه حياته وهناءه، وليحرمه السعادة والطمأنينة معاً، فهو لا يريد أن يتزوَّج لأنه يرى طريق الرذيلة ميَّسرة أمامه، وكل هذا بسبب المدنية الحديثة الزائفة، وتحت اسم الحضارة، فهو يهيم كالبهيمة بحثاً عن إشباع شهواتهعن طريق الرذيلة الفاحشة، وهذا مانشهده اليوم من حرية الجنس وحرية التعرّي، وحرية الخروج على الآداب، فلو كان التحضُّر بالعري فالحيوانات أكثر المخلوقات تحضُّراً.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ١٦٨)، مسلم في الصحيح (الزكاة ب ٣ رقم ١٩)، الترمذي في السنن (٢٣٩١)، النَّسائي في السنن (٨: ٢٢٢)، أحمد في المسند (٢: ٤٣٩)، ابن عبد البر في التمهيد (٢: ٢٨٠)، ابن خزيمة في الصحيح (٣٥٨)، البغوي في شرح السنة (٢: ٣٥٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (١: ٢١٧)، ابن حجر في فتح الباري (٢: ١٤٣)، ابن المبارك في الزهد (٤٧٣)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤: ١١٢)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٥)، التبريزي في مشكاة المصابيح(٧٠١)، ابن الجوزي في زاد المسير (١: ٣٢٥)، ابن عبد البر في تجريد التمهيد (٤٨)، الربيع بن حبيب في المسند (١: ١٥)، البيهقي في الأسماء والصفات (٣٧١)، ابن كثير في التفسير (١: ٤٧٧)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٢٩٦)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤٥٢١)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٢٣٩).

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٣٥).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: **«النظرة الأولى لك، والثانية عليك لا لك، والنظر إلى المرأة سهم من سهام إبليس فمن تركه خوفاً لله أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبة»**(١).

قيل إن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يوماً برفقة رسول الله ﷺ فنظر إلى امرأة وأطال فقال له رسول الله ﷺ: **«يا علي لا تُتبع النظرة النظرة فإنّما لك الأولى وليست لك الآخرة»**(٢).

قال رسول الله ﷺ: **«كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: لأن هذا العمل ما عملته، وما حملني عليه إلاّ الحاجة، فقال: تفعلين هذا من مخافة الله؟ إذهبي فلك ما أعطيتك، والله ما أعصيه بعدها أبداً فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك»**(٣).

قالَ رسول الله ﷺ: **«بينَما ثَلاثةُ نفرٍ يمشُونَ إذْ أَخذهُمُ المطرُ فأووْا إِلَى غارٍ في جَبل فانحطَّتْ عليهمْ صَخرةٌ من الجبلِ فأطبقت عَليهِم الغارَ فقالَ بعضُهم: انظُروا أَعْمالاً عملتموها لله صالحة فادْعوه بِها، فقَالَ أَحدُهُم: اللَّهُمَّ إِنَّه كانتْ لِي ابنة عَمٍّ فأَحبَبْتُها كأحبِّ ما يحبُّ الرجالُ النِّساءَ فطلبت إليها نفسَها فأَبت، بمائةِ دينار، فَسعَيتُ حتَّى جَمَعْتُها وأتيتُها بها فلمَّا قَعَدْتُ بين رِجْلَيْها قالت: يا عبدَ الله اتَّقِ الله ولا تفْضُضِ الخَاتَم إلاَّ بحقِّهِ، فقمتُ عنها، فإنْ كُنْت تعلمُ أنِّي فَعلتُ ذلك ابتغاءَ وَجْهكَ فأَفرجُ لنا. قال:**

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٢٧٧٧)، أبو داود في السنن (٢١٤٩)، أحمد في المسند (٥: ٣٥٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٩٠)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٩٤)، البغوي في شرح السنة (٩: ٢٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١١٠)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ١٠٢)، ابن الجوزي في زاد المسير (٦: ٣٢)، ابن كثير في التفسير (٦: ٤٣)، العجلوني في كشف الخفا (٢: ٥٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٢٤٩٦)، أحمد في المسند (٢: ٢٣)، الحاكم في المستدرك (٤: ٢٥٤)، المتقي الهندي في كنز العمّال (١٠٣٤٨)، ابن كثير في البداية والنهاية (١: ٢٦٦).
إن في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش الكثير من مُتع الحياة، والفوز بثواب الله وكرمه، وبترك العفاف يخسر المرء الاستمتاع بحور العين في الجنة. فقد أعد الله سبحانه للعفيف والعفيفة من أجر عظيم ومن خيرات لا تخطر ببال بشر، وثواب عظيم.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٤: ٢١٠)، ابن كثير في البداية والنهاية (٢: ١٣٧)، القرطبي في التفسير (٢: ٢٠٠).

ففرجَ الله من الصخْرةِ فرجة. وقال الآخران مثل ذلك في أعمالٍ عملاها خَالصَةً لله عزَّ وجل ففرَّجَ الله عَنْهُم بقِيَة الصَّخْرَة»[1].

دخل رجل غيضةً له فقال: لو خلوتُ هنا بفلانة لم يرنا أحد، فسمِعَ صوتاً ملأ الغيضة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

وهذا كما قال نابغة بن شيبان أنشده أبو علي في الأمالي فقال[2]:

إن من يركبُ الفواحش سراً ... حين يخلو بِسرِّه غيرُ خالي
كيفَ يخلو وعنده كاتباه ... شاهِدَاهُ وربُّه ذو الجَلالِ

وقال آخر[3]:

إذا ما خلوْتَ الدَهر يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
لهونا عن الأعمال حتّى تتابعت ... علينا ذنوب بعدهن ذنوب[4]

وقال آخر:

خرجت في ليلة مظلمة فإذا أنا بجارية كأنها عَلَمٌ فتعرضت لها، فقالت: أما لك يا هذا زاجر من عقل، إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟ قلت: يا هذه إنه والله لا يرانا إلا الكواكب، فقالت: يا جاهل أين مكوكبها؟

قال حصين بن عبد الرحمٰن عن أبي عطية: أتانا كتاب الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنْ حَلُّوا نساءكم الفضّة ولا تحلُّوهن الذهبَ، وعلّموهن سورة النور»[5].

---

(١) النابغة الشيباني، الديوان، ص ١٤٨، في قصيدة تحت عنوان: «ملك نمته الملوك» في المدح، يمدح فيها يزيد بن عبد الملك، ويصف رحلته، والنوق، ويذكر النساء.

(٢) وجدت هذه الأبيات في ديوان أبي العتاهية ص ٣٤، في قصيدة تحت عنوان «ذنوب على آثار ذنوب»، في الوعظ.

(٣) زيادة على النصّ الوارد في تحفة العروس ونزهة النفوس، محمد بن أحمد التجّاني.

(٤) في هذا الكتاب كان الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يحضّ على تعليم النساء لسورة النور ليحثّهنّ على العفة ولزوم الحياء والتخفّر، لأنهنّ إذا تأمّلن ما فيها من أحكام وإغلاظ العقوبة للزناة ارتعدن وارتد عن الفواحش، وإذا تدبّرن فيها بما أمرت من غضّ البصر، وحفظ الأطراف، وترك التبرّج بالزينة لَزِمن الحياء والتخفّر، ويأتي الكلام على هذا الأثر إن شاء الله تعالى.

(٥) هذا العرض والهدف من الزواج نبّهنا إليه الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وحذرا المؤمن من الانجرار =

باب في الحضّ على النكاح

الزواج في الإسلام عبادة وقربة من الله عزّ وجلّ وسنة عن رسول الله ﷺ، ينال به المؤمن الأجر والثواب، هذا إذا كان خالص النيّة، صادق العزيمة، وكان قصده بالزواج أن يعفّ نفسه عن الحرام، ولم يكن الجنس هو الدافع الأساس للزواج.

إن الإسلام يرقَى بالمتعة الجسدية إلى مرتبة عالية من السموّ، والطهر، ويجعل من الزواج عبادة ومن الشهوة طريقاً إلى نيل رضى الله عزّ وجلّ، شرط أن تكون تلك الشهوة مقرونة بنية صالحة، غرضها الإعفاف وتحقيق الغاية التي خلق الله البشر من أجلها، ألا وهي الإنجاب والتكاثر، والذرية الصالحة التي لا يمكن دونها أن تستمر الحياة ويعمر هذا العالم.

إذ يجب أن يكون للزوجين المؤمنين الصالحين آفاق واسعة من المعرفة والاطلاع كي يتسنّى لهما أن يعيشا حياة سعيدة هانئة في ظلال أسرة مسلمة.

فالله عزّ وجلّ يقول في محكم تنزيله من القرآن الكريم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

فالزواج أمر لازم لكل مسلم قادر يخشى الهلاك، ومن وجد ما يتزوّج به فليفعل خشية الفتنة لقول رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج**[١]»،

= وراء الشيطان ووساوسه، فقد ينفث الشيطان في روع أحدهم أنه لن يقدر على ذلك مع فساد أهل الزمان، وتعقُّد الأمور وقلّة المال، لكن رسول الله ﷺ يحسم أمر هذه المسألة بقوله: «ثلاثة حقّ على الله عزّ وجلّ عونهم: المكاتب يريد الأداء، والناكح يبغي العفاف، والمجاهد في سبيل الله». أخرج هذا الحديث: الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٦٣). بمعناه.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣)، مسلم في الصحيح (النكاح: ١، ٢)، النّسائي في السنن (٤: ١٦٩)، البيهقي في السنن الكبرى (٤: ٢٩٦)، ابن ماجه في السنن (١٨٤٥) أحمد في المسند (١: ٣٨٧)، الدارمي في السنن (٢: ١٣٢)، الطبراني في المعجم الكبير (١٠: ١٤٩)، =

فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لا، فالصوم له وجاء»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

قال سفيان بن عيينة: حدثنا ابن عجلان قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لأعجبُ ممَّنْ يدعُ النكاحَ بعدَ سماعِهِ لهذهِ الآيةِ»[2].

قال أبو بكر بن شبل في كتاب النساء له، من حديث سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن عبيد بن سعد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحبَّ فطرَتي فليستنَّ بسنَّتي، ومن سنَّتِي النكاحُ»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مُوسِراً فلينكحْ فمن لم ينكحْ فليس منَّا»[4].

ومن مراسيل أبي داود عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنكحوا النِّساءَ فإنَّهُنَّ يأتينكُم بالمَالِ»[5].

= ابن أبي شيبة في المصنّف (٤: ١٢٦)، الحميدي في المسند (١١٥)، عبد الرزاق في المصنف (١٠٣٨٠)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٠٦)، البغوي في شرح السنة (٩: ٣)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٠)، الكحّال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ٢١)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٨٠)، ابن الجوزي في زاد المسير (٦: ٣٦)، ابن كثير في التفسير (٦: ٥٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٠٨)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٢٣)، الشجري في الأمالي (٢: ٣٤)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٣٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ٢٤٤).

(١) وفي رواية أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما رأيت كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة وقد وعده الله فيها ما وعده، فقال: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٧٨)، عبد الرزاق في المصنف (١٠٣٧٨)، ابن حجر في المطالب العلية (١٥٨٦)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٣١١)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤١٣)، الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٨)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٧: ٢٥٤٩).

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٣)، السيوطي في الدر المنثور (٥: ٤٥).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٥٠)، النّسائي في السنن (النكاح ب ١١)، ابن ماجه في السنن (١٨٤٦)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٢٢٨)، ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٦١٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩١)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمّال (٤٤٥٦١)، =

وهذا يوصلنا إلى معنى قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

قال رسول الله ﷺ: «تزوَّجُوا الودُودَ الولُودَ فإنِّي مكاثرٌ بكمُ الأممَ يومَ القيامَةِ»[١].

وفي بعض روايات هذا الحديث: «فإني مُباهٍ بِكُمْ»[٢].

إن فيه تنبيهاً على أن فائدة[٣] النكاح كثرة النسل، وحفظ الوجود إذ لا يمكن بقاء العالم إلاّ بالنكاح. والفقهاء يقولون: من فائدته الاطلاع على بعض اللذات الأخروية.

قال الغزالي في الإحياء: «لعمري ما قالوه لصحيح وإن في هذه اللذة التي لا توازنها لذة لو دامت، فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان، إذ الترغيب في لذة

= الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٣٧٧)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٦٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٦)، السيوطي في الدر المنثور (١٢: ٣١١)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦١٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١: ٩١٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٦)، القرطبي في التفسير (٤: ٧٣).

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٥٠)، النَّسائي في السنن (النكاح ب ١١)، ابن ماجه في السنن (١٨٤٦)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٢٢٨)، ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٦١٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩١)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمّال (٤٤٥٦١)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٣٧٧)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٦٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٦)، السيوطي في الدر المنثور (١٢: ٣١١)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦١٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١: ٩١٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٦)، القرطبي في التفسير (٤: ٧٣).

(٢) لكي يسعد الإنسان في زواجه عليه أن لا يستسلم للوهم، فيظنّ أن الزواج سيأتيه بالسعادة التي لا إشكالات فيها، فبهذا يندم إن واجهته بعد ذلك بعض المشاكل العادية، فعليه لأجل ذلك أن يعرف منذ البداية أن الزواج مسؤولية وله ترتيبات، ونُظم، وحسابات، وقد تعتريه بعض المتاعب، فلا يجب عليه أن ييأس، بل عليه أن يواجه ويسعى إلى تفاهم واعٍ لما فيه خيره وخير أسرته، ويكون ذلك بالصبر على أمور التربية ومتاعب النساء.

(٣) قال الإمام النووي في الأذكار ص ١٠١: «يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]، ولو تعذّرت عليه الصلاة استخار بالدعاء... قال «وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له صدره»، لكن هذا لم يثبت ولم يُعتد به من قراءة هاتين السورتين. يقول الحافظ: والمعتمد أنه لا يفعل ما ينشرح له صدره ممّا كان له فيه هوى قويّ قبل الاستخارة.

لا تعرف لا ينفع فلو أرغب العِنِّينُ في الجماع، أو الصبي في لذة الملك لم ينفع الترغيب فيه، فإحدى فوائد هذه اللذة في الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة؛ ليكون ذلك باعثاً على عبادة الله عز وجل».

قال: «فانظروا إلى حكمة الله تعالى، ثم رحمته كيف يجعل شهوة واحدة حياتين: حياة ظاهرة وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله، والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية، فإن في هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام، فتحث على العبادة الموصلة إليها».

ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «إني لأتزوج المرأة وما لي بها حاجة، وأطؤها وما لي فيها من شهوة، قيل: فما يحملك على ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أحبُّ أن يخرج مني من يكاثُر به النبي ﷺ يوم القيامة».

إن عزم أحدكم على الزواج فليستخر[1] الله عزّ وجلّ في ذلك، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمِك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسّره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كنت ثم ارضني به**». قال: «**ويسمّي حاجته**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢: ٧٠)، الترمذي في السنن (٤٠٨)، أبو داود في السنن (١٥٣٨)، النَّسائي في السنن (٦: ٨)، ابن ماجه في السنن (١٣٨٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٣: ٥٢)، المتقي الهندي في كنز العمّال (٢١٥٣٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٢٣)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٢٠٧)، البخاري في الأدب المفرد (٧٠٣)، السيوطي في الدر المنثور (٥: ١٣٥)، ابن كثير في التفسير (٣: ٢٢)، ابن تيمية في الكلم الطيب (١١٥)، البيهقي في الأسماء والصفات (١١٩).

(٢) في بيان فضيلة الزواج قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». أخرجه السيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٨٤).
وقال رسول الله ﷺ: «من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فليتزوّج الحرائر»، أخرجه ابن كثير في التفسير (٦: ١٠)، القرطبي في التفسير (٥: ١٤٧)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣: ١١٥٧). إن الحديثين السابقين يظهران أهمية الزواج وأهمية الحرص في اختيار المرأة التي سيتزوجها المؤمن وبخاصة الأحرار، إذ لا يجب الزواج بالأمة المملوكة إلاّ عند الضرورة القصوى، وكذلك المرأة الفاجرة لا يجب الزواج لأنها وباء وبلاء. =

وتستحب صلاة الاستخارة في الهزيع الأخير لما فيه من صفاء النفس وبُعد المرء عمّا ينغّص عليه صلاته، ويدعو دعاء الاستخارة بعد أن يفرغ من صلاته.

فالزواج في الإسلام واجب، ومن وجهة نظره الشرعية ليس عيباً ولا نقيصة، بل هو سمو وكمال يحقّق به الإنسان أسمى الغايات، من التحصّن من الشيطان، ودفع غوائل الشهوة، وغضّ البصر عن الحرام، والبعد عن الزنا والآثام، وترويح النفس، وإيناسها بالمحادثة والمجالسة، والنظر والملاعبة، فإن النفس ملول، وهي عن الحق نفور، فإذا لم تستمتع بالحلال مالت نحو الحرام، فلهذا كان الزواج ولا يزال فضيلة[1] من فضائل الإسلام.

عن سعد بن هشام أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فقال لها: إني أريد أن أسألكِ عن التبتُّل فما ترَيْن فيه، فقالت: لا تفعل، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] فلا تَبتُّل مع هذا.

التبتل: هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح، فمنه امرأة بتولٌ إذا كانت لا شهوة لها في الرجال. وأصلُ البَتْل: القطعُ.

قال بعض العلماء: أمّا التبتل الذي هو ترك النساء فقد يجوز للإنسان إذا علم أنه الأصلح له في دينه.

أما الاختصاء فلا يجوز لأحد أصلاً، لما في ذلك من إفساد خاصّة الذكوريّة، وتغيير خلق الله تعالى وذهاب حكمته في خلق ذلك العضو، وتركيب الشهوة لعمارة الأرض وذرءِ النسل.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضَلُ هذِهِ

= أمّا نكاح البكر فأكرم وأفضل، من نكاح الثيّب، فقد جاء في الحديث أن جابر بن عبد الله قال: تزوّجت على عهد رسول الله ﷺ فأتيته فقال: «أتزوجت يا جابر؟» فقلت: نعم، يا رسول الله، فقال: «بكراً أم ثيباً؟»، فقلت: بل ثيباً، فقال: «هلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك». أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٥١)، مسلم في الصحيح (الرضاع ٥٤)، الترمذي في السنن (١١٠٠)، ابن ماجه في السنن (١٨٦٠)، أحمد في المسند (٣: ٣٠٨)، الدارمي في السنن (٢: ١٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٥: ٣٥١)، ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٠٥)، البغوي في شرح السنة (٨: ١٥٦)، سعيد بن منصور في السنن (٥١٠)، ابن حجر العسقلاني في تغليق التعليق (٩١٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٥٣).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٦: ١١٨).

الأمَمَ أكثرُهَا نِسَاءً»[1]. المشهور من قول فقهاء الأمصار إن النكاح مستحب على الجملة، وذهب داود إلى وجوبه.

وسبب الخلاف تعارض الظواهر فلذا وَرَدَ قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝٣﴾ [النساء: ٣] الأمر يدل على الوجوب.

ولفقهاء الأمصار عليه أن الله خَيَّر في الآية بين النكاح وملك اليمين والتسري، وغير واجب باتفاق، فلو كان النكاح واجباً ما صح التخيير بينه وبين ملك اليمين، إذْ لا يصح على مذهب أهل الأصول التخيير بين واجب وما ليس بواجب، لأن ذلك مؤدٍ إلى إبطال حقيقة الواجب وأن يكون تاركه غير آثم.

قال: والذي يطلق به في هذا من مذهب مالك: أن النكاح مندوبٌ إليه، وقد يختلف حكمه بحسب اختلاف الأحوال، فيجب تارة في حق من لا يكف عن الزنا إلاَّ به، ويكون مندوباً إليه في حق من لا يكون مشتهياً له، ولا يخشى على نفسه الوقوع في المحرم، ولا ينقطع عن أفعال الخير. ويكون مكروهاً لمن لا يشتهيه وينقطع به عن العبادات والقربات.

قال: وقد يختلف فيمن لا يشتهيه ولا ينقطع به عن فعل الخير، فيقال: يُنْدَبُ إليه للظواهر الواردة في الشرع بالحضِّ على النكاح، وقد يقال: يكون في حقه مباحاً.

قال القاضي عِياض: أما في كل من يرى منه النسل ولا يخشى العنت على نفسه وإن لم تكن إليه شهوة فهو في حقه مندوب، لقوله ﷺ: «فإنِّي مُكَاثِرٌ بكمُ الأُمَمَ»[2]،

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٥٠)، النَّسائي في السنن (النكاح ب ١١)، ابن ماجه في السنن (١٨٤٦)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٢٢٨)، ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٦١٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩١)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمّال (٤٤٥٦١)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٣٧٧)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٦٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٦)، السيوطي في الدر المنثور (١٢: ٣١١)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦١٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١: ٩١٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٦)، القرطبي في التفسير (٤: ٧٣).

(٢) جعل الله الزواج بدافع الغريزة، والشهوة الجنسية لهذا الغرض، ولم يتركه لرغبة الناس، من شاء تزوّج، ومن شاء نفر من الزواج، وإنما ربطه بغريزة الجنس، وجعله من الحاجات الضرورية كالطعام والشراب لتتم الإرادة الأزلية ببقاء البشر، فالمؤمن ينال رضا الله مع اللذة الجسدية، لأنه حقق الغاية =

ولظواهر الحض على النكاح والترغيب فيه، وكذلك من له رغبة في نوعٍ من الاستمتاع بالنساء، وإن كان ممنوعاً من الوطء، لكن النكاح يغض بصره.

وأما في حق من لا ينسل ولا أرب له في النساء جملةً ولا مذهب له في الاستمتاع بشيء منهن[1]، فهذا هو الذي قد يقال في حقه: إنه مباح إذا علمت المرأة بحاله. وقد يقال: إنه مندوب لعموم الأوامر بالتزويج[2].

قال القاضي عِياض في الشفاء: يشير بذلك إلى النبي ﷺ فإن كان ما قاله عِياض صحيحاً فيريد ابن عباس كثرة من اجتمع عنده ﷺ منهن في وقت واحد، فإن نساءه ﷺ كن تسعاً، أو كثرة من أبيح له منهن، فإنه قد كان أبيح له أن يتزوج من النساء ما شاء[3]، لا بد من أحد هذين الاعتبارين، ولا بدَّ على هذا أن يجعل النبي ﷺ داخلاً في لفظة الأمة فيكون الأمة كناية عنه وعن أتباعه وَفَاءً بشرط أفعل في أن لا تضاف إلا لمن هي بعضه.

= التي أُنشئ من أجلها هذا الكون ليعمر بالأجيال الصالحة المؤمنة التي تعبد الخالق عزّ وجلّ.

(١) الزواج في نظر الإسلام عبادة وقربة إلى الله تعالى ينال بها المؤمن الأجر والثواب، فبه يعفُّ المرء نفسه عن الحرام، ويرقى بها عن الشهوة الحيوانية الغرائزية.

(٢) إن من تعدد زوجات رسول الله ﷺ حكم متعدّدة، فهو ﷺ لم يتزوّج بكراً إلاّ عائشة رضي الله عنها، وباقي زوجاته إمّا مطلقات أو أرامل ذلك لأن زواجه كان لغايات نبيلة، ولم يكن بدافع اللذة والشهوة.
من حكم زواجه ﷺ:
١ ـ كثرة الأعوان والأنصار من المصاهرة وعامل الرباط العائلي والقبلي والولاء للإسلام، ذلك كي يقوى على أعدائه.
٢ ـ نيل شرف مصاهرته من قِبل القبائل العربية كي يصبح بينهم وبينه ﷺ نسب لا ينقطع أبداً.
٣ ـ لينفي ما أشاعه عنه المشركون من أنه ساحر أو كاهن.
٤ ـ إكرام بعض النساء الأرامل، على حسن إيمانهن، بعد وفاة أزواجهن.
٥ ـ وجود معجزة في زواجه فقد كان يطوف على نسائه عندما كنّ تسعة في ليلة واحدة.
٦ ـ ليتيسّر عدد من النسوة اللواتي ينقلن بعض الأحكام الشرعية التي لا يطّلع عليها الرجال آنذاك فهن بمثابة معلمات للنساء.
٧ ـ التخفيف من روح العداء عن بعضهم له وللإسلام كزواجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان ألد أعدائه قبل إسلامه، وصفية بنت حييٍّ بن أخطب أشد أعدائه من اليهود.
٨ ـ كانت بعض زيجاته لإثبات أحكام شرعية معينة كزواجه من زينب زوجة ربيبه زيد بن حارثة.
كلّ اللواتي تزوّجهن النبي ﷺ عاملنه بحب وتقدير، فلولا لم تكن أخلاقه من منتهى الرقي والكمال لنفرن منه، أوليس هو من قال فيه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾[القلم: ٤].

(٣) الناحت: الحافر، والنحيتة ما يخرج من تراب البئر. [القاموس المحيط، مادة: نحت].

قال محمد بن كثير: كان الأوزاعي يقول: ليس حب النساء من الدنيا. يريد الأوزاعي ـ والله أعلم ـ من حب النساء المذموم.

وإلا فكيف قال ﷺ: «**حُبِّبَ إليّ مِنْ دنياكُم ثلاثٌ**»[1] فذكرَ مِنْها النِّساءَ. ويقال: إن الشيء قد يكون من الدنيا ويكون حبه من الآخرةِ لإعانته عليها.

ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لَيسَ في النساءِ سَرفٌ ولا في تركهِنَّ عبادَةٌ ولا زُهْدٌ.

قال الزبير بسنده إلى سفيان: كان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربع زوجات وتسع عشرة وليدةً، وكان يقول: إني لمشتاقٌ إلى العروس.

أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنيَا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدُّنيَا المرأةُ الصَّالحةُ**»[2].

ومن مراسيل عطاء بن أبي رباح عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ خيرِ فائدةٍ يُفيدها المرءُ المسلمُ بعدَ الأخِ الصَّالح المرأةَ الصالحةَ، التي إذا نظرَ إليْهَا سَرَّتْهُ، وإذَا أمرَهَا أطاعَتْه، وإذَا غَاب عَنْها حَفظَتْهُ في نفْسِهِ ومَالِهِ**».

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢)، القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٩٤)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٦)، المتقي الهندي في كنز العمّال (١٨٩١٣)، الكحّال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٦)، الذهبي في الطب النبوي (٢٠)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠)، ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٧)، السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢٦١)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦)، القرطبي في التفسير (٢: ١٤)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٤٠٥)، على القاري في الأسرار المرفوعة (١٧٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤)، السيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٧١).

(٢) أخرجه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٨٤).

باب في تخيّر الرجل لنطفته

إن من أهم المشكلات التي تواجه المتزوجين هي الإسراع والتسرّع في اختيار الشريك أو الشريكة، فكم من الرجال والنساء عانى من جرّاء سرعة اختيار كل منهم للشريك.

لهذا فقد حث الإسلام المسلمين على الزواج، لكنه حضّهم على حُسن الاختيار، على أن يكون المختار، سواء كان الرجل أم المرأة من يريد الزواج، من ذوي الأخلاق، والصلاح، والدين، والعفة، ولا يكون الدافع المال، أو الجمال، أو الحسب، والنسب، بل الدين، والأخلاق، فالرجل الذي يعمل بأوامر الإسلام ويجتنب نواهيه ويكون باراً بزوجته، فلا يظلمها إذا كرهها، ويكرمها إذا أحبها ينال رضى الله.

أما المرأة التقية الخلوق التي تحفظ بيت زوجها في غيبته وتصون حرمتهُ، ولا تغفل عن تربية الأبناء وإصلاح شأنهم، وتحفظ مال زوجها وعرضه فهي كما قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

قال رسول الله ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**(١).

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٩)، مسلم في الصحيح (الرضاع: ٥٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٧٩)، الألباني في إرواء الغليل (٦: ١٩٤)، سعيد بن منصور في السنن (٥٠٦)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٣٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠٨٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٥٢)، السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٥٧)، البغوي في شرح السنة (١: ٢٢٠)، الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٨)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣٨٣)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٥)، ابن حجر في المطالب العلية (١٥٧٠)، ابن كثير في التفسير (١: ٣٧٧)، القرطبي في التفسير (٤: ٣٧٠)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣٩)، الدارقطني في السنن (٣: ٣٠٣).

﴿وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

إن الإسلام بأوامره ونواهيه يوحّد بين المسلمين في عاداتهم وتقاليدهم رغم اختلافهم غنى وفقراً.

إن الدين الإسلامي قادر على صهر الأفراد في مجتمع واحد ويكيّفهم بعيداً عن الاختلاف.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه أو خلقه فأنكحوه إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»**.

قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه»**(١) ثلاث مرات.

إن المسلم لا يمتلك سوى القلب السليم الذي به يتقرّب إلى الله ويُخلص له به، وعدم الزواج يشغل القلب السليم عن عبادة الله خالق الأكوان.

مما سلف نستنتج أن تحريم الزواج من مشركة، أو كافرة ليس إلاّ من باب الاستحالة في جمع النقيضين، ولا سيما أنهما على عقيدتين مختلفتين متنافرتين، هذا ولا شك يؤدي إلى النزاع، وهذا النزاع قد يؤثر في عقيدة الأولاد وفسادهم دون ريب.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال رسول الله ﷺ: **«لا تنكحوا المرأة لجمالها فلعل جمالها أن يرديها، ولا تنكحوا المرأة لمالها لعل مالها أن يطغيها، وعليكم بذات الدين»**(٢).

قال الغزالي في الإحياء: وليس أمره ﷺ بمراعاة الدين نهياً عن مراعاة الجمال ولا أمراً بالإضراب عنه، وإنما هو نهيٌ عن مراعاته مجرداً عن الدين، فإن الجمال في

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٠٨٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٢)، عبد الرزاق في المصنف (١٠٣٢٥)، البغوي في شرح السنة (٩. ١٠)، البخاري في التاريخ الكبير (٩: ٢٦)، الدولابي في الكنى والأسماء (١: ٢٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٧٠١).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٠)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٦٠٨).

غالب الأمر يرغب الجاهل في النكاح دون الالتفات إلى الدين ولا نظر إليه فوقع النهي عن هذا، وأمر أن لا يغفل النظر فيه.

قال: وأمر النبي ﷺ لمن يريد التزوج بالنظر إلى المخطوبة[1] يدل على مراعاة الجمال إذِ النظرُ لا يفيد معرفة الدين، وإنما يُعْرَفُ به الجمال أو القبح.

قال عِياض في الإكمال وفي قوله: «**تنكح المرأة لمالها**»[2] دليل على أن للرجل الاستمتاع بمال الزوجة وإلا فكانت كالفقيرة، ولم يكن لهذا الكلام فائدة. قال: وإن كان استمتاعه عن طيب نفس منها فذلك مما لا إشكال في جوازه، وإن امتنعت فله بمقدار ما بذل من الصداق.

قال: وعلى هذا اختلفوا في إجبارها على التجهز بصداقها فألزمها مالك بذلك، ولم يجز لها منه قضاء دين ولا نفقة في غير جهاز إلا الشيء اليسير، ولا تجبر على شيء من ذلك، وهو مالُها تفعل به ما شاءت.

قال المازري: وفي ظاهره حجة لقولنا: إن المرأة، إذا رفع الزوج في صداقها ليسارها، ولأنها تحمل إلى بيته من الجهاز ما جرت عادة أمثالها فجاء الأمر بخلافها أن

---

(١) يجيز الشرع الإسلامي للخاطب الصادق النيّة أن يرى مخطوبته، فإن الرؤية الشرعية سنة من سنن الإسلام، فقد خطب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه امرأة، فقال رسول الله ﷺ: «**أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» أي يوفّق بينكما. أخرجه النّسائي في السنن (٦: ٧٠)، الترمذي في السنن (١٠٨٧)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٦)، أحمد في المسند (٤: ٢٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٧٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٠)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٧)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧: ٣٤٤)، السيوطي في جمع الجوامع (٤٥٦٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٣)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٨١)، وتلخيص الحبير (٣: ١٤٦)، والكاف الشافي في تخريج أحاديث الكشاف (١٣١)، ابن أبي شيبة في المصنف (٣: ٣٥٥)، ابن الجارود في المنتقى (٦٧٥)، سعيد بن منصور في السنن (٥١٦).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٨٢)، أحمد في المسند (٣: ٣٣٤)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٥)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٠٦)، الزيلعي في نصب الراية (٤: ٢٤١)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٤٧)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٩)، وفي فتح الباري (٩: ١٨)، الألباني في إرواء الغليل (٦: ٢٠٠)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٢٧). ظاهر الحديث أنه يجوز للخاطب النظر إلى من يرغب خطبتها سواء كان ذلك بإذنها أم لا، ولا يعتبر هذا تلصصاً على الأعراض، وإنّما العزم على الزواج يعتبر مبرّراً إن أراد أن يعرف قوامها، ومشيتها، وشكلها، وعلى من تتردّد من جيرانها، فإذا رآها على الشكل الذي يعجبه تزوّج بها، وهذا مطلب شرعي لا غبار عليه.

للزوج مقالاً في ذلك. وأنه يُحَطُّ عنه من الصداق الزيادة التي زادها لأجل الجهاز على الأصح عندنا إذا كان القصد من الجهاز في حكم التتبع لقصد استباحة البضع.

وقوله لحسبها قال البزوي: احتاج أهل العلم لمعرفة الحسب لأنه مما يعتبر في مهر المرأة، فقال شمر: الحسب هو الفِعَالُ الحسنة للرجل ولآبائه مأخوذ من الحساب كأنهم يحسبون مناقبهم ويعدونها عند المفاخرة.

فالحسْب بالسكون العَدُّ، والحسَب بالتحريك الشيء المعدود على القياس في مثل هذا.

قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: «**التي تسُرُّهُ إذا نظَر، وتُطيعُهُ إذَا أمَر، ولا تخالِفُهُ في نفْسِهَا ومالِهَا بما يكرَهُ**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**إياكُم وخضْراءَ الدِّمَنِ**»[2] خضراء الدمن المرأة الحسناء التي لا أصل لها، تشبيهاً لما ينبت في الدِّمنة وهي السباطةُ، فهو يكون غضاً ناضراً لا يثبتُ ولا ينتفع به، وإذا أكلته الماشية في حال خضرتها أصابها منها وجعٌ في بطونها.

إن في الزواج منافع كثيرة للمرء أهمها: الإعفاف والبعد عن الرذيلة، وحصول النسل الذي يكثر به عدد الأمّة الإسلامية فتقوى به الدولة والجماعة، وحصول التعاون بين عنصري المجتمع والأسرة المسلمة ألا وهما الرجل والمرأة على شؤون العيش ومتابعة العمل والحياة بكرامة موفورة. إذ ليس المقصود بالزواج قضاء الشهوة، بل إن الأمر أرقى في ذلك بكثير مع أهمية الشهوة فعلاقة المودّة والرحمة وتآلف القلوب أهم دعائم بناء البيت والأسرة السعيدة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها، وعليكم بذوات الأعراق فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها.

قال الجاحظ في البيان والتبيين: لما قدم ابن الزبير بفتح أفريقية أمره عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً، فلما فرغ ابن الزبير من كلامه قال عثمان رضي الله عنه: أيها الناس أنكحوا النساء على آبائهن وإخوانهن فإني لم أر في ولد أبي بكر الصديق أشبه منه بهذا.

قال الأصمعي: حدثني أبو عمر بن العلاء قال: قال رجل: إني لا أتزوَّجُ امرأةً

---

(١) أخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢١)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (٣٣٨).

(٢) أخرجه النَّسائي في السنن (٦: ٦٨)، أحمد في المسند (٢: ٤٣٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٢)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٧٢).

حتى أنظر إلى ولدي منها، قيل: وكيف ذلك؟ قال: انظر إلى أخيها وأبيها فإنها تجيءُ بواحد منهما.

قال قاسم بن ثابتة، وقال أكثم بن صيفي: يا بني لا يغلبنّكم جمال النساء على صراحة الحسب، فإن المناكح الكريمة مَدْرَجَةٌ للشرف.

إن الله سبحانه قد أوجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى والتناصح في الله، والتواصي بالحقّ والصبر عليه ورتب على ذلك خيري الدنيا والآخرة وصلاح الفرد والمجتمع.

لكي يكون الزواج ناجحاً ومستمراً لا بد من أن يكون شعور أحد الزوجين جزء من الآخر، وأن يسعى كلا الطرفين إلى إرضاء الآخر، ويرغب في مساعدته، وإن حدث اختلاف[1] في الرأي فهو للبناء لا للهدم.

وقال بكير الأسدي:

وأول خبث الماء خبثُ ترابه ... وأول لؤم المرء لؤم المناكح

قال أبو علي في الأمالي: قال مروان بن زنباع العبسي، وهو مروان القَرَظِ: يا بني عبس، احفظوا عني ثلاثاً[2]: إنه لم ينقل أحدٌ إليكم حديثاً إلا نقل مثله عنكم، وإياكم والتزويج في بيوتات السوء فإن له يوماً ناجِماً[3]، واستكثروا من الصديق ما قدرتم، واستقلوا من العدو فإن استكثاره ممكن.

قال ابن الدمينة في معنى ما تقدم من ذلك:

إذا كنت تبغي أيماً بجهالة ... من الناس فانظر من أبوها وخالها

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٨)، السيوطي في جمع الجوامع (٩٣٢٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٨٧)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٤٥)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٢)، الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ٢٢)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٧)، السيوطي في الدر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٥٦)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (١٣٨)، الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٣٠)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٩)، الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤).

(٢) قال المفكر الهندي الذي استطاع فرض السلام بلا عنف في بلاده: لو كان كلّ اختلاف في الرأي بمعنى الخلاف، لكنت أنا وزوجتي ألد الأعداء.

(٣) كان الرجل من مسلمي السلف إذا بلغ أولاده سن الزواج، وتهيّأت لهم القدرة على ذلك، حدّثهم في ذلك، وعاونهم ورغبهم فيه، والتمس لهم صاحبات الدين من البيوت المطهّرة والمحافظة، لأن في ذلك تطهير للحياة الزوجية.

فإنهما منها كما هي منهما كقدك نعلاً إن أريد مثالها
ولا تطلب البيت الدنيء فعاله ولا يدع ذا عقل لورهاء مالُها[1]
فإن الذي يرجو من المال عندها سيأتي عليه شومها[2] وخبالها[3]

الأيم المرأة التي لا زوج لها كبيرة كانت أم صغيرة بكراً كانت أو ثيباً.

وفي حديث طويل ذكره أبو الفرج في الأغاني[4]: أن عروة بن الورد خرج متصعلكاً فدنا من منازل هُذيلٍ ليلاً وأوقد ناراً، ثم دفنها على مقدار ثلاثة أذرع، وصعد سَرْحَةً[5]، ووصل الحيَّ بعد وَهَنٍ قال: فوقف رجل منهم على فرس له على موضع النار، وقال: أقسم بالله لقد رأيت على البعد ناراً أوقدت ههنا، فنزل رجل فاحتفر قدر ذراع فلم يجد شيئاً، فأقبل الحيُّ على الرجل يؤنبونه، ويقولون له: كذبت عينك، ثم انصرفوا.

قال عروة فتبعت الرجل فدخل إلى بيت من بيوت الحي، فدخلت وراءه واختبأت في كسر البيت، وخرج الرجل لبعض مآربه فخالفه إلى امرأته رجلٌ، وأنا أنظر فقدمت له لبناً فشرب منه، ثم شربت بعده، وانصرف ووصل الرجل فعرضت عليه بقية اللبن، فلما ذهب ليكرع فيه قال: أقسم بالله لقد شممت في هذا اللبن ريح رجل، فقالت له: وأي رجل يدخل بيتك، وجعلت تؤنبه وتعذله إلى أن قرّ وسكن، وآوى إلى فراشه قال عروة فقمت إلى الفرس فضرب برجله ونفح فثار الرجل من نومه، وقال: ما كنت لتكذبيني فمالك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعذلاً، فعاد الرجل، قال عروة: فاعْرَوْرَيتُ[6] الفرس وسرت به ركضاً فلحقني الرجل على فرس له أنثى، وسمعته يقول في أثناء ركضه: الحقي فإنك من نسله، فلما انقطع عن البيوت قلت: أيها الرجل إنك لو عرفتني لم تقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني عنه، وأنا أرد إليك فرسك. قال: وما ذاك؟ قال: جئتَ مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نار كنتُ أوقدتها فثنوْك عن ذلك فانثنيت، ثم شممت ريح رجل في إنائك

---

(١) الورهاء: الحمقاء. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: وره].
(٢) الشوم: العار. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: شوم].
(٣) الخبال: الفساد. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: خبل].
(٤) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ج ٢ ص ١٨٨ .
(٥) سرحة: أتان أدركت ولم تحمل. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: سرح].
(٦) اعرورى: أتى، وهنا بمعنى أتيت الفرس بغية سرقتها. [المنجد في اللغة والأعلام، مادة: عري].

وصدقت في ذلك، وقد رأيت الرجل وبينه وبين زوجتك ما لا تحب فثنتك عن ذلك فانثنيت، ثم خرجت إلي فرسك فتحرك فقمت إليه ثم ثنتك زوجك فانثنيت، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس، ولكنك تنثني وترجع، فضحك وقال:

أما ما رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي وهم من هُذَيْل، وأما ما رأيت من لكاعتي فمن قبل أخوالي وهم بطن من خُزاعة، والعرق دساس[1]، ولولا ذلك لم يقوَ على مُناوَأتي أحد من العرب.

قال عروة: فقلت له: خذ فرسك راشداً، فقال: ما كنت لآخذه منك فإن عندي من نسله جماعة خيراً منه فخذه مباركاً لك فيه.

وقال الشاعر:

لا تشتمن امرءاً من أن يكون له ... أم من الروم أو سوداء عجفاء
فإنما أمهات القوم أوعية ... مستودعات وللإنجاب آباء
ورب مَعْرِبَةٍ ليست بمنجبة ... وربما أنجبت للفحل عجماء

قال الجاحظ في البيان والتبيين: قال عثمان بن أبي العاص لبنيه: يا بني إن الناكح مُغْتَرِسٌ فلينظر امرؤٌ حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلّ ما ينجب، وإني قد اتخذتكم في أمهاتكم. قال الراوي: فسمع ابن عباس هذا الكلام فأمر بكتبه.

قال الزبير في الموفقيات[2] بسنده عن قدامة بن إبراهيم الجمحي: حضرتُ رجلاً من ربيعة الوفاةُ، فقال لابنه: يا بني إذا حَزَبَكَ أمرٌ فاحكك ركبتيك بركبة من هو أسنُّ منك، ثم استشره، قال: فمات أبي فأردت التزوج فجئت شيخاً من قومه فجلست في ناديه، فلما قام الجمع من عنده، قال: ألك حاجة يا ابن أخي؟ قلت: نعم، يا عم إني أريد التزوج. قال: أطويلة النسب أم قصيرة فوالله ما احترت ولا آذيت، فقال: إني أعرف في العين إذا عرفت، وأعرف في العين إذا أنكرت، وأعرف في العين إذا لم تعرف ولم تنكر.

فأما إذا عرفت فإنها تخاوضُ للمعرفة، وأما إذا أنكرت فإنها تجحظ للنكرة، وأما

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «العرق دسّاس». أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٨)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤: ٣٠)، العجلوني في كشف الخفا (٢: ٧٧)، ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ١٢٣).

(٢) الموفقيّات للزبير بن بكّار وفيه مجموعة من الأخبار والنوادر والتاريخ ألفه للموفق ابن المتوكّل، وكان يؤدبه في صغره.

إذا لم تعرف ولم تنكر فإنها تسجو سجواً. يا ابن أخي إياك أن تتزوج إلى قوم أهل دناءة أصابوا من الدنيا بعد عُسْرةٍ فتشركهم في دناءتهم ويستأثرون عليك بدنياهم[١]. فقمت وقد اكتفيتُ.

قال ابن الكردبوس في تاريخه: جمع أبو جعفر المنصور يوماً أولاده فذمهم ووبخهم لتبذلهم وانهماكهم فقال له أحدهم: لُمْ نفسَكَ يا أمير المؤمنين في هذا إذ لم تتخير أمهاتنا كما تخير لك أبوك سيدةً من عقائل العرب[٢]، فعمدت إلى قيان العرب وفواسقه فجعلت أرحامهن أوعيةً لنطفك، فاستحسن كلامه وأعجبه.

قال ابن سعيد في كنوز المطالب: كان علي بن موسى الرضي أسود اللون فسبق غلمانه يوماً إلى الحمَّام، واضطجع للراحة فيه فحركه أحد العامة، وقال: قم أيها العبد فناولني كذا فقام وناوله ما طلب، وعلى أثر ذلك دخل غلمانه الحمام فارتج الحمام له، فدهش الرجل، فقال له علي بن موسى: لا ذنب لك أيها الرجل إنما الذنب لمن وضعني في أَمَةٍ سوداء.

وذكر ابن سعيد في موضع آخر من الكتاب المذكور: أن عليًا قال له في هذه القضية: ليس لي ذنب، ولا ذنب لمن قال لي يا عبد أو يا أسود، إنما الذنب لمن ألبسني ظلمة وهو شيء لا يحمد.

قال أبو داود عن معقل بن يسار: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أصبْتُ إمرأةً ذاتَ حَسَبٍ ونسَبٍ وجمال، وإنهَا لا تلِدُ أَفأتزوجها[٣]؟ قالَ: لا. ثم أتاهُ الثانيةَ

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «أطلبوا المعروف من رحماء أمتي». أخرجه الحاكم في المستدرك (٤: ٣٢١)، العجلوني في كشف الخفا (١: ١٥٦)، الشوكاني في الفوائد المجموعة (٦٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ١٧٣)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢: ٤١)، والدر المنثور (٣: ٢٥٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٠٧).

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أطلب الخير من بطون جاعت بعد شبع لأن الخير فيها باق، ولا تطلب الخير من بطون شبعت بعد جوع لأن الشحّ فيها باق.

(٢) هذا ما ذكره ابن الكردبوس في كتابه، لكن أم المنصور ليست من العرب، إنما هي من مولَّدات البصرة.

(٣) إن الإسلام جعل الزواج يقرر نصف مصير المسلم، لذا فهو يدعوه للاهتمام باختياره لزوجه، وللبحث بغاية الدقة وللاستخارة، كلّ هذا من باب الحرص على المجتمع المسلم والأسرة المسلمة يقول رسول الله ﷺ: «إذا تزوّج العبد فقد استكمل نصف دينه». أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٢)، العجلوني في كشف الخفا (٢٤٨٨).

فنهاهُ، ثم أتاهُ الثالثةَ فنهاهُ وقال: **«تزَوَّجُوا الودودَ الولودَ فإني مكاثرٌ بكم»**(١).

قال رسول الله ﷺ في هذا الموضوع: **«سَوداءُ ولودٌ خيرٌ من حَسْناءَ عقيمٍ»**(٢).

قال رسول الله ﷺ: **«أنكِحُوا وإيَّاكم العجزَ والعقرَ»**.

جاء زيد بن حارثة إلى: النبي ﷺ فقال له: **«أتزوجتَ يا زيدُ؟»** قال: لاَ، قالَ: **«تزوَّجْ تَستعْفِفْ، ولا تتزوجْ خَمْساً: لا تتزوجْ شَهبرةً ولا لَهبرةً ولا نهبرةً ولا هيدرةً ولا لفوتاً»**.

قال زيد: والله يا رسول الله ﷺ ما أعرف مما قلت شيئاً، قال: **«أما الشهبرة فالزرقاء البذيئة، وأمَّا اللهبرة فالطويلة الهزيلة، وأما النهبرة فالعجوز المدبرة، وأما الهيدرة فالقصيرة القبيحة، وأما اللفوتُ فذات الولد من غيرك»**.

وقال بعض العرب لولده: يا بني إياك والرقوب الغضوب القطوب. فالرقوب هي التي ترقب موت زوجها لترثه. والغضوب القطوب معلوم.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تتزوَّج أنَّانة ولا منَّانة ولا حنَّانة. **فالأنانة**: التي مات زوجها وتزوجت بعده فهي إذا رأت الثاني أنَّت لمفارقة الأول وترحمت عليه. **والمنانة**: التي لها مال واسع فهي تمن به على زوجها. **والحنانة**: التي لها ولد من زوج سابق فهي تحن إليه.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٥٠)، النَّسائي في السنن (النكاح ب ١١)، ابن ماجه في السنن (١٨٤٦)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٢)، وفي موارد الظمآن (١٢٢٨)، ابن حجر في تلخيص الحبير (١١٦١٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩١)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٨٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٦١)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٣٧٧)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٦٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٦)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٣١١)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣٦١٦)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٢: ٩١٤)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٦)، القرطبي في التفسير (٤: ٧٣).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٥٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٤١٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٩٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٢٧)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤: ٢٩٣)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٢٧)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ١٤٤)، ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٤٨٨)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (٢١٨)، العقيلي في الضعفاء (٣: ٢٥٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٥٥٥).

وعلى ذكره الأنانة[1] كانت عند لقيط بن زرارة القدوري بنت قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين، وكان يحبها وتحبه فمات عنها فخلف عليها عمرو بن جون الكندي، وكان يسمعها تكثر من ذكر لقيط، وتظهر الجزعَ عليه وتصف محاسنه، فقال لها: ويلك والله ما لقيط إلاّ كبعض عبيدي، فصفي لي بعض ما أعجبك من محاسنه، قالت: نعم، تطيبت يوماً وقد ظعن الحيُّ في يومِ ذي زَهَرٍ، وظل وكنت نائمةً فكره أن يوقظني فقعد ينتظر انتباهي ومعه فضْلة من شراب، فجعل يشرب منها حتى استيقظت فحملني وركب فرسه فعرضت لنا عانة فحمل عليها فَصَرَعَ منها حماراً، ثم رجع إليّ ومنه ريح المسك، وريح الشراب وريح الطلاء والزهَرَ؟ فتدليت إليه فضمني ضَمةً وشمني شَمةً فليتني مت ثَمّةَ.

قال فتطيب عمرو وتناول من شراب وخرج فتصيَّد، ثم عاد إليها فضمها إلى نفسه، وقال لها: ما أنا من لقيط؟ فقالت: مرعيٌ ولا كالسَّعدان، وماء ولا كصداءٍ، فطلقها فرجعت إلى قومها وقالت: ابنوا عليَّ قبة الأَيْمَةِ فوالله لا جمعني الله مع رجل بعد لقيطٍ أبداً.

وكانت عائشة بنت طلحة مغائظة لأزواجها، وكانت كثيراً ما تصف مصعب بن الزبير لعمرو بن عبيد الله بن معمر، وكانت عند مصعب قبله، وتذكر جماله وكرمه وحسن خلقه، ويكاد يموت غماً.

قال المدائني: دخل عمرو بن عبيد الله على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ فقال لها: انفضي الغبار عني، فأخذت مِنْديلاً وجعلت تنفض التراب به عنه، ثم قالت له: ما رأيت الغبار على وجه أحدٍ قط كان أحسن منه على وجه مصعب، لعهدي به يوماً وقد دخل عليّ وكان قد فتح فتحاً عظيماً وهو في الحديد، وكان بيني وبينه وحشةٌ فخرجت فهنأته والغبار على وجهه، فقال: إني لأشفِقُ عليك من رائحة الحديد، وأقبلت تصفه وعمرو يَتَقِدُ غيظاً، وكان يموت حيرة وغيرة.

---

(١) لا عجب أن تكون أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما من أحبّ نساء رسول الله ﷺ، ذلك أنها الوحيدة من نساء رسول الله ﷺ التي تزوجها وهي عذراء بينما باقي زوجاته كنّ إمّا مطلّقات أو أرامل.
هذا يجعلنا نؤكّد على أنه ينبغي أن يكون للزوجين المؤمنين آفاق فكر واسعة، ولعل مثل تلك التصرفات، وهي تصرفات الأنانة ما يوغر صدر الزوج على زوجته دون إرادة منه ولا قصد في ذلك. فمن تزوّج بثيّب يجب أن يراعي هذه القضية أو ليعدل عن ذلك مطلقاً.

قال أبو الفرج في الأغاني: لما تزوج الحجاج هنداً بنت أسماء بن خارجة وكانت قبله عند عبيد الله بن زياد حملها معه إلى البصرة، وبنى هناك القصر المنسوب إليه، فلما كمل بناؤه قال لها: هل رأيت مثله؟ قالت: إنه لحسن. قال: لتصدقيني. قالت: أما إن أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر وفيه عبيد الله بن زياد بناه بطين أحمر، فغضب الحجاج غضباً شديداً وطلقها بسبب ذلك، ثم بعث إلى القصر الأحمر فهدمه وبناه بنياناً آخر، ثم هدم بعد ذلك وأدخل في جامع البصرة.

قال بعضهم: سَألتُ ناساً من أهل اليمن: إلى من أنكح؟ فقالوا: اتق الدقة المتوارثة وأنكح إلى من شئت. قلت: وما الدقة المتوارثة؟ قالوا: أخلاق سيئة يرثها آخر عن أول[1].

قال الغزالي في كتاب الإحياء قال رسول الله ﷺ: **«لا تُنكحُوا القرابةَ القريبةَ فإنَّ الولدَ يُخْلَقُ ضَاوِياً»**[2].

وقال عمر: يا بني السائب إنكم قد أضويتم فأنكحوا في الغرائب، وهم الذين لا قرابة بينكم وبينهم.

وكانت العرب تزعم أن ولد الرجل يجيء من قرابته ضاوياً، أي نحيفاً مهزولاً، وقد أضْوَى الرجل إذا وُلِد له وَلَدٌ كذلك. وفي بعض الآثار: اغتربوا لا تُضْوُوا.

وقال جرير:

إن بلالاً لم تُشِبْهُ أمه ... لم يتناسل خاله وعمه

وقال الشاعر:

تنجبتها للنسل وهي غريبة ... فجاءت به كالبدر حرثاً معمماً

فلو شاتم الفتيانَ في الحي ظالماً ... لما وجدوا غير التكذب مشتماً

وقال الأصمعي في قول كعب بن زهير:

حَرْفٌ أخوها أبوها من مهجنةٍ ... وعمها خالها قوداء شمليلُ

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن العرق دسّاس». أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٨)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٧)، ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٣٨٦)، ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ١٢٧).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٩)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٢)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٧)، الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٣١).

ـا: هذه ناقة كريمة مداخلة النسب لشرفها. فأنكر ذلك أبو المكارم على الأصمعي، قال: ألم يعلم قائل هذا أن تداخل النسب ومقاربته مما يضعف الناقة.

وذكر البكري في اللآلئ عند قول الأعرابي: وما قرقمني إلا الكرم، قال: يعني أن أباه طلب المناكح الكريمة في أصله فجاء ولده بسبب ذلك ضاوياً.

قال غيره: وسبب هذا أن ابنة العم ونحوها من ذوي القرابة القريبة لا تقع من نفس الزوج موقع الغريبة.

إما لألفته لها ودوام النظر إليها إذا كانت كذلك، وإما لأنه يقع بينه وبينها من الحشمة والخجل ما تكسل به وتضعف شهوته، والولد لا يكمل خلقه وتتم قوته إلا بتمام الشهوة وقوتها، ولهذا قالوا من استحيا من امرأته لم ينجب له ولد.

قال أبو الفرج في الأغاني: جاء منصور بن رمّان الفِزاري إلى حسن بن حسن، وهو جده لأمه فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلاً، قال: نعم، تزوجت بنت عمي الحسين، فقال له: بئس ما صنعت! أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت، كان ينبغي أن تتزوج في البعداء، قال: قد نكحت وقد رزقني الله منها ولداً.

قال الأعمش عن إبراهيم: كان علقمة إذا خطب في نكاح قَصَّرَ دون أهله.

قال ابن نُمَيْر: معناه يخطب إلى من دونه ويترك ويمسك عن من هو فوقه.

قال بعض الحكماء: ينبغي أن يكون الرجل فوق المرأة بثلاث: بالسن، والمال، والحسب. وإلا احتقرته، وأن تكون المرأة فوقه بثلاث: بالصبر، والجمال، والأدب، وإلا احتقرها.(١)

(١) إن الجمال مقصود في الإسلام، فهو ضرورة من ضرورات الزواج وواحدة من الخصال التي حضّ عليها النبي ﷺ في حديث «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك». أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٩)، مسلم في الصحيح (الرضاع ٥٣)، البيهقي في السنن البكرى (٧: ٧٩)، الألباني في إرواء الغليل (٦: ١٩٤)، سعيد بن منصور في السنن (٥٠٦)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٣٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٠٨٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٥٢)، السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٥٧)، البغوي في شرح السنة (١: ٢٢٠)، الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبيّة (٢: ١٨)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣٨٣)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٥)، ابن حجر في المطالب العلية (١٥٧٠)، ابن كثير في التفسير (١: ٣٧٧)، القرطبي في التفسير (٤: ٣٧)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣٩)، الدارقطني في السنن (٣: ٣٠٣).

باب في ما يباح للرجل من النظر إلى المرأة

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنَّه تزوَّجَ امرأةً من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها**» قال: لا. قال: «**فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار**(١) **شيئاً**»(٢).

قيل: كان في أعين الأنصار حَوَلٌ. وقيل: كان في أعينهم صِغَر.

أخرج النَّسائي عن المغيرة بن شعبة: خطبت امرأة على عهد رسول الله ﷺ، فقال لي النبي ﷺ: أنظرتَ إليهَا؟ قلتُ: لا. قال: «**فانظُر إليْها فإنَّه أجدرُ أن يؤْدَمَ بينكُما**»(٣). يقال أَدَمَ الله بينهما بالقصر أَدْماً بفتح الهمزة وسكون الدال. وآدم بالمدّ أي: وفق وأصلح. فعل وأفعل بمعنى واحد.

أخرج أبو داود عن واقد بن عبد الرحمٰن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خَطَبَ أحدُكم المرأةَ فإنِ استَطَاعَ أن ينظرَ إلى ما يدْعوهُ إلى نكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ**»(٤).

---

(١) يعني رسول الله ﷺ أن في أعين الأنصار صغراً أو زرقة، وقال النووي: إن في هذا دلالة لجواز ذكر ذلك على سبيل النصيحة، وفيه استحباب النظر إلى وجه من يريد تزوُّجها، ثم إنه يُباح النظر إلى وجهها وكفّيها، لأنه يستدلّ بالوجه على الجمال أو ضده، وبالكفين على صحّة البدن وعدمه، ولا يشترط في جواز النظر رضا المرأة، بل له غفلتها، ومن غير سابق علم.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (النكاح ٧٤)، النّسائي في السنن (٦: ٧٠)، أحمد في المسند (٤: ٢٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٤).

(٣) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٢٠٨٢)، أحمد في المسند (٣: ٣٣٤)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٥)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٠٦)، الزيلعي في نصب الراية (٤: ٢٤١)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٤٧)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٩)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٨)، الألباني في إرواء الغليل (٦: ٢٠٠)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٢٧).

قال جابر: فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها تحت الكرب[1] حتى رأيت منها بعض ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها.

قال حجاج بن أرطأة عن محمد بن سليمان بن أبي حثمة عن أبيه: كنت جالساً مع محمد بن مسلمة في داره فرأى امرأة من الأنصار يقال لها بثينةُ، فصادها ببصره، فقلت: يرحمك الله أتنظر هذا النظر وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا قذف الله في قلب رجل خِطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها**»[2].

قال الغزالي في الإحياء: كان من تقدم من المتورعين لا ينكحون بناتهم إلاّ بعد النظر احترازاً من الغرور، قال: والغرور يقع في الخَلق والخُلق جميعاً، فيستحب إزالة الغرور في الخَلق بالنظر، وفي الخُلق بالبحث والاستبصار.

قال: وينبغي أن يكون ذلك مقدماً على النكاح، ولا يستوصف إلا بصيراً حاذقاً خبيراً بالظاهر والباطن من أحوالها ذا دين لا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف المنكوحات، إلى الإفراط والتفريط، وقل من يصدق فيه، ويقتصد، والخداع في ذلك أغلب، والاحتياط في ذلك من المهمات.

قال ابن القطان في فصل من كتابه المسمى بالنظر في أحكام النظر: نظر الذي يتزوج مندوبٌ إليه، وقال بعضهم: هو مباح، وهو مذهب الشافعي، وكرهه بعضهم.

وحكى ذلك الإسفرائيني عن بعضهم، وذكر احتجاجه بالآية الآمرة بالغض قال: ومذهب مالك من هذه الأقوال هو الإباحة إذا كان بإذنها ينظر إلى وجهها كما يجوز ذلك في الشهادات لها وعليها، ومذهب القاضي أبو بكر بن الطيب وأبي حامد الإسفرائيني جواز النظر إلى وجهها، وتكرار ذلك والتأمل، إلاّ أبا حامد شرط أن تكون قد أجابته إلى التزويج.

واختار ابن القطان الندب وقوفاً مع ظاهر الأمر بالنظر ووجود الإجماع على أن ذلك ليس على الوجوب.

قال: ولا يحتاج في نظره إليها بعد عزمه على نكاحها وخطبته لها إلى استئذانها

---

(١) الكرب: أصول النخل، واحدها كربة بالتحريك، وهي التي تشبه الكتف. [القاموس المحيط، مادة: كرب].

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٢٢٥).

خلافاً لمالك، فإنه شرط استئذانها، وكره أن يستغفلها من كوة أو نحوها.

قال ابن القطان: ولعل معناه في سد الذريعة، فإنه من أصوله كأنه خاف أن يتسلق به أهل الفساد إلى الاطلاع على مواضع الفتن، فإذا عثر على أحدهم قال: إني خاطب، وإلا فالحديث يبيح النظر مطلقاً دون تفصيل.[(١)]

قال: وهذا مذهب الشافعي وابن وهب من أصحاب مالك، فإنهما لا يشترطان إذنها.

وقيل لإصبغ أن ابن وهب روى عن مالك إجازته، يعني بالنظر إليها بغير إذنها، فقال: لم يكن ابن وهب يرويه، وإنما كان يقوله برأيه.

قال ابن القطان: وقد ورد في غير هذه المسألة حديث رواه قيس بن الربيع عن عبد الله بن عيسى عن موسى بن عبد الله عن أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا حرج على الرجل أن ينظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها من حيث لا تعلم»**[(٢)].

قال: واقتصر مالك على جواز النظر إلى الوجه والكعبين خاصة، وزاد أبو حنيفة

---

(١) أتى المغيرة بن شعبة يوماً إلى رسول الله ﷺ فذكر له امرأة يخطبها، فقال: **«اذهب فانظر إليها»**، فأتى امرأة من الأنصار فخطبها إلى أبويها، وأخبرتهما بقول النبي ﷺ، فكأنّهما كرها ذلك، قال فسمعت المرأة وهي في خدرها، فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليّ فانظر، وإلا فأنشدك الله ألاّ تفعل، قال فنظرت إليها فتزوّجتها. من هنا نستنتج أنها فتاة عاقلة رشيدة طاهرة النفس، لكنها احترمت ما جاء به المغيرة نزولاً عند حديث النبي ﷺ لذا اطمأنت إليه (أي الخاطب) وسمحت له بالنظر إليها. أخرجه مسلم في الصحيح (النكاح: ٧٤)، ابن ماجه في السنن (١٨٦٥)، الدارمي في السنن (٢: ١٣٤)، أحمد في المسند (٤: ٢٤٥)، البيهقي في السنن الكبرى (١: ٢٧١)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٥)، الدارقطني في السنن (٣: ٢٥٣)، الزيلعي في نصب الراية (٤: ٢٤٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ٣١)، مسلم في الصحيح (الحج ب ٥٧ رقم ٣٣٤)، أبو داود في السنن (١٩٨٣)، والنَّسائي في السنن (٥: ٢٧٢)، ابن ماجه في السنن (٣٠٥٠)، أحمد في المسند (١: ١٨٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٥: ١٤٦)، ابن أبي شيبة في المصنف (٤: ١٧٧)، الدارمي في السنن (٢: ٥٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٦٥٦)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٢٤٦)، البغوي في شرح السنة (٧: ٢١٣)، ابن عبد البر في التمهيد (٧: ٢٧٦)، ابن حجر في فتح الباري (١٠: ١٨١)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٢٦٦٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٣: ٢٠٤)، الطبراني في المعجم الكبير (١١: ٢١)، ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩٧).

ظهور القدمين على أصله في أنها ليس عليها سترهما في الصلاة، وأباح غيرهما النظر إلى جميع بدنها ما عدا السوأتين.

وهذا الذي يدل عليه إطلاق الأحاديث، ويكون تقييده بالتنزيل على مستقر العادة فيما هو ظاهر منها إلا أن يستر بقصدٍ، أما ما هو مستورٌ إلا أن يظهر بقصد فلا.

وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم فذكر له صغرها، فقيل له: إنه رَدَّكَ، فعاوده[1]، فقال له علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أبعث بها إليك فإن رضيتك فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقيْها فقالت: مه لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك.

وكانت أم كلثوم هذه ولدت قبل وفاة النبي ﷺ وأمها فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ، وهذه القصة رواها قاسم بن أصبغ عن الخُشني عن أبي عمر عن سفيان.

ولما رجعت إلى أبيها قالت: بعثتني إلى شيخ سوء فعل كذا وكذا، قال: هو زوجك يا بنية.

قال ابن القطان: فأما السوأتان فلا نظر في أنه لا يباح له النظر إليهما إلا ما يحكى عن داود من إباحة النظر إلى سائر جسد المخطوبة حتى إلى الفرج.

وهذه الرواية لم أرها عنه في كتب أصحابه وإنما حكاها عنه أبو حامد الإسفرائيني والأدلة المانعة من النظر إلى العورة تمنع ذلك قال: ولا بأس أن يبعث امرأة تنظر إليها وتؤدي إليه ما رأته.

فقد روى ابن أبي شيبة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى امرأة فقال: «شِمِّي عوارضَها وانْظُرِي إلَى عُرْقُوبِهَا[2]»[3].

---

(١) لعلّ معاودة الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلب ابنة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حبًا منه ورغبة في مصاهرة آل البيت والنسب إلى رسول الله ﷺ استناداً إلى قول رسول الله ﷺ: «**كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري**» أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥: ١٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٥)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٩٠).

(٢) إن النظر إلى عرقوب المرأة يحمل دلالة على العزّ والرخاء، فإذا اسودّ عرقوب المرأة اسودّ سائرها.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣: ٢٣١)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٧)، الحاكم في المستدرك=

وروى وكيع عن سفيان أن رسول الله ﷺ خطب امرأة فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر إليها فجاءت فقالت: يا رسول الله ما رأيت طائلاً، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت بخدِّهَا خالاً اقشعَرّت كُلُّ شَعرةٍ منْكِ**»[1] فقالت: يا رسول الله ما دونك سرٌّ.

قال: ويجوز للمرأة المخطوبة مع ذلك أن تتجمل لمن أراد رؤيتها من الرجال وتتشرف بزينتها، بل لو قيل: إنها مندوبة لذلك ما كان بعيداً، فإن النكاح مأمور به النساء كما هو للرجال.

إمَّا وجوباً وإما ندباً، وما لا يتم الواجب والمندوب إلا به فهو واجب أو مندوب، إن عُني به أن تجملها للخطاب شرط في وقوع النكاح لا يمكن أن يوجد إلا به فليس كذلك، وإن عني به أنه سبب من الأسباب التي يوجد النكاح عنها غالباً فالأمر كذلك، ولا يتم الاستدلال بهذا القدر.

قال: ويتناقض أن يباح للرجل النظر إليها بقصد واستِعْمَادٍ، ثم تكون هي سهيّة عن البدو له، ولو قيل: إنها يجوز لها التعرض بإبداء زينتها بعد إذا سلمت نيتها في قصد النكاح لم يبعد، فإن العادة جارية بتخلف النكاح، وتعذره وتأخر الخطاب عَمَّنْ لا يعرف حالها.

ولقد نهى عمر رضي الله عنه الولي عن الإخبار بالمنفر، فقال: ما لك وللإخبار.

ولما تَعَلَّتْ سبيعة من نفاسها بعد وفاة زوجها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السابل بن بعكك فقال: ما لي أراك متجملة لعلك تُرجين النكاح إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: فلما سمعت ذلك جمعت ثيابي عليَّ حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزويج إنْ بَدَا لي.

وفي رواية تشوفت للأزواج فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**مَا يَمْنَعُهَا قَد انقضى أجَلُهَا**»[2].

= (٢: ١٦٦)، المتقي الهندي في كنز العمّال (٤٤٥٧٥)، أبو داود في المراسيل (٢٤).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨: ١١٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٤٦٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ١٨٨)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١: ٣٠١).

(٢) أخرجه النَّسائي في السنن (٦: ١٩٠)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٣٣٠).

وفي قوله تشوفت للأزواج، وعلمه ﷺ بذلك وتركه إياها لم ينهها دليلٌ على جواز ما فعلت، وكان الذي فعلت تحليها بالزينة.

يقال دينار مشوف أي محلًّى، ولم يُرد بقوله: تجملت للخطاب الذين خطبوها بعد، وإنما معناه الذين هم بصدد أن يخطبوها.

وهذا الذي ذكر ابن القطان هنا إنما بناه على أنه فهم من قوله: تجملت للخطاب، أنها تزينت لا أن يراها الخُطاب لأنفسهم، وليس الحديث نصًّا في ذلك إذ يحتمل أن تكون تزينت لأن يرسل الخطاب إليها من يراها من النساء على ما جرت به العادة في ذلك.

وقد روى وكيع عن العلاء بن عبد الكريم عن عمار بن عمران عن امرأة بهم عن عائشة أنها شوفت جارية لها، وقالت: لعلنا نتصيد بها بعض شباب قريش. قال ابن القطان: ففي جواز ذلك له من التزين والتعرض له بالمحاسن التي لا يجوز له إبداؤها لغير المخطوبة من السواك، والخضاب، وتحسين اللبسة، والركبة، والمشية.

قال ابن القطان: والظاهر جواز ذلك إن لم يتحقق في المنع منه إجماع، أما إذا لم يكن خطب، ولكنه يتعرض بنفسه ذلك التعرض للنساء فلا يجوز ذلك له لأنه تعرض وتعريض.

باب في الوقت المستحبّ لعقد النكاح

قال حمزة بن حبيب: كان أشياخنَا يستحبون النكاح يوم الجمعة، لما في ذلك من لفظ الاجتماع، وكانوا يختارون آخر النهار دون أوله، ذهبوا إلى تأويل القرآن في اتباع السنة في الفأل، لأن الله سبحانه سمى الليل سكناً، وجعل النهار نشوراً.

وقال رسول الله ﷺ في الطيرة: «أصدقها الفأل»[1].

فآثر الناس استقبال الليل بالنكاح تيمناً لما فيه من الهدوء والسكون، وكرهوا الاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار.

وأما كراهة الناس الاجتماع في شوال فإن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون منه، ويقولون: إنه يشول بالمرأة، من قولك: شالت نعامته، وشالت النوق بأذنابها، فعلقه الجهال منهم، وأبطله النبي ﷺ بنكاحه عائشة رضي الله عنها في شوال.

فكانت عائشة تستحب نكاح نسائها في شوال وتقول: «أي النساء كان أحظى عند رسول الله ﷺ مني، وقد تزوجني في شوال».

تزوج رسول الله ﷺ عائشة في شوال وابتنى بها في شوال، وورد أيضاً ترغيبه في شهر صفر.

روى الزهري أن رسول الله ﷺ زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها عليًا رضي الله عنه في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة.

قال الغزالي في الإحياء: ويستحب أن يكون العقد في المسجد، وأن يحضر لذلك جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدَيْن اللذين هما ركنان للصحة[2].

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٨)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠: ٣٥٦).

(٢) يشترط لصحة عقد الزواج شروط أساسية أربعة هي: ١ ـ إذن ولي أمر المرأة. ٢ ـ رضى المرأة بالزوج سواء كانت بكراً أم ثيباً. ٣ ـ حضور شاهدين على الأقل من المسلمين العدول. ٤ ـ صيغة العقد بالقبول والإيجاب بلفظ الإنكاح أو التزويج.

وذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد**»(١).

إن رسول الله ﷺ - رأى على عبد الرحمٰن بن عوف أثر صفرة، فقال: «**ما هذا؟**» قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة، قال: «**بارك الله لك، أولم ولو بشاةٍ**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت رسول الله ﷺ أولم على امرأة ما أولم على زينب، فإنه ذبح شاةً.

وفي رواية: «ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه ما أولم على زينب»، فقال ثابت البناني «بم أولم؟» قال «أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه».

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها**»(٣).

وفي بعض روايات مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم أخاه فليجبه عرساً كان أو نحوه**»(٤).

قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي الدعوة في العرس وغير العرس ويأتيها وهو صائم.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعامٍ فليجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك**»(٥).

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٨٨)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٨٣)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٢٨٥)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٨٩)، أبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣٢٨)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣٥١)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٥٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٢)، العجلوني في كشف الخفا (١: ١٦٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٣٤)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٢٧)، مسلم في الصحيح (النكاح ب ٧١)، الترمذي في السنن (١٠٩٤)، ابن ماجه في السنن (١٩٠٧)، ابن حجر في فتح الباري (١١: ١٩٠)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٣٣)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٩٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢١٠)، سعيد بن منصور في السنن (٦١١)، السيوطي في دلائل النبوة (٦: ٢١٨).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣١)، مسلم في الصحيح (النكاح ٩٦)، أبو داود في السنن (٣٧٣٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٦٠)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٣٨)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٤٠).

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (النكاح ١٠٠)، أبو داود في السنن (٣٧٣٨)، أحمد في المسند (٢: ١٤٦)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٦٢)، عبد الرزاق في المصنف (١٩٦٦٦)، ابن عبد البر في التمهيد (١: ٢٧٣).

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح (النكاح ١٠٥)، الترمذي في السنن (٧٨٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٦٣)، البغوي في شرح السنة (٦: ٣٧٤)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢١٧)، ابن =

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً صلى، وإن كان مفطراً فليطعم**»[(١)]. قوله «**فليصل**» أي فليدعُ وليبرك.

قال النبي ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتيها، ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[(٢)]. قال صاحب العين[(٣)]: الوليمة طعام النكاح. وقال الخطابي: هي طعام الإملاك. ولعل كليهما واحد.

قال المازري في المعلم: الوليمة عندنا مستحبة، وليست بواجبة، خلافاً لداود، وأحد قولي الشافعي في إيجابها أخذاً بظاهر قوله عليه السلام: «**أولم ولو بشاة**»[(٤)]

= حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٦٤)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٥٢)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٤٧).

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (النكاح ١٠٦)، أحمد في المسند (٢: ٥٠٧)، أبو داود في السنن (٢٤٦٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٦٤)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٤١)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٧٨)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥: ٣٢٠)، ابن حجر في المطالب العلية (٢٣٤٨)، الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٤٨)، ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٨٣)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ٣٠٣)، العقيلي في الضعفاء (٢: ١٦١)، ابن عبد البر في التمهيد (١: ٢٧٥).

(٢) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٥).

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي هو صاحب معجم «العين» أطلق عليه هذا الاسم لأنه ابتداه بحرف العين باعتبار أنّه أول الحروف التي ينطق بها جهاز الصوت البشري من حيث انطلاقه من الحبال الصوتية.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ١٣)، مالك في الموطأ (٥٤٥)، ابن الجارود في المنتقى (٧٢٦)، مسلم في الصحيح (النكاح ٧٩)، الترمذي في السنن (١٠٩٤)، النَّسائي في السنن (٦: ١٢٠)، أبو داود في السنن (٢١٠٩)، ابن ماجه في السنن (١٩٠٧)، أحمد في المسند (٣: ١٦٥)، الدارمي في السنن (٢: ١٤٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٤٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١: ٢٢٦)، سعيد بن منصور في السنن (٦٠٩)، البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٢١٩)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٥٢)، الساعاتي في منحة المعبود (١٥٨٢)، ابن حجر في فتح الباري (٤: ٢٨٨)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٣٢)، الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٤٥)، الألباني في إرواء الغليل (٣: ٧)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٥٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٣)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ١٦٢)، الحميدي في المسند (١٢١٨)، ابن سعد في الطبقات (٣: ٧٧)، ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ١٨٨)، الألباني في آداب الزفاف (٦٧)، الشافعي في المسند (٢٤٦)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ١٠٥)، ابن عبد البر في تجريد التمهيد (٧٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٠٤١٠)، ابن حجر في القول المسدد (٢٥)، ولسان الميزان (٧: ٤٧٨)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٤).

وقوله ﷺ: «ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله»[1]. قال وعندنا أن قوله عليه السلام: «أولم ولو بشاة»[2] محمول على الندب ولا حجة لهم في قوله: «ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله»[3] لأنه رتب العصيان على ترك الإجابة، وهي لو كانت واجبة لم يدل ذلك على وجوب الوليمة، إذ غير بعيد أن تكون الوليمة غير واجبة، والإجابة واجبة، كما أن الابتداء بالسلام غير واجب والرد واجب.

وقال عِياض: استدل بعضهم من حديث عبد الرحمٰن بن عوف على استحباب الوليمة بعد الدخول. قال: وهو ظاهر قول مالك في كتاب محمد.

وحكى ابن حبيب استحبابها عند الإملاك وعند الدخول، ورآها بعض شيوخنا قبل الدخول آكد حتى الدخول بعد الشهرة.

قال: وقوله «ولو بشاة»[4] دليل على التوسعة فيها لأهل الوُجْدِ بالذبح وغيره،

---

(١) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ١٣)، مالك في الموطأ (٥٤٥)، ابن الجارود في المنتقى (٧٢٦)، مسلم في الصحيح (النكاح ٧٩)، الترمذي في السنن (١٠٩٤)، النَّسائي في السنن (٦: ١٢٠)، أبو داود في السنن (٢١٠٩)، ابن ماجه في السنن (١٩٠٧)، أحمد في المسند (٣: ١٦٥)، الدارمي في السنن (٢: ١٤٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٤٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١: ٢٢٦)، سعيد بن منصور في السنن (٦٠٩)، البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٢١٩)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٥٢)، الساعاتي في منحة المعبود (١٥٨٢)، ابن حجر في فتح الباري (٤: ٢٨٨)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٣٢)، الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٤٥)، الألباني في إرواء الغليل (٣: ٧)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٥٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٣)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ١٦٢)، الحميدي في المسند (١٢١٨)، ابن سعد في الطبقات (٣: ٧٧)، ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ١٨٨)، الألباني في آداب الزفاف (٦٧)، الشافعي في المسند (٢٤٦)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ١٠٥)، ابن عبد البر في تجريد التمهيد (٧٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٠٤١٠)، ابن حجر في القول المسدد (٢٥)، ولسان الميزان (٧: ٤٧٨)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٤).

(٣) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٥).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ١٣)، مالك في الموطأ (٥٤٥)، ابن الجارود في المنتقى (٧٢٦)، مسلم في الصحيح (النكاح ٧٩)، الترمذي في السنن (١٠٩٤)، النَّسائي في السنن (٦: ١٢٠)، أبو داود في السنن (٢١٠٩)، ابن ماجه في السنن (١٩٠٧)، أحمد في المسند (٣: ١٦٥)، الدارمي في السنن (٢: ١٤٣)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٤٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١: ٢٢٦)، سعيد بن منصور في السنن (٦٠٩)، البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٢١٩)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٥٢)، الساعاتي في منحة المعبود (١٥٨٢)، ابن حجر في =

وأن الشاة لأهل الجدة والقدرة أقل ما يمكن، وليس على طريق التحديد، وأنه لا يجزئ أقل منها لمن لم يجدها، بل على طريق الحض والإرشاد، ولا خلاف أنه لا حد لها ولا توقيت.

قال: واختلف السلف في تكرارها أكثر من يومين، فمن قائل بإباحة ذلك، ومن قائل بكراهته، واستحب أصحابنا تكرارها لأهل السعة أسبوعاً.

قال بعضهم: وذلك إذا دعا في كل يوم من لم يدع قبله، ولم يكرر عليهم كراهة للمباهاة والسمعة.

قال: ولم يختلف العلماء في وجوب الإجابة في وليمة العرس، يعني النكاح، واختلفوا فيما عداها، فمالك وجمهوره على أنها لا تجب، وذهب أهل الظاهر إلى وجوب الإجابة في كل دعوة بظاهر الحديث المتقدم.

وقال الشافعي في ذلك: واجب في الوليمة ولا أرخص ترك غيرها من الدعوات التي لا يقع عليها اسم وليمة كالختان، الإملاك، والنفاس، وحادث سرور لا يتبين لي أن تاركها عاصٍ كتارك الوليمة.

وقد كره مالك لأهل الفضل الإجابة إلى الطعام يدعون إليه، قال بعضهم يعني في غير الوليمة.

وقال بعضهم فيما يصنع تفضلاً دون موجب من ختان، أو نفاس، أو ما أشبه ذلك.

قال: واختلف في وجوب الأكل للمفطر فيها فلأهل الظاهر فيه قولان، وقال الشافعي: إن كان مفطراً أكل، وإن كان صائماً صلى، أي دعا على ما جاء في الحديث السابق ذكره.

= فتح الباري (٤: ٢٨٨)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٣٢)، الطحاوي في مشكل الآثار (٤: ١٤٥)، الألباني في إرواء الغليل (٣: ٧)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٥٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٣)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١: ١٦٢)، الحميدي في المسند (١٢١٨)، ابن سعد في الطبقات (٣: ٧٧)، ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ١٨٨)، الألباني في آداب الزفاف (٦٧)، الشافعي في المسند (٢٤٦)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ١٠٥)، ابن عبد البر في تجريد التمهيد (٧٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٠٤١٠)، ابن حجر في القول المسدد (٢٥)، ولسان الميزان (٧: ٤٧٨)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٤).

قال مالك: يجيب وإن لم يأكل، وضعف أصبغ في الإجابة إذا لم يكن معها الأكل، ورأى الإجابة إنما تتعين لأجله.

واختلفوا أيضاً في الحضور إذا كان في الوليمة لعب مباح أو منكر، فالمباح الأكثرون يبيحون الحضور فيه إلا لذي الفضل والهيئات.

وفي مذهبنا في ذلك قولان، والمنكر الأكثرون يمنعون الحضور فيه إلا أبا حنيفة وبعضهم فإنهم يجوّزونه، قال: وعندنا فيه قول شاذ.

قال أبو ياسر البغدادي في رسالته المعروفة برسالة الطيب: يقال إن وليمتين كانتا لم يكن في الإسلام مثلهما، ولا تقدم لهما نظير قبلهما، فالوليمة الأولى وليمة الرشيد عند دخوله بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور(١).

قال أحمد بن أبي طاهر صاحب تاريخ بغداد قال: لما زوجها المهدي من ابنه هارون الرشيد استعد لها ما لم يستعد به لأحد قبلها من الآلات الآنية، والفرشِ، والمتاع، والثياب، والطيب، والجواهر، والخدم، والوصائف، وعُمِل لها درع من دُرٍّ متجاوز الصفة لم يقف المقوِّمون له على قيمة، ويقال: إنه الدرع الذي كان لعبدة بنت عبد الملك بن يزيد بن معاوية امرأة هشام بن عبد الملك.

ودخل بها في المحرم سنة خمس وستين ومائة في قصر الخلد، وحشر الناس من الآفاق، وفرق في ذلك العرس من المال ما لم يتوهم أن بيوت المال تحويه، وكانت أواني الذهب تملأ بدراهم الفضة، وأواني الفضة تملأ بدنانير الذهب، ويدفع ذلك لوجوه الناس إلى ما يتبع ذلك من نوافج المسك، وقطع العنبر وخلع عليهم خلع الوشي.

قال يقال: إن العود القماري إنما سقط وتقدمه العود الهندي في هذه الوليمة لما امتحنا جميعاً، فوجد الهندي أطيبهما وأبقاهما في الثياب.

قال: ونظمت الشعراء في هذه الوليمة، وكتب أهل البلاد للمهدي والرشيد يهنئونه بها، فيقال: إنه لم يكن في الإسلام وليمة مثلها.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، زينب بنت علي فوّاز العاملية، اللبنانية، وضع حواشيه وعلّق عليه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ج ١/ ص ٣٧٣.

قال أبو ياسر: وبلغت النفقة في هذه الوليمة من بيت مال الخاصة سوى ما أنفقه من ماله خمسين ألف ألف دينار.

أما الوليمة الثانية فهي وليمة المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل[(١)]. قال أبو الفرج: لما خطبها المأمون استعد لها استعداداً يجل عن الوصف.

وخرج المأمون إلى فم الصلح في شعبان سنة عشر ومائتين، فأملك بها، وفعل الحسن في تلك الوليمة ما لم يعمله ملك في جاهلية ولا إسلام، نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وتعيين صلات وغير ذلك من كل شيء نفيس، فكان إذا وقع شيء من ذلك في يد من نثر عليه شيء منها فتحه وتوجه فاستوفى قبض ما فيه، ثم نثرت بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك، وقطع العنبر، وأقام الوظائف والنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون لكل رجل على قدره، فيقال: إن العسكر اشتمل على ستة وثلاثين ألف سوى أهل العسكر من سائر الناس.

وقال أبو ياسر البغدادي حاكياً عن الحسن بن رجاء: على نيف وسبعين ألف ملاح.

قال أبو الفرج: ولما جُليت بوران فُرش لها حصير من ذهب وجيء بإناء عظيم مملوء دراً فنثر على الحصير، وكان فيمن حضر من النساء زبيدة وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما من بنات الخلفاء فلم تلتقط واحدة منهن شيئاً من الدر، فقال لهن المأمون: أكرمنها بالتقاطكن، فمدت كل واحدة منهن يدها وأخذت واحدة وبقي الدر ظاهراً على حصير الذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانئ[(٢)] كأنه كان حاضراً حين قال:

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

قال أبو ياسر: وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلاً، فأنكر المأمون ذلك وقال: هذا إسراف، فأمرت زبيدة برفعها، وقالت: هاتوا الشمع

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، زينب بنت علي فوّاز العاملية، اللبنانية، وضع حواشيه وعلّق عليه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ج ١/ ص ١٩٤.

(٢) الحسن بن هانئ: هو أبو نؤاس، الشاعر العباسي المشهور بشاعر الخمرة.

المشتعل، قال وسأل المأمون زبيدة عن مقدار النفقة في هذه الوليمة فقالت: ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف دينار إلى سبعة وثلاثين ألف ألف، فبلغ ذلك الحسن بن سهل فقال: كأن النفقة كانت بيدها، والله لقد حضرتها فكانت ثمانية وثلاثين ألف ألف.

قال وأقامت البغال وعدتها أربعة آلاف بغل تنقل الحطب قبل الوليمة أربعة أشهر، ففي أثناء الوليمة أعوزهم الحطب فكانوا يوقدون الكتان عوضاً عن الحطب.

الهيثم بن عدي قال: لما زوج الحجاج ابنه محمداً قال: لأطعمن في عرسه طعاماً لم يعمل أحد قبله ولا أحد بعده مثله، فقيل له: أصلح الله الأمير لو بعثت إلى من أدرك كسرى أبرويز فوصف لك شيئاً مما عمله في بعض أيامه على رسمه، فإن معهم المعرفة والسياسة، فأرسل إلى شيخ ممن أدرك كسرى، فقال: صف لي أطيب طعامٍ عمله كسرى وأكثر وأشهر، قال: نعم، أصفه لك بعلم.

لما أراد كسرى أن يبتني ابنه فلان بعث إلى عماله في مملكته كلها، فأشخص من كل بلدٍ عالمه، وكاتبه، ورجلين من وجوه أهل البلد، فاجتمع عنده منهم أربعة آلاف رجل فبسط لهم بسط الديباج المنسوجة بالذهب عليها وسائدها، ثم أتوا بأخاوين[(١)] الفضة عليها صحاف الذهب فيها من كل غريب الطعام، فإذا فرغ كل رجل من طعامه أعطى مثقال مسك لغسل يده يصنع به ما شاء، فصنع ذلك بهم ثلاثة أيام، ثم قسمت بينهم الفرش والآنية، وأعطيت لهم الجوائز، ثم ردهم إلى بلدانهم.

فقال الحجاج: أفسد علينا هذا العلج[(٢)] ما أردناه، انظروا جزائر[(٣)] فانحروا في كل مربعة من مربعات واسط جزوراً يقسمها أهلها.

قالت عائشة رضي الله عنها:

لما بنى بي رسول الله ﷺ أخذت بيدي أم رومان فأدخلتني بيتاً فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة وأيمن طائر.

وقال البخاري: على اليمن والبركة وعلى خير طائر. وقال عِياض في الإكمال: فيه حجة لما يقال للمتزوج.

---

(١) الأخاوين: مفرده خوان، وهو ما يوضع عليه الطعام، وتسمِّيه العامة السفرة، وهي لفظة فارسية. [القاموس المحيط، مادة: خان].

(٢) العلج: حمار الوحش السمين القوي. [القاموس المحيط، مادة: علج].

(٣) الجزائر: الجِمال. [القاموس المحيط، مادة: جزر].

قال: وجاء في الحديث عن النبي ﷺ من رواية معاذ ونحوه، وإنه دعا لرجل من الأنصار شهد إملاكه فقال: «**على الإلفة والخير والطير المأمون، والسعة في الرزق، بارك الله لكم**»[١]. وقد روي عنه كراهة قول العرب بالرفاء والبنين.

وقال ﷺ لبعضهم: «**بارك الله لكم وعليكم**»[٢] قال: ومعنى الطائر هنا الحظ أي على أيمن حظ وأفضله، ويقال للحظ من الخير والشر طائر.

وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣] انتهى كلام عِياض.

وروي عنه كراهة قول العرب في ذلك بالرفاء والبنين، جاء في ذلك حديث يرويه الحسن بن دينار عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ نهى أن يقال: بالرفاء والبنين.

وتزوج عقيل بن أبي طالب فقيل له: بالرفاء والبنين، فقال قال رسول الله ﷺ: «**إذا رفا أحدكم فليقل على الخير والبركة، بارك الله لك وبارك عليك**»[٣].

قال إسحاق بن إبراهيم: رأيت عقيل بن علقمة يقول لرجل من الأنصار: بالرفاء، والبنين، واليمن، والطائر المحمود.

قال قلت له: يا أبا علقمة إنه يُكره أن يقال هذا، فقال: يا ابن أخي إن هذا قول أخوالك في الجاهلية وإلى اليوم لا يعرفون غيره. قال إسحاق فحدثت الزهري بذلك فقال: إن عقيلاً كان جافياً جاهلاً.

أخرج أبو داود عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا رفا المتزوج يقول: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٨٨)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٩٠)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٢٢)، ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٢٠٨)، العقيلي في الضعفاء (١: ١٤٢)، ابن الجوزي في الموضوعات (٢: ٢٦٥)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢: ٩١).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٥٦).

(٣) أخرجه النَّسائي في السنن (٦: ١٢٨) بمعناه.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (١٠٩١)، أبو داود في السنن (١٣٢٠)، ابن ماجه في السنن (٧٠٨)، أحمد في المسند (٣: ٤٥١)، الدارمي في السنن (٢: ١٣٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٤٨)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٨٣)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٢٨٤)، سعيد بن منصور في السنن (٥٢٢)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٣٣)، السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٦)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١١: ٤٢)، ابن تيمية في الكلم الطيب (٢٠٦)، =

أخرج سعيد بن المسيب عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما ابتنى علي ـ رضي الله عنه ـ بفاطمة رضي الله عنها دخل رسولُ الله ﷺ عليهما فقال: **«قوما إلى بيتكما جمع الله بينكما، وبارك فيكما، وأصلح بالكما»**[1]، ثم قام فأغلق عليهما بيده.

وفي رواية عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال لعلي حين أراد تزويجه: **«إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة بنت خديجة إن رضيت»**[2]. قال: قد رضيت يا رسول الله.

قال أنس: فقال رسول الله ﷺ: **«جمع الله شملكما، وأقر عينكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما خيراً طيباً كثيراً»**. قال أنس: فوالله لقد خرج منهما خير كثير رضوان الله على جميعهم.

= المتقي الهندي في كنز العمال (٤٦٠٤٧)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٥٢)، السيوطي في الحاوي للفتاوي (١: ١٢٥).

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠٨).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠٤)، السيوطي في جمع الجوامع (٤٧١٠)، المتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٨٩١)، الطبراني في المعجم الكبير (١٠: ١٩٤)، ابن الجوزي في الموضوعات (١: ٤١٥)، ابن حجر في لسان الميزان (٥٢٨٠)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١: ٢٠٥)، الشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٩٠)، ابن عراق في تنزيه الشريعة (١: ٤١٠).

باب في جلاء العروس عند ابتناء زوجها بها

لم تزل العادة القديمة وإلى الآن جارية بجلاء العروس بين أهلها قبل أن تصل إلى زوجها وبعد وصولها إليه.

وقد ورد في ذلك الحديث يرويه القاسم بن عبيد الله العمي عن ابن دينار عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ اجتلى عائشة رضي الله عنها عند أبويها قبل أن يبتني بها.

قال ابن القطان في كتاب النظر: هو كناية عما جرت العادة به عند النساء من جلاء العروس بينهنَّ قبل دخولها على زوجها.

قال سعيد بن المسيب ـ رضي الله عنه ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما تزوج النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها عليًا ـ رضي الله عنه ـ قام فدخل على النساء وقال: «**إني قد زوجت ابن عمي ابنتي فاطمة، وقد علمتن منزلتها مني، وأنا أدفعها إليه الآن إن شاء الله تعالى، فدونكن ابنتكن**».

قال: فقمن إليها وعلفنها من طيبهن وكسونها من حليهن، ثم إن النبي ﷺ دخل، فلما رآه النساء وثبن وتخلفت أسماء بنت عميس، فقال لها النبي ﷺ: «**من أنتِ؟**»[1]

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٩٢١)، أبو داود في السنن (الصيام ب ٥٤)، أحمد في المسند (٤: ١٣٤)، البيهقي في السنن (٣: ٣٧٥)، الحاكم في المستدرك (٣: ٦٠٢)، الطبراني في المعجم الكبير (٢: ٥٥)، ابن أبي شيبة في المصنف (٥: ٣٥٠)، البيهقي في دلائل النبوة (٦: ١٥٨)، ابن سعد في الطبقات (١: ٢: ١٤٢)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٠٦)، ابن حجر في المطالب العلية (٤١١٥)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٣٠٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٣٥)، ابن حجر في فتح الباري (١١: ٢٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٥١٣)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٣٤٢)، ابن كثير في التفسير (٢: ١٧٥)، الطبري في التفسير (١٠: ١٣٨)، ابن حجر في تبيين العجب (٢٣)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ١٦٧)، ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٢٠)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ٤٣٨)، ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ١٣).

قالت: أنا التي أحرس ابنتك، فإن الفتاة ليلة يبتني بها زوجها لا بد أن تكون امرأة قريباً منها، إن عرضت لها حاجة، أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها، فقال النبي ﷺ: «حرسك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان»[1].

قالوا: وينبغي للمرأة التي تتولى جلاء العروس أن تعرض على الرجل جميع محاسنها، وتظهر له ما خفي من خضابها وزينتها، فإن أغفلت شيئاً من ذلك نبهتها العروس عليه بيد، أو رجل، أو إشارة.

قالت رعيب الماشطة: جليت ريا بنت الحبحاب على زوجها قوامة بن وكيع، وكانت جارية تملأ المرط، تنظر بعيني مهاة، وتلتفت عن جيد غزال، فائقة الحسن، جامعة الخلق، قالت: فإني لأرفع يدها لأُري زوجها حسن خضابها إذ أخرجت رجلها من تحت غلالاتها فعلمتُ ما تريد فجعلت أريه مرة يديها ومرة رجليها، فقال لي: يا رعيب ما رأيت خضاباً أحسن من هذا الذي أراه في يد هذه العروس ورجليها، ولقد شغلني عما سواه، وإني لأنظر إليها بكل نظري، فكلما ارتد نظري إليها مال إلى رجليها، فما قضيت وطري من حلاوة نظري، قالت: فكان ذلك يعجبها، وتبين لي منه السرور في وجهها.

قالت: وجلوت أم البنين بنت موسى بن عقال على زوجها عمرو بن الفريد وكيل المهدي، وكانت جارية قد أغناها حسنها عن التحلي، وزادها الحلي حسناً، وكل النساء يتحدثن بجمالها وكمالها وشدة حيائها، فجعلت لا أمد يدي إلى شيء من محاسنها إلا سبقتني إليه، فلما دخل عليها كرهته لنقصان شهوته، ولم تزل تبدي البغضة له والنفور من مضجعه إلى أن أجبر نفسه على طلاقها.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٩٢١)، أبو داود في السنن (الصيام ب ٥٤)، أحمد في المسند (٤: ١٣٤)، البيهقي في السنن (٣: ٣٧٥)، الحاكم في المستدرك (٣: ٦٠٢)، الطبراني في المعجم الكبير (٢: ٥٥)، ابن أبي شيبة في المصنف (٥: ٣٥٠)، البيهقي في دلائل النبوة (٦: ١٥٨)، ابن سعد في الطبقات (١: ٢: ١٤٢)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٠٦)، ابن حجر في المطالب العلية (٤١١٥)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٣٠٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٣٥)، ابن حجر في فتح الباري (١١: ٢٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٥١٣)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٣٤٢)، ابن كثير في التفسير (٢: ١٧٥)، الطبري في التفسير (١٠: ١٣٨)، ابن حجر في تبيين العجب (٢٣)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ١٦٧)، ابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٢٠)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ٤٣٨)، ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ١٣).

قال الهيثم بن عدي: دخل مصعب بن الزبير على عائشة بنت طلحة وهي تتمشط فتمثل بقول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت ... بالحجر لما جلتها أم منظور

فقيل: إن أم منظور هٰهنا إمرأة كانت عجوزاً من عذرة، فاستدعى بها فأقبلت، فقال: يا أم منظور كيف كان جلاؤك لبثينة؟ قالت: مشطت رأسها وجعلت فيه شيئاً من خلوق، وألبستها وشاحاً وقلادة من ثبج، ثم أقبل جميل على راحلته فوقف مليًّا ينظر إليها ثم انصرف.

قال: فقال لها مصعب: فإني أقسم إلا ما جلوت عائشة كما جلوت بثينة، ففعلت، ووقف مصعب ينظر إليها مليًّا ثم انصرف.

ويختار أن يكون دخول المرأة على زوجها ليلاً فإنه وقت السكون والهدوء والتصرف، والنهار هو محل التفرق والانتشار، وقد سمّى الله تعالى الليل سكناً وجعل النهار نشوراً.

وورد شيء في الابتناء نهاراً.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ لست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين، قالت، فقدمنا المدينة فوكعت شهراً فوفى شعري جميمة فأتتني أم رومان وأنا على أرجوحة ومعي صواحبي، فصرخت بي وأنا لا أدري ما تريد، فأخذت بيدي وأدخلتني خيمة، بل بيتاً، فإذا نسوة من الأنصار، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فغسلن رأسي وأصلحنني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ جاء ضحى فأسلمتني إليه.

قال عِياض في الإكمال: فيه جواز الابتناء بالأهل نهاراً، وعليه ترجم البخاري في باب الابتناء بالأهل نهاراً بغير مركب ولا نيران، وقال بعضهم: كلما اشتهر النكاح بمركب، أو نيران كان أولى.

قال: ومعنى النيران كثرة السراج عند الزفاف، وذلك إنما يكون ليلاً. قال: وقد تكون النيران كناية عن الولائم كما قال في أول الحديث الآخر، أو يرى دخان.

أخرج البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن امرأة زفت إلى رجل من الأنصار فقال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو»**[1].

---

(١) أخرجه الألباني في آداب الزفاف (٩٤).

أخرج النَّسائي عن محمد بن حاطب الجمحي قال: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح**»[1].

قال شريح: ومن السنة إذا دخل الرجل على المرأة أن يصلي ركعتين وتصلي خلفه، ويسألان الله خير ليلتهما، ويتعوذان بالله من شر ليلتهما.

قال ابن سيرين: تزوجت امرأة من نساء بني تميم، فلما كان ليلة البناء بها دخلت عليها. فإذا هي جالسة على باب خدرها فأهويت إليها بيدي فقالت: على رسلك[2]. فحمدت الله وأثنت عليه، ثم قالت: إن الله يضع العلم حيث يشاء، إنه بلغني أن الرجل يؤمر إذا دخل على أهله أن يصلي ركعتين، وأن تصلي امرأته معه، فإذا فرغ قال: اللهم بارك لأهلي فيَّ، وبارك لي في أهلي، اللهم ارزقني أُلفتهم ومودتهم وارزقهم ألفتي ومودتي، وحبِّبْ بعضنا إلى بعض، فقمت ففعلت، فلما فرغت أهويت إليها بيدي فقالت: على رسلك، إن الرجل يؤمر أنه إذا أراد غشيان أهله أن يقول اللهم جنبنا الشيطان، ولا تجعل له نصيباً. فقلت ذلك فلم أزل أعرف الخير والبركة.

قولها إن الرجل يؤمر إذا دخل على أهله أن يصلي ركعتين وأن تصلي امرأته معه، جاء في ذلك حديث خرجه البزار عن الحجاج بن فروخ عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج أحدكم امرأةً فكان ليلة البناء بها فليصل ركعتين وليأمرها فلتصل معه ركعتين، فإن الله جاعل في البيت خيراً**»[3].

وقولها: إن الرجل يؤمر إذا أراد غشيان أهله أن يقول: اللهم جنبنا الشيطان، جاء في ذلك حديث خرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٠٨٨)، النَّسائي في السنن (٦: ١٢٧)، ابن ماجه في السنن (١٨٩٦)، أحمد في المسند (٣: ٤١٨)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٨٩)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٨٤)، الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٢٤٢)، سعيد بن منصور في السنن (٦٢٩)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣١٢٣)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٢٢)، البغوي في شرح السنة (٤: ٢٦٣)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٢٦)، الألباني في إرواء الغليل (٧: ٥٠)، وآداب الزفاف (٩٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٣)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٠)، ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٥٣٠).

(٢) على رسلك: على مهلك، تمهَّل.

(٣) أخرجه ابن حجر في لسان الميزان (٢: ٨٠٠)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٩١).

رسول الله ﷺ: «**أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله باسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما ولد كان لم يضره شيطان أبداً**»(١).

قال عِياض: في الإكمال: قيل: هو أن لا يصرعه الشيطان، وقيل: أن لا يطعن فيه عند ولادته كما جاء في الحديث.

وروى الزبير في الموفقيات عن عمه الهيثم بن عدي عن السري بن إسماعيل عن الشعبي قال: قال لي شريح: عليك يا شعبي بنساء بني تميم، قال: وأخبرني أنه تزوج امرأة منهم، قال: فأقسمت على أهلها بعد تمام العقد أن لا تبيت إلا عندي فقالوا: اللهم غفراً نريد أن نصنعها لك ونهيئها، فقلت: حسبي ما رأيت، قال: وكنت رأيتها قبل نكاحها، فهيأوها ثم زفوها من ليلتهم إلي فأقبلت إلي مع نساء فلما وقفت بباب الحجرة سلمت، فاستخفى ذلك النساء منها، ثم دخلت البيت فقمت إليها فقلت: أيتها المرأة إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن تقوم فيصلي وتصلي خلفه ويسألان الله خير ليلتهما، ويعوذان بالله من شرها، ثم تقدمت إلى الصلاة فإذا هي خلفي فصليت، ثم انفتلت فإذا هي على فراشها، فأخذت بناصيتها فدعوت وبركت ثم مددت يدي، فقالت: على رسلك، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه وأصلي على سيدنا محمد.

أما بعد: فإني امرأة غريبة وأنت رجل لا أعرف أخلاقك فخبّرني ما تحب فآتيه وما تكره فأتجنبه، أقول هذا وأستغفر الله.

قال: فقلت الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد، أما بعد: فقد قدمت على خير مقدم، على أهل دارِ زوجك خير رجالهم، وأنت إن شاء الله سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا.

قالت: فأخبرني عن أختانك أتحب أن يزوروك؟ قال قلت: إني رجلٌ قاضٍ وأكره أن يملوني، قال: فبت بخير ليلة وأصبحت فأقمت عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء فلبثت حولاً لا أرى يوماً إلا وهو أحب إلى من الذي قبله، فلما كان عند رأس السنة انصرفت من مجلس القضاء إلى منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى، فقالت: كيف أنت يا أبا أمية؟ قلت: ومن أنت؟ قالت: ختنتك(٢)، قلت: حياك الله بالسلام، إني بخير

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣٠)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٢٨).
(٢) الختن: أهل الزوجة الأب، والأخ، والأم. [القاموس المحيط، مادة: ختن].

عافاك الله، قالت: وكيف رأيت صاحبتك؟ قلت: كخير امرأة. قالت: إن المرأة لا تكون أسوأ خلقاً منها في حالتين: إذا حظيت عند زوجها، وإذا ولدت له غلاماً، فإن رابك من أهلك شيء فالسوط، فإن الرجال ما حازن شيئاً إلى بيوتها شراً من الورهاء المدللة.

قلت: أشهد أنها بنتك قد كفتني الرياضة، وأحسنت الأدب، قال: فكانت تأتي في كل سنة فتوصي بهذه الوصية ثم تنصرف، فذلك حيث أقول:

إذا زينب زارها أهلها حشدتُ وأكرمت زوارها
وإن هي زارتهم زرتها وإن لم يكن أرى دارها

قال: فأقامت عندي عشرين سنة ما غضبت عليها يوماً قط إلا ليلة كنت عليها ظالماً، وذلك أني كنت إمام قومي فصليت ركعتي الفجر وأبصرت في الدار عقرباً فأعجلني المؤذن عن قتلها، فكفأت عليها إناء وأمرتها ألا ترفعه حتى أرجع فجئت، فوجدتها قد رفعته، فضربتها العقرب، فلو رأيتني يا شعيب وأنا أستخرج الدم من إصبعها وأقرأ عليه فاتحة الكتاب والمعوذتين[1]. قال: وكان لي جار من كندة لا يزال يضرب امرأته، وذلك حيث أقول:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم فشلّت يميني حين أضرب زينبا
أأضربها من غير جرم أتت به إليَّ فما عذري إذا كنت مذنبا

وماتت فوالله لقد بغضت إلى الحياة وأفسدت علي النساء، فوددت أني تبعتها.
ويشبه هذا الخبر الخبر الذي يرويه مالك عن يحيى بن سعيد قال: كان لسعيد بن المسيب جليس يقال له عبد الله بن أبي وداعة، فأبطأ عليه أياماً، فسأل عنه فقيل له: إن سعيد بن المسيب سأل عنك، فأتاه فسلم عليه، ثم جلس فقال له سعيد: أين كانت غيبتك يا أبا محمد؟ فقال: إن أهلي كانت مريضة فمرضتها، ثم ماتت فدفنتها. فقال: يا عبد الله أفلا علمتنا بمرضها فنعودها أو بموتها فنشهد جنازتها، ثم عزاه عنها، ودعا له ولها، ثم قال: تزوج يا عبد الله ولا تلق الله وأنت عزب، فقال: يرحمك الله ومن يزوجني، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم؟ فقال: سبحان الله، أو ليس في أربعة دراهم ما يستعف به الرجل المسلم يا عبد الله، أنا أزوجك ابنتي إن رضيت، قال عبد الله: فسكتُّ استحياءً منه وإعظاماً لمكانه.

---

(١) المعوَّذتان: سورة الفلق، وسورة الناس.

فقال: مالك سكت، سخطت ما عرضنا عليك؟

قال: فقلت: يرحمك الله، وأين المذهب عنك، لأعلم إنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف.

قال: فقم يا عبد الله فادع هؤلاء النفر من الأنصار.

فقمت فدعوت له حلقة من الأنصار فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم، ثم انقلبنا فلما انقلبنا صلينا العشاء الآخرة، وسرت إلى منزلي إذا برجل يقرع الباب.

فقلت: من هذا؟

قال: سعيد.

فخطر ببالي كل سعيد عرفته في المدينة غير سعيد بن المسيب، وذلك قط أنه ما رؤي خارجاً من داره إلا إلى المسجد، أو إلى جنازة.

قال: فقلت: من سعيد؟

قال: سعيد بن المسيب.

فارتعدت فرائصي، فقلت: لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلني فخرجت إليه أجر رجلي، وفتحت الباب فإذا أنا بشابة متلففة بساح، ودواب عليها متاع وخادم بيضاء فسلم عليّ وقال: يا عبد الله هذه زوجتك.

فقلت مستحيياً منه: يرحمك الله كنت أحب أن يتأخر ذلك أياماً.

فقال لي: لم أولست أخبرتني أن عندك أربعة دراهم؟

قلت: هو كما ذكرت لك، ولكني كنت أحب أن يتأخر ذلك.

قال: إنها إذاً عليك لغير ميمونة، ما كنت لأريد أن يسألني الله عن عزوبتك الليلة وعندي لك أهل، هذه زوجتك، وهذا متاعكم، وهذه خادم تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم، فخذها يا عبد الله بأمانة الله، فوالله إنك لتأخذها صوامة قوامة عارفة بكتاب الله وسنة رسوله، فاتق الله فيها ولا يمنعك مكانها مني إن رأيت منها ما يكره أن تحسن أدبها. ثم أسلمها إليّ ومضى.

قال: فوالله ما رأيت امرأة أقرأ لكتاب الله تعالى ولا أعرف بسنة رسوله ﷺ، ولا أخوف لله عز وجل، لقد كانت المسألة المعضلة تعيي الفقهاء، فأسألها عنها فأجد عندها منها علماً.

قال: فأقمت معها ما شاء الله ثم رزقني الله منها حملاً، وكان سعيد كثيراً ما يسألني عنها فيقول: ما فعلت تلك الإنسانة؟ فأقول: بخير.

فيقول: يا عبد الله إن خف عليك أن تُزيرناها فافعل. فلما حضر ولادها خرجت لأنظر فيما ينظر فيه الرجل لأهله، ورجعت إلى الدار فإذا بها شخص قائم ما رأيته قط. فنادتني من ورائي: يا عبد الله ادخلْ فقد أحل الله لك هذه النظرة.

قلت: ومن أنت يرحمك الله؟

قالت: أنا أم هذه الفتاة، يا عبد الله. كيف رأيت أهلك؟

قلت: جزاكم الله من أهل بيت خيراً فقد ربَّيْتم فأحسنتم وأدبتم فأحكمتم.

فقالت: يا عبد الله لا يمنعك مكانها مني أن ترى بعض ما تكره فتحسن أدبها، يا عبد الله لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[1]، ولا تكثر التبسم في وجهها فتستخف بك، يا عبد الله بارك الله لكما في المولود وجعله مباركاً خائفاً لله، وقاه الله فتنة الشيطان، وجعله شبيهاً بجده سعيد، فوالله إني تزوجته منذ أربعين سنة ما رأيته عصى الله قط معصية، وهذه نفقة بعث بها إليكم.

قال: فأخذتها منها فإذا هي خمسة دنانير، ثم خرجت فلم أر لها وجهاً ثمان عشرة سنة حتى قضى الله علينا بالموت.

قال الغزالي: استعجال سعيد في زف المرأة إلى زوجها من ليلتها يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى إطفائها بالنكاح.

أخرج أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»**[2].

قال أبو الزناد: كنت رجلاً مئناثاً، فقيل لي: أستغفر الله قبل المجامعة فولد لي بضعة عشر ذكراً.

ويستحب للمرأة ليلة بنائها أن لا تفرط في التمتع على زوجها فيما يريده منها،

---

(١) القهرمانة: المرأة الشريرة. [القاموس المحيط، مادة: قهر].

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٢١٦٠)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٤٤٦)، ابن تيمية في الكلم الطيب (٢٠٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤١٦٥٨).

ولا بأس بالامتناع الخفيف الذي يهيجه يقوّي حرصه، فإن قوي امتناعها فربما يؤدي ذلك إلى انكسار شهوته وعجزه عن الافتضاض ليلته تلك، فتبيت المرأة معه بليلة حرة.

يقال: باتت العروس بليلة حرة على الإضافة إذا لم يقدر بعلها على افتضاضها أول ليلة، فإن افتضها من ليلته قيل: باتت بليلة شيء على الإضافة أيضاً.

قال النابغة:

شمس موانع كل ليلة حرة   يخلفن ظن الفاحش المعيار

قال الأصمعي: أراد موانع كل ليلة شيئاً، فوضع حرة موضع شيئاً للازدواج والعلم بما أراد.

وربما تمادى انكسار الشهوة أول ليلة إلى انكسارها زمناً طويلاً فيجب على المرأة أن تحذر من هذا كل الحذر.

قال صاحب نثر الدر وأبو الفرج في الأغاني: لما أهديت نائلة بنت الفرافصة إلى عثمان، وكان أخوها زوَّجها منه، وُضع لها سرير إلى جانب سريره فجلست عليه فقال لها عثمان: إما أن تقومي إليّ وإما أن أقوم إليك.

فقالت: والله ما تجشمت إليك سماوة كلب وأنا أمتنع عليك في مجلسك عرض لبساط، وقامت وجلست معه فوضع قلنسوته، وقال: لا يروعك ما ترين من صلعي فإن وراء ذلك ما تحبين.

فقالت: إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهول الصلع، قال: ألقي رداءك، فألقته.

قال: اطرحي خمارك فطرحته، ثم قال: انزعي درعك فنزعته، ثم قال: حلي إزارك، قالت: ذلك إليك، قال: صدقت.

وبنى بها فأعجبته فولدت ابنته مريم، وقتل وهي عنده فخطبها بعده أشراف قريش فلم تنكح بعده أحداً حتى ماتت.

الفرافصة هنا مفتوح الفاء الأولى، قال ابن الأنباري وكل فرافصة في العرب فهو مضموم الفاء الأولى إلا أبا نائلة هذا.

قال أبو الفرج في كتاب النساء عن ابن الماجشون: زوَّج معاوية ابنته هنداً من عبد الله بن عامر، فسمع معاوية يوماً جاريتين له تتحدثان وتذكران أنها لم تمكن زوجها من

شيء، وذلك بعد دخوله عليها بشهر، فركب معاوية حتى أتى باب عبد الله فدخل معه البيت، وأرخت هند قبتها فتحدث معاوية وعبد الله ساعة، ثم ضرب معاوية جانب القبة بخيزرانة كانت في يده وقال:

مـن الخفـرات البيـض أمـا حـرامهـا فصعـب وأمـا حلهـا فـذلـولُ

ثم قام وفهمت منه ما أراد ودخل عليها عبد الله فمكنته من نفسها وما برح حتى قضى حاجته منها.

أخرج النَّسائي عن عبد الله بن سرجس أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أتى أحدكم أهله فليلق على عجزه وعجزها شيئاً ولا يتجردان تجرد العيرين»**[١].

ويتصل هذا الحديث من جهة صدقة بن عبد الله، وليس بقويٍّ عن زهير بن محمد.

أخرج أبو أحمد بن عدي من حديث عباد بن كثير عن محمد بن جابر بن طلق عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها كما يجب أن يقضي حاجته»**[٢].

قال الغزالي في كتاب الإحياء: من آداب النكاح التي حَضَّ رسول الله ﷺ عليها إذا قضى الرجل وطره من الإنزال أن يمهل المرأة حتى تقضي أيضاً وطرها، فإن إنزالها قد يتأخر عنه، فالقعود عنه إذ ذاك إيذاء لها.

قال: والاختلاف في وقت الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً، وإن سبقت هي فذلك لا يضره، أعني الزوج.

قال: والتوافق في وقت الإنزال ألذ للمرأة ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي.

وذكر الغزالي أن من آداب الجماع أيضاً أن ينحرف عن القبلة فلا يستقبلها إكراماً لها، وأن يقدم قبل الوقاع الملاعبة والتلطف بالكلام والتقبيل.

وذكر في ذلك حديثاً عن النبي ﷺ: **«لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول»** قيل: ما هو يا رسول الله؟ قال: **«القبلة والكلام»**[٣].

---

(١) أخرجه الزيلعي في نصب الراية (٤: ٢٤٦).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٧٦)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢١٦٠).

(٣) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٥٢)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٧٢).

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من العجز في الرجل: أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه، وأن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته، وأن يقارب المرأة فيصيبها قبل أن يحادثها ويؤانسها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه**»(١).

قال: ويكره الجماع في ثلاث ليالٍ من الشهر: الأولى، والوسطى، والأخرى، فإنه يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي.

قال: وقد رويت كراهة ذلك عن علي رضي الله عنه ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وذكر أن من العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقاً لأحد التأويلين لقوله ﷺ: «**من غسل واغتسل...**»(٢).

قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»(٣).

وفي رواية: «**إن من أعظم الأمانات عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**»(٤).

قال عِياض في الإكمال: وقد جاء في النهي عن ذلك أحاديث كثيرة ووعيد شديد.

قال: وإنما المنهي عنه أن يصف ما تفعله من ذلك ويكشف الحال فيه، إذ هو من كشف العورة والنظر أو بالوصف، وأما ذكر مجرد المجامعة والخبر عنه على الجملة فغير منكر إذا كان لفائدة والمعنى كما قال عليه السلام: «**إني لأفعله أنا وهذه**»(٥).

وذكره لغير فائدة ليس من مكارم الأخلاق، ولا من فعل أهل المروءات.

---

(١) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥: ١٠٧).

(٣) أخرجه الألباني في آداب الزفاف (٦١).

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (١٠٦٠)، أحمد في المسند (٣: ٦٩)، السيوطي في الدر المنثور (٥: ٢٢٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٨٦)، ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٠٨)، أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠: ٢٣٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٩٦٩)، العجلوني في كشف الخفا (٢: ٢٧٧).

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٧٢)، البيهقي في السنن الكبرى (١: ١٦٤)، ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦١٠)، الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧٦).

قال: صلى رسول الله ﷺ في المسجد، ومعه صفان من رجال وصف من نساء، أو صفان من نساء وصف من رجال، فلما قضى صلاته أقبل على الرجال وقال: **«إن منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وأرخى عليه ستره واستتر بستر الله»** قالوا: نعم. قال: **«ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا وفعلت كذا»** قال فسكتوا، قال ثم أقبل على النساء، فقال: **«هل منكن من تحدّث»** فسكتن. فجثت فتاة كاعب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله إنهم ليحدّثون وإنهن ليتحدّثنه. فقال ﷺ: **«تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك كمثل شيطانة لقيت شيطاناً في السكة فقضى منها حاجة والناس ينظرون إليه»**[1].

قال الخطابي في غريب الحديث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن السباع.

قال الخطابي: السباع: المفاخرة بالجماع وإفشاء الرجل ما يجري بينه وبين زوجه فيه، مأخوذ من قولك: سبعت الرجل أي اغتبته وذكرت فيه ما يكره، لأن أمر الجماع مما يكره ذكره، ويستر عن الناس أمره.

وفي الحديث تأويل آخر، ولا بأس أن يُسأل الرجل صبيحة بنائه كيف وجد أهله.

فقد جرت العادة بذلك، وقد سأل مالك ابن الحارث الأشتر عليًا ـ رضوان الله عليه ـ عن ذلك فأجابه وأخبره بالصفة التي وجدها عليه، غير أنه يستحب له إن وجد عيباً من قبح أو غيره أن يستره ويخبر بأمر عام أنه لم يرضها، أو أنها لم توافق أخلاقه، وإن وجد جمالاً فائقاً، أو حسناً بارعاً، أو أدباً بالغاً فلا يفرط في وصفه ويبالغ في ذكره كما يفعله كثير من السخفاء، فإن ذلك ضعف ودناءة، ثم قد تنشأ عن ذلك مفاسد كثيرة.

حكى أبو عثمان في كتاب النقائض قال: كانت لمعبد السليطي امرأة تسمى حميدة وهي من بني رزام بن مالك بن حنظلة، وكانت فائقة الجمال، وكان زوجها معبد قد أخرجه الحجاج في بعث خراسان فكان يحدث جلساءه بجمالها ويظهر التشوق إليها، حتى همَّ أن يعصي ويرجع، فوقعت محبتها في قلب خوطبان أحد بني العتيك، فقال لمعبد: إني أحب أن ألحق بالبصرة، فقال له معبد فإني أكتب معك كتاباً إلى حميدة، فلما قدم عليها أتاها بكتاب زوجها معبد، وقال: لا أدفعه إلا إليها فكلمها

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢١٧٤).

وأوقع إليها شيئاً مما بقلبه من محبتها، ولم يزل يختلف إليها ويخدعها حتى هربت إليه فاختبأت عنده حولاً فدل عليها أهلها وقد حملت، فأتى بها إلى عبد الرحمٰن بن عبيد العبسي، وكان على شرطة الحجاج فرجمها.

ولبعضهم في المعنى:

رزء أميــة كــان السليطــي معبــد حبهــا معجباً إذ لا تخــاف الــدوائــر

والمرأة وإن كانت عفيفة، ولم تكن ممن يخشى عليها مثل هذا، وكان السامع لوصفها كذلك فقد يبقى في نفسه شيء من أمرها يحمله على تربص الدوائر بها وانتظار ما يمكنه التوصل به إليها على الوجه المشروع: من موت زوجها أو تطليقه، فيثب عليها ويتزوجها بوصف زوجها، فليحذر كل الحذر من ذلك، والله الموفق.

باب في الزينة والتطيُّب

النساء لعب الرجال كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فليزين الرجل لعبته ما استطاع، فإن ذلك أدعى لشهوته وأملأ لعينه، وأظهر لمحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة.

قال أبو الفرج في كتاب النساء ما معناه: إن المرأة تحظى عند الرجل. بعد تمام خلقها وكمال حسنها بأن تكون مواظبة على الزينة والنظافة، عالمة بما يزيد في حسنها من أنواع الحلى واختلاف الملابس ووجوه التزين، وما يوافق الرجل ويستحسنه في ذلك كله.

قال: ولتحذر كل الحذر من أن يقع بصر الرجل على شيء يكرهه من وسخٍ أو رائحة مستكرهة، أو تغير من شعث أو غيره.

وقال أبو ريحان في فصل من كتابه المسمى بالجماهر ما معناه أيضاً: إنه يجب على المرأة أن تتجمل لبعلها وتزيد في تحسين نفسها ما أمكن ذلك بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ والحجرة وتزيين الألوان في البدن وفي ما أحاط به.

أما في البدن فبتبييض البشرة بالغمر وتوريدها، وخاصة إذا كانت فيها صفرة أصلية، أو عارضية وبتسويك الأسنان وتخليلها، وتنقية العين وتكحيلها وتقليم الأظافر وتسويتها.

وأما في ما أحاط بالبدن فالثياب أول ذلك وأولى لمماستها إياه فواجب أن تنظفها وتصقلها لئلا يسرع تعلق الأدران بها، وليكن ذلك على اللون العام المحمود وهو البياض، أو تلونها بحسب الوقت وعادة الزمن.

وقال التيفاشي في قادمة الجناح: أجمع علماء الفرس وحكماء الهند من العارفين بأحوال الباءة على أن إثارة الشهوة واستكمال المتعة لا تكون إلا بالموافقة التامة من المرأة وتصنعها لبعلها في وقت نشاطه مما تتم به شهوته وتكمل به متعته من التودد والتملق والإقبال عليه، والمثول بين يديه في الهيئات العجيبة والزينة المستظرفة التي

تحرك الشهوة من ذوي الانكسار والفتور وتزيد ذوي النشاط نشاطاً.

قال: فالمرأة الفطنة الحسنة التبعل تراعي جميع هذه الأحوال وما سواها مما تتم به متعة الزوج وتتفقد من أحوال ظاهرها وباطنها وشاهدها وغائبها ما تأمن معه أن يسبق طرف بعلها، أو أنفه حالة يذمها، أو يكرهها من أجلها، وترى مع ذلك أن نظرها إنما هو لنفسها، وإن الحظ في تضييعها عائد عليها خشية أن يتبين لبعلها التقصير منها فتطمح نفسه إلى غيرها.

قال: وأعظم محافظة الفطنة على أحوال خلوتها وأكثر احتفالها واستعدادها للأوقات التي يعتاد قربه منها، وهي في الغالب الأوقات التي ذكرها الله تعالى في كتابه ونهى المماليك والولدان عن الدخول إليها فيها إلا بعد الاستئذان قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾ [النور: ٥٨] انتهى ما ذكره التيفاشي.

وقد ذكر الله تعالى الزينة في القرآن فقال تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

قالت أم شبيب: سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن الزينة الظاهرة فقالت: هي الكحل والخضاب.

وروى معاوية بن يحيى أن امرأة دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فسألها رسول الله ﷺ عنها فقالت: هي فلانة زوج فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأكره المرأة أن تكون ملداء مرهاء ليس في عينيها كحل**»(١). والملداء التي ليس في أطرافها حناء.

وورد الحرص على التكحل بالإثمد في غير ما حديث، وقال فيه رسول الله ﷺ: «**إن خير أكحالكم الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر**»(٢).

وقال عبد الله بن جعفر لابنته حين هدائها على زوجها: عليك بالزينة. واعلمي أن

---

(١) المرهاء: هي التي لا تكتحل، والمره مرض يصيب العين لترك الكحل. [القاموس المحيط، مادة: مره].

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (الطب ب ١٤)، أبو داود في السنن (١: ٣٦٣)، الحاكم في المستدرك (٤: ٤٠٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٦٥)، الترمذي في الشمائل (٣١).

أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء. وقال أيضاً أبو الأسود مثل ذلك لابنته.

قال رسول الله ﷺ: «**حُبِّبَ إليَّ من الدنيا ثلاث: النساء، والطِّيب، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة**»(1).

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن النساء لُعب الرجال، فليزيّن الرجل لعبته ما استطاع، فإن ذلك أدعى لشهوته، وأملأ لعينه، وأظهر لمحاسن المرأة، وأَدْوَم للألفة، وأبقى للمحبة.

إن المرأة تحظى عند الرجل بعد تمام خُلقها، وكمال حسنها بأن تكون مواظبة على الزينة، والتطيُّب، والنظافة، عالمة بما يزيد في حسنها من أنواع الحُلي، واختلاف الملابس، ووجوه التزيّن، وما يوافق الرجل ويستحسنه في ذلك كله.

ويجب على المرأة أن تتجمل لزوجها في تحسين نفسها ما أمكن، وذلك بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ، والحجرة، والتزيين بالألوان في البدن، وفي ما أحاط به.

أما في البدن فبتبييض البشرة وتوريدها، وخاصة إذا كانت فيها صفرة أصلية أو عارضة، وبتسويك الأسنان وتخليلها، وتنقية العين وتكحيلها، وتقليم الأظافر وتسويتها.

أما التعطّر أو التطيُّب فقد حضّ عليه النبي ﷺ بقوله: «**حُبب إليَّ من الدنيا ثلاث: النساء، والطيب، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة**»(2).

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢)، القاضي عِياض في الشفا (١: ١٩٤)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٨٩١٣)الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٦)، الذهبي في الطب النبوي (٢٠)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠)، ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٧)، السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢٦١)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦)، القرطبي في التفسير (٢: ١٤)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٤٠٥)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (١٧٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٧١).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢)، القاضي عِياض في الشفا (١: ١٩٤)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٨٩١٣)الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٦)، الذهبي في الطب النبوي (٢٠)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠)، ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٧)، السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢٦١)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦)،=

وفي حديث آخر له ﷺ: «**أربع من سُنَّة المرسلين: الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح**»[1].

ومن الزينة ذكر النورة وهو ما يعرف بأيامنا بإزالة الشعر الزائد في الجسم بواسطة السكر، أو الشمع

قال الحكيم أبرويز: إن اللذات أربع: لذة ساعة وهي: الجماع، ولذّة يوم وهي: الحمام، ولذّة جمعة وهي: النورة، ولذّة حول وهي: تزوج بكر.

أما الرجل فعليه من التطيُّب، والزينة ما على المرأة تقريباً، كما يجب أن يتهيّأ لزوجته كما تتهيّأ له.

قال مثله أسماء بن خارجة لابنته حين هدائها إلى الحجاج، فاتفقوا جميعاً على توصيتهن بالزينة وأكدوا منها في الكحل، وكذلك أيضاً حض النساء على الخضاب، وكره النبي ﷺ أن تكون يد المرأة كيد الرجل.

فروى الأوزاعي عن معاوية بن سلمة أن رسول الله ﷺ رأى امرأة لا تخضب فقال: «**تدع إحداكن يدها كيد الرجل**»[2]. قال: فما زالت تختضب، وقد جاوزت السبعين حتى ماتت.

وأخرج أبو داود عن صفية بنت عصمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: أومأت امرأة من وراء ستر بكتاب في يدها إلى النبي ﷺ فقبض رسول الله يدها وقال: «**ما أدري أيد رجل أم يد امرأة**»!! فقالت: بل امرأة. قال: «**لو كنت امرأة لغيرت أظافرك بالحناء**»[3].

= القرطبي في التفسير (٢: ١٤)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٤٠٥)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (١٧٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٧١).

(١) رواه الترمذي في السنن (١٠٨٠)، وأبو داود في السنن (٥: ٤٢١)، والبغوي في شرح السنة (٩: ٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٤: ١٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤: ٣٨٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٦٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤: ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١: ٦٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٢٨)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٧٢٣٦)، الألباني في إرواء الغليل (١: ١١٦)، ابن أبي شيبة في المصنف (١: ١٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن (٣٤٩٧)، أحمد في المسند (١: ٢٣١).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٤١٦٦)، أحمد في المسند (٦: ٢٦٢)، البيهقي في السنن الكبرى =

قال ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ تبايعه ولم تكن مختضبة فلم يبايعها حتى اختضبت..

كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ينهى عن التطاريف والنقش، ويأمر بالخضاب.

قال عبد الملك: وليس العمل على ذلك، بل جاءت الرخصة فيه، وقد دخل النبي ﷺ على امرأة من الأنصار وهي تختضب فقال: «**هلا صنعت يا أم فلان كذا**»[١]! ووصف بإصبع يده اليمنى على كفه اليسرى كأنه يريد النقش[٢].

قال بعضهم: رأيت قينة خضبت يدها بالحمرة ونقشت فيها بالسواد. هذا البيت:

ليس حُسن الخضاب زين لكفي حُسن كفي مزين للخضاب

قيل: إن امرأة أتت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فسألتها عن خضاب الحناء فقالت: لا بأس به، ولكن أكرهه لأن رسول الله ﷺ كان يكره ريحه.

وليس هذا الحديث بمناقض لما تقدم من الأمر بالخضاب، فإن كراهة النبي ﷺ ليست أمراً شرعياً، وإنما أمر طبعيٌّ، والطباع تختلف، وإنما الناس تتعبد باتباعه ﷺ في الأمور الشرعية.

ويلحق بما ذكرناه من الكحل والخضاب السواك[٣] وهو جامع بين النظافة

= (٧: ٧٦)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٢: ٢٣٦)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٤٦٧).

(١) أخرجه البزّار في كشف الأستار (٣: ٣٨٤).

(٢) النقش لا يعني أبداً الوشم، فالنقش يشبه في أيامنا الحاضرة تلك الرسوم التي تلصق على الجسم بالماء ولا حاجة لوخز الإبر فيها، فالوشم مرفوض وملعون فاعله، قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات**» فالواشمات هنّ اللواتي يشمن على أجسادهن والمستوشمات هن اللواتي يقمن بالوشم، وقد أخرج هذا الحديث البخاري في الصحيح (٧: ٢١٢)، مسلم في الصحيح (اللباس ب ٣٣ رقم ١٢٠)، أبو داود في السنن (٤١٦٩)، أحمد في المسند (١: ٤٣٤)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٣١٢)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٤٣١)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٠٥٢٣)، السيوطي في الدر المنثور (٦: ١٩٤)، ابن الجوزي في زاد المسير (٢: ٢٠٥)، ابن حجر في فتح الباري (١: ٣٧٢)، ابن كثير في التفسير (٢: ٣٦٨)، القرطبي في التفسير (٥: ٣٩٢).

(٣) أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن السواك قاتل فعّال للبكتيريا وذلك بعد وضعه فترة في أنبوب خاص، اتّضح أن السواك يحتوي على مادة قاتلة للبكتيريا.

والزينة، وقد ورد الحضُّ عليه في الأحاديث النبوية، وتكلم الأطباء على منافعه، فذكروا أنه يجلو الأسنان ويقويها إذا كان باعتدال، ويشد العمور، ويمنع الحفر، ويطيب النكهة ويطلق حبسة اللسان.

ويروى عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها ذكرت السواك فقالت: «يجلو البصر، ويذهب الحفر، ويرضي الرب، وتفرح به الملائكة، وتتضاعف به الحسنات»، تعني في الصلاة.

فقد جاء في الحديث النبوي الشريف عنه ﷺ: **«صلاة بسواك خير من ألف صلاة بغير سواك»**[(١)].

قال أبو الفرج في كتاب «النساء»: ولم يكن في عهد رسول الله ﷺ أكثر استعمالاً للسواك من نسائه ﷺ.

قالوا: وفي فم الإنسان خصلتان من خصال السنة كلتاها مصلحة له: السواك والمضمضة، وليس في الأرض دواء أبلغ في صحة الإنسان ونقائها من المضمضة، فإن الماء مصاص وغسال وجلاء وطهور.

وجاء في الحديث: **«استاكوا عرضاً»**[(٢)] تحرزاً مما يعرض للثة من التقلع إذا استيك طولاً.

وينبغي أن يستاكوا بخشب فيه قبض ومرارة، وسواك الأراك من أحسن ما يُستاك به لمن قصد نقاء الأسنان خاصة، ومن قصد مع ذلك صبغ اللثة، أو الشفة فقشر أصول الجوز.

ويتبع السواك التخلل وهو أيضاً ضروري للأسنان فإنه إن لم يخرج ما في تضاعيفها تغيرت رائحته وحدث فساد في أصولها، فينبغي أن يخرج ذلك من غير إلحاف.

ونُهي عن التخلل بالحلفاء وبالريحان، أما القصب والحلفاء فقيل: إن فيهما سمية تضر بالأسنان. وأما الريحان فلا أعلم علة النهي عنه.

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (٢: ٣٣)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٠٣).

(٢) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٣)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٣).

ولأبي الجوائز الواسطي في سواكٍ قال الباخرزي في «دمية القصر» أنشدنيه لنفسه وهو أحسن ما سمعته في ذلك:

هنيئاً على رغمي لعود أراكة ... تسوك بها الذلفاء مبسمها العذبا
لأن شعبت منه لقد زار ثغرها ... أراكاً يبيساً فانتهى مندلاً رطبا

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض الفتيات مسواكاً وكتب إليها:

قد بعثناه لكي تجلي به ... واضحاً كاللؤلؤ الرطب أغر
طاب منه العرف حتى خلته ... كان من ريقك يسقَى في الشجر
وأما والله لو يعلم ما ... حظه منك لأثنى وشكر
ليتني المهدي فيروي عطشي ... بُرد أنيابك في وقت السحر

وأما الطيب فالشرع والطبع متفقان على استحسانه واستحبابه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء، والطيب، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة**»[(١)]. فالنساء والطيب من المحببات لرسول الله ﷺ.

وفي حديث آخر: «**أربع من سنن الإسلام: الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح**»[(٢)].

وخرّج أبو داود من حديثه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت له سكة يتطيب منها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢)، القاضي عِياض في الشفا (١: ١٩٤)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٨٩١٣)الكحال في الأحكام النبوية في الصناعة الطبية (٢: ١٦)، الذهبي في الطب النبوي (٢٠)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠)، ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٧)، السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢٦١)، ابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦)، القرطبي في التفسير (٢: ١٤)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٤٠٥)، علي القاري في الأسرار المرفوعة (١٧٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤)، السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٧١).

(٢) رواه الترمذي في السنن (١٠٨٠)، وأحمد في المسند (٥: ٤٢١)، والبغوي في شرح السنة (٩: ٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٤: ١٩)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤: ٣٨٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٦٥)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤: ٣٨٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١: ٦٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٢٨)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٧٢٣٦)، الألباني في إرواء الغليل (١: ١١٦)، ابن أبي شيبة في المصنف (١: ١٧٠).

وفي بعض الأحاديث: «خير نسائكم العطرة المطرة»[1].

قال الخطابي في «غريب الحديث»: «العطرة»: التي تكثر استعمال الطيب، و«المطرة»[2]: التي تكثر الاغتسال والتنظف بالماء.

قال عِياض في «الإكمال»: التطيب مندوب إليه في الشرع لمن قصد به مقاصد الشرع من تعظيم أيام الجمع والأعياد مثلاً، وأن يدفع عن نفسه من الروائح الخبيثة، وأن يدخل على المسلمين بشم ذلك رائحة طيبة، وأن يستعمل ما يوافق الملائكة.

فقد ورد أنهم يتأذون بالرائحة الكريهة، وأن يظهر نظافته ومروءته بين إخوانه وأهله، وأن يقوي دماغه وقلبه لتأثير الطيب في تقوية هذه الأعضاء، وأن يستعين بذلك على ما يحتاج إليه من أمور النساء، فله في ذلك من التأثير ما لا ينكر.

وقال أبو ياسر البغدادي في رسالته المعروفة بـ «رسالة الطيب» وذكر منافع الطيب على اختلاف أنواعه فقال: وبالجملة فالطيب كله من أعظم لذات البشر وأقواها لدواعي الوطء[3]. وقضاء الوطر. ولذلك قال مسيلمة عند اجتماعه بسجاح: استكثروا لها من الطيب، فإن المرأة إذا شمت الطيب ذكرت الباءة.

وقولهم في المثل[4]: لا عطر بعد عروس[5]، يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه.

قال بعضهم: أصل المثل أن رجلاً تزوج امرأة فوجدها شعثة تفلة[6] فقال لها: أين عطرك؟! فقالت: خبأته لوقتٍ غير هذا! فقال: لا عطر بعد عروسٍ.

وقيل في المثل غيرُ هذا. وأما التحلي بالذهب والفضة وأنواع الجواهر فبعضهم

---

(١) إن للعطر أثراً كبيراً على الحياة الزوجية، فكثيراً ما يتعطّر الرجل بعطر لا تحبه المرأة، والعكس صحيح، إذن على كلّ من الرجل والمرأة مراعاة هذه القضية والانتباه لها، فالعطر من أهم ما يستمتع به البشر وأقواه في دواعي الوطء.

(٢) المطرة: هي التي تتنظف بالماء، وقيل هي التي تلازم السواك.

(٣) الوطء: الجماع. [لسان العرب، مادة: الوطء].

(٤) «لا مخبأ لعطر بعد عروس» يضرب هذا المثل للشيء يُستعجل عند الحاجة إليه. لكل مقام مقال، حكم وأمثال، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

(٥) عروس: اسم الرجل والمرأة، فإذا كان الرجل فجمعه عُرُس، والمرأة: عرائس. [لسان العرب، مادة: عرس].

(٦) تفلة: أنتن ريحها لترك الطيب والادّهان. [لسان العرب، مادة: تفل].

يستحسنه من المرأة، وبعضهم يفضل العاطل[1] على المتحلية.

قال ابن الجهم: اشتريتُ جاريةً فكنت أريد أحليها فتأبى ذلك وتقول: إنه يغطي المحاسن كما يستر القبائح. وحكى ابن الجوزي عنه في كتاب «الأذكياء» أنه قال: قلت لهذه الجارية ليلةً: كم بيننا وبين الصبح؟ قلت: عناق مشتاق.

قال: ونظرت يوماً إلى الشمس كاسفة، فقالت: احتشمت من محاسني فانتقبت. قال: وقلت لها ليلة: تعالي نجلس في القمر. قالت: ما أولعك بالجمع بين الضرائر.

أبو الفرج في كتاب «النساء» قال: كست سكينة بنت الحسين ابنة لها دراً كثيراً، وقالت: ما كسوتها إياه إلا لتفضحه بمحاسنها.

أخذه مالك بن أسماء فقال:

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسنُ وجهك زينا
وتزيدين أطيب طيباً ... فإن تمسيه أين مثلك أينا

وفي قصيدة ابن مطير:

محبرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها

وقال يزيد بن معاوية في أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر:

إنها بين عامر بن لؤي ... حين تدعى وبين عبد مناف
ولها في المطيب مجد ... ثم نالت ذوائب الأحلاف
لا تراها على التعطل والبذلة ... إلا كدرة الأصداف

وكان يزيد قد بلغه عن أم كلثوم هذه حسنٌ فائق وجمالٌ رائق فوقعت في قلبه فكتب إلى أبيها يخطبها إليه.

لم يوافق إلا بعدما قل ما بيده وكثرت ديونه فزوجها له، وقد كان قبل ذلك منعه ورده وأهداها إليه إلى دمشق فلما رآها ازداد بها عجباً وبها حبًّا.

وأنشد الحصري في «الزهر» لبعضهم:

تعطلن إلا من محاسن أوجه ... فهن حوال في الصفات عواطل
برزن عفافاً واحتجبن تستراً ... وشيب بقول الحق منهن باطل
فذو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامع ... وهن عن الفحشاء حيدُ نواكل

(١) العاطل: المرأة العاطل وهي التي لا تتحلى بالجواهر والذهب. [لسان العرب، مادة: عطل].

باب في زينة الرجل

روى مكحول عن عائشة رضي الله عنها: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج يريدهم فجعل يسوي شعر رأسه ولحيته، قالت: فقلتُ: يا رسول الله رأيتك تفعل هذا! قال: «**نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**ليتهيأ الرجل لزوجه كما يحب أن تتهيأ له**»[2].

ومن الكتاب المذكور قال: أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بزوج لها أشعث أغبر، فقالت: لا أنا ولا هذا خاصمني منه.

فنظر عمر رضي الله عنه إليه فعرف ما كرهت منه فأشار إلى رجل فقال: اذهب فجممه وقلم أظافره وخذ من شعره وائتني به.

فذهب ففعل ذلك ثم أتاه فأومأ إليه أن خذ بيدها فأخذ بيدها وهي لا تعرفه، فقالت: يا عبد الله سبحان الله، أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟! فلما عرفته ذهبت معه.

فقال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا معهن فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قال: يتزين الرجل للمرأة كما يحب أن تتزين له، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال عمر رضي الله عنه: لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون.

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٩).

(٢) استعداد الزوج للقاء زوجته ضروري، ويجب أن تلاقي منه ما يلاقي منها من المحبة والتطيُّب والاهتمام، وهذا من حرص الإسلام على حياة زوجية سعيدة في ظل الإسلام.

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة في الطواف تقول:

فمنهن من تسقى بعذبٍ مبرد ... نقاح فتلكم أيمن الله قرت
ومنهن من تسقى بأخضر آجن ... أجاج فلولا خشية الله فرت

ففهم عمر رضي الله عنه شكواها فاستدعى عمر رضي الله عنه زوجها فرأى رجلاً قبيحاً فخيّره بين خمسمائة درهم، أو جارية من الفيء على أن يطلقها فاختار خمسمائة درهم فأعطاه إياها وطلقها.

قال: ابن عبد المؤمن: بينما معن بن زائدة جالساً إذا أتته امرأة من بني سهم أحسن الناس وجهاً، فقالت: أصلح الله الأمير، إن عمي زوجني من ليس بكفء. فقال: عليَّ بزوجها، فأدخل عليه رجل من أقبح الناس وجهاً، فقال: من هذه منك؟ فقال: امرأتي. فقال: خل سبيلها، ففعل الرجل ذلك. فأطرق معن ساعة ثم قال:

أتيت بها مثل المهاة تسوقها ... فيا حسن مجلوب ويا شر جالب
لعمري لقد أصبحت غير محبب ... لديها ففارقها فراق الأجانب

وأنشد المبرد في «الكامل» لبعضهم قال: قال صاعد في كتاب «الفصوص»: قد وجدت هذين البيتين بخط إسحاق بن إبراهيم الموصلي وهما لبعض العرب:

ألا يا عباد الله قلب متيم ... بأحسن من صلى وأقبحهم بعلاً
يدبُّ إلى أحشائها كل ليلة ... دبيب القربى بات يقرو نقي سهلاً

وأنشد غيره:

ألا رُبَّ حوراء المحاجر طفلة ... تساق إلى وغد[1] من القوم تنبال[2]
يقولون جرّتها إليه قرابة ... فويح العذارى من بني العم والخال

وأنشد أبو علي في كتاب «الأمالي» لأعرابي:

يا عمرو كم من مهرة عربية ... الناس قد بليت بوغد يقودها
يسوس وما يدري لها من سياسة ... يريد بها أشياء ليست تريدها

أراد «بليت» فسكن اللام تخفيفاً، وبعضهم يرويه «بلت» بتشديد اللام من قولك: «بلي فلان بكذا أي صله به».

---

(١) الوغد: الرجل الدنيء الحقير. [لسان العرب، مادة: وغد].
(٢) التنبال: القصير. [لسان العرب، مادة: تنبل].

قال ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء»: دخل عمران بن قحطان على امرأته حمدة وقد تزينت وكانت امرأة جميلة، وكان عمران قصيراً قبيحاً، فلما نظر إليها ازدادت في عينه حسناً فلم يستطع أن يصرف بصره عنها، فقالت: ما لك؟! قال: والله أصبحت جميلة. فقالت له: أبشر فإني وإياك في الجنة. قال: من أين علمتِ هذا؟ قالت: أُعطيتَ مثلي فشكرتَ وأعطيتُ مثلكَ فصبرتُ، والشاكر والصابر في الجنة. فخجل ونهاها أن تعود لمثل ذلك. قال بعضهم: خرجت إلى ناحية الطفاوة فإذا أنا بامرأةٍ لم أر أجمل منها، فقلت: أيتها المرأة إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلميني.

قال: فقالت له: وماذا تريد مني ولي شيءٌ لا أراك ترتضيه. قلت: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي. قال: فثنيت عنان دابتي مولياً عنها فاسترجعتني، وقالت: والله ما بلغت العشرين بعد، وهذا رأسي ـ وكشفت عنه فإذا هو عناقيد كالحمم ـ ولكني رأيت في رأسك مثل ذلك فأحببت أن تعلم أنّا نكره منكم ما تكرهون منّا.

قال عمر رضي الله عنه: لا ينكح أحدٌ إلا لمته من النساء. «لمته» مخففاً: من كان في سنه كأنه كره للمسن أن يتزوج الشابة، وللشاب أن يتزوّج المسنة.

خطب[1] أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما فاطمة ـ رضي الله عنها ـ بنت رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «إنها صغيرة»[2] وخطبها علي فزوجها منه.

خطب الحارث الأسدي إلى علقمة الطائي ابنته، وكان الحارث شيخاً فقال علقمة لامرأته: أنظري ما تقول ابنتك في ذلك.

فقالت لها: أي بنية أي الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح[3] الواصل المياح[4] أم الفتى الوضاح الذهول الطماح[5]؟.

فقالت: بل الفتى.

---

(١) كان عمر أبي بكر رضي الله عنه تسعة وثلاثين عاماً، وعمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه تسعة وعشرين عاماً، وعمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه واحد وعشرين عاماً، وعمر فاطمة رضي الله عنها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر.

(٢) أخرجه النّسائي في السنن (٦: ٦٢)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٨)، الهيثمي في موارد الظمآن (٢٢٢٤)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٦٠٩٥).

(٣) الجحجاح: السيد في قومه. [لسان العرب، مادة: جحجح].

(٤) المياح: الكثير الصلة والمعروف بين الناس. [لسان العرب، مادة: ميح].

(٥) الطمّاح: المغتر والمعجب بنفسه. [لسان العرب، مادة: طمح].

قالت لها: إن الفتى يُغيرك[١] وإن الشيخ يَغيرك[٢].

فقالت: يا أماه إن الفتاة تحب الفتى كما تحب الرعاة أنيق الكلأ.

قالت لها: يا بنيه إن الشاب شديد الحجاب كثير العتاب.

قالت لها: يا أماه إني أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي، ويبلي شبابي، ويشمت بي أترابي. فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث، ثم ارتحل بها إلى أهله، فإنه لجالس ذات يوم بفناء بيته وهي معه إذ أقبل شباب من بني أسد يتلعبون فتنفست الصعداء، ثم بكت فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: ما لي وللشيوخ، الناهظين كالفروخ.

فقال: ثكلتك أمك، لرب غارة شهدتها، وسبية أردفتها وخمرة شربتها، الحقي بأهلك[٣] فلا حاجة لي بك.

زوَّج معاوية بنته هنداً من عبد الله بن عامر فجاءته يوماً بالمرآة والمشط، وكانت أبر الناس به، فنظر في المرآة إلى وجهه ووجهها فرأى شبابها وجمالها، ورأى الشيب قد عم وجهه وألحقه بالشيوخ فرفع رأسه إليها، وقال: الحقي بأهلك، فانطلقت حتى دخلت على أبيها فأخبرته، فقال: وهل تطلق الحرة، إن ذلك ليس بيدي. فأرسل إليه معاوية يستفهمه عن ذلك وما سبب طلاقها.

فقال: سأخبرك. إن الله تعالى مَنَّ عليَّ من فضله وجعلني كريماً فلا أحب أن يكون لأحد عَليَّ منَّة، وإن ابنتك أعجزتني مكافأتها بحسن صحبتها، فنظرت فإذا أنا شيخ وهي شابة لا أزيدها مالاً إلى مالها ولا شرفاً إلى شرفها، فرأيت أن أردها إليك لتزوجها فتىً من فتيانك كأن وجهه ورقة مصحف.

قال الغزالي في الإحياء: تزوج رجل على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد خضب لحيته فنصل خضابه واستعدى عليه أهل المرأة عمر بن الخطاب، وقالوا: حسبناه شاباً[٤]. فأوجعه عمر ضرباً، وقال له: غررت القوم.

---

(١) يُغيرك: أي يغار عليك. [لسان العرب، مادة: غير].

(٢) يَغيرك: أي يبدلك بغيرك. [لسان العرب، مادة: غير].

(٣) الحقي بأهلك: لفظ للطلاق في الجاهلية.

(٤) قال بيشر: يكون زواجك أقرب إلى النجاح إلى كانت زوجتك أصغر منك، وأقل درجة في العلم منك، وأكثر درجة في الأخلاق منك.

باب في معاشرة النساء

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فأخبر الله تعالى أن الرجال لما كان لهم على النساء حق وهو ما سبق في الآية كان لهن عليهم حق وهو إجمال الصحبة، وبيّن ذلك بقوله عز وجل في الآية الأخرى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والدرجة التي جعل الله للرجال عليهن هي ما يلزم المرأة للرجل من وجوب الطاعة والخدمة، وعدم التصرف في ماله إلا بإذنه، وتقديم طاعته على طاعة الله تعالى في النوافل، ولا تصوم إلا بإذنه وما جعله الله تعالى له من تأديبها وأشباه هذه الأحكام.

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم (خُلُقاً)**»[٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٤٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٤٦٨٢)، أحمد في المسند (٢: ٢٥٠)، الدارمي في السنن (٢: ٣٢٣)، الحاكم في المستدرك (١: ٣)، الطبراني في المعجم الصغير (١: ٢١٨)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٣١١)، ومجمع الزوائد (٤: ٣٠٣)، ابن حجر في المطالب العلية (٢٥٤١)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤١١)، ابن حجر في فتح الباري (١٠: ٢٥٨)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٦٤)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٥)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٥)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٠٠)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٥١)، البخاري في التاريخ الكبير (٢: ١٣٠)، ابن السني في عمل اليوم والليلة =

وقال رسول الله ﷺ: **«استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خُلقن من ضلعٍ أعوج وإن أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجَ فاستوصوا بالنساء خيراً»**[(١)].

وفي بعض روايات هذا الحديث: **«إن المرأة خُلقت من ضلعٍ لن تستقيم لك على طريقةٍ فإن استمتعت بها استمتعت وفيها عوجٌ وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»**[(٢)].

نبه رسول الله ﷺ على الرفق بهن ومداراتهن، وأن لا يتقصى عليهن في أخلاقهن وانحراف طباعهن فإن ذلك يؤدي إلى مفارقتهن.

وقال بعضهم في ذلك:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

ويروى أن أبا ذر الغفاري أنشد هذين البيتين على المنبر.

وقال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: **«وأوصيكم بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، لكم عليهن حق ولهن عليكم حق، فحقهن كسوتهن ورزقهن بالمعروف، وحقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً تكرهونه فرشكم، ولا يأذن في بيوتكم إلا بإذنكم وعلمكم فإن فعلن ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرحٍ، ألا هل بلغت؟»**.

قالوا: نعم.

قال: **«اللهم اشهد»**[(٣)].

= (٦٤)، الآجري في الشريعة (١١٥)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٧٤)، ابن عبد البر في التمهيد (٩: ٢٣٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (٥١٣٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ٦٧)، الألباني في آداب الزفاف (١٦١).

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الرضاع ٥٩)، الحميدي في المسند (١١٦٨)، السيوطي في جمع الجوامع (٥٨٧٤)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٢: ٢١٧)، مسلم في الصحيح (٨٩٠)، أبو داود في السنن (١٩٠٥)، ابن ماجه في السنن (٣٠٥٥)، البيهقي في السنن الكبرى (٥: ٨)، الحاكم في =

قوله: «**فإنهن عوان عندكم**» يعني: أسيرات عندكم، و«العاني»: الأسير. وقوله: «**واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» يريد ـ والله أعلم: ما اشترطه الله تعالى لهن في قوله: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أو يريد قوله سبحانه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

وقال بعضهم: المراد بذلك كلمة التوحيد إذ لا يحلّ لمن كان غير مسلم أن يتزوج مسلمة.

وقوله: «**وحقكم أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه**» يريد بذلك الخلوة والحديث مع الرجال، ولم يُرد الزنا فإنه يوجب الحد، فلا فائدة في تقييده بمن يكره، وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء غاب أزواجهن، أو حضروا، ولم يكن عندهم في ذلك عيبٌ ولا ريبة، فلما نزلت آيةُ الحجاب نُهُوا عن ذلك.

وقوله: «**فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع**» أي: لا تحولوهن إلى بيتٍ آخر، ولا تتحولوا أنتم عنهن، ولكن تهجروهن في مضاجعهن.

قيل: هو أن ينام معها في المضجع، ولكن يوليها ظهره، ولا يكلمها، ولا يجامعها، وقيل: هو أن يترك مضجعها، وينام في مضجع غيره، ولكن في بيتها.

و«**غير مبرِّح**» بكسر الراء: أي غير شديد والبرح الشدة والمشقة، وهو معنى قوله ﷺ: «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد البعير ثم يطؤها آخر اليوم**».

قال رسول الله ﷺ: «**ليس من اللهو إلاّ ثلاث: تأديب الرجل فرسه، ورميه بقوسه ونبله، وملاعبته امرأته**»[1].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إن المرأة لعبة فليحسن الرجل إلى لعبته. وقد روي ذلك مرفوعاً.

= المستدرك (٢: ٤٧٢)، الطحاوي في مشكل الآثار (١: ٣٠٢)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٥)، السيوطي في الدر المنثور (١: ٩٠)، الزيلعي في نصب الراية (٣: ٥٠)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٥٨)، الدارقطني في السنن (٣: ٢٥)، البغوي في شرح السنة (٧: ٢١٧)، ابن الجوزي في زاد المسير (٨: ٢٤٥)، ابن حجر في تغليق التعليق (٦٠٨)، الطبري في التفسير (١: ٣٤٢)، ابن كثير في التفسير (١: ١١٨)، السيوطي في جمع الجوامع (١٠٠٠٥)، الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٢٠١)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٢٩١٤).

(١) أخرجه أبو داود في السنن (الجهاد ب ٢٤)، أحمد في المسند (٤: ١٤٨)، سعيد بن منصور في السنن (٢٤٥٠)، الطبراني في المعجم الكبير (١٧: ٣٤٢).

قال صعصعة بن صاحان يوماً لمعاوية: كيف ننسبك إلى العقل وقد غلبك نصف إنسان يريد امرأته فاختة بنت قرطة، فقال: إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام.

قال الغزالي في الإحياء وذكر حقوق المرأة على الرجل وحقوقه عليها فقال: أما المرأة فلها على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه معها. قال: وليس حُسن الخلق معها كفّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل، وراجعت امرأة عمر الكلام فقال: أتراجعينني يالكعاء! قالت: إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه، وهو خير منك.

فقال عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعته. ثم قال لحفصة: لا تغتري بابنة أبي قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ.

ودفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال: «**دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك**»[1].

وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا أبا بكر حكماً بينه وبينها، فقال لها رسول الله ﷺ: «**تكلمي أو أتكلم**». فقالت: تكلم أنت ولا تقل إلا حقًّا.

فلطمها أبو بكر حتى أدمى فمها ـ أو قال: فاها ـ، وقال: أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟! فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي ﷺ: «**إنّا لن ندعوك لهذا**»[2] أو «**لم نرد منك هذا**»[3].

وقالت مرة وقد غضبت: «أنت الذي تزعم أنك نبي» فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلماً وكرماً.

وكان يقول لها: «**إني لأعرف إذا كنت عني راضيةً وإذا كنت عليَّ غضبى**»[4].

قالت: وكيف تعرف ذلك يا رسول الله؟

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٥)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٤).
(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٣).
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٣).
(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٣).

قال: إذا رضيتِ قلتِ: «**لا وإله محمد**» وإذا غضبتِ قلتِ: «**لا وإله إبراهيم**»[1].

قالت: أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

ويقال: أول حب وقع في الإسلام حُبُّ النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها. وكان يقول لها: «**كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع**»[2].

قال أنس رضي الله عنه. كان النبي ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان.

قال الغزالي: وأعلى من ذلك أن يزيد على احتمال الأذى بالملاعبة والمزح والمداعبة، فهو الذي يطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى يروى أنه كان يسابق عائشة فسبقته يوماً وسبقها يوماً فقال: «**هذه بتلك**»[3].

وفي الخبر أنه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه، وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ: «**أتحبين أن تري لعبهم**»؟ قالت: قلت: نعم يا رسول الله. فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين ووضع كفه على الباب، ووضعت ذقني على ذراعه، وجعلوا يلعبون وأنظر، قال لي رسول الله ﷺ: «**حسبك**» فقلت: أسكت، مرتين أو ثلاثاً، ثم قال لي: «**حسبك الآن**»[4]، فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا.

وقال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله**»[5].

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣٥)، مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة ب ١٤ رقم ٩٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٣١٨)، ابن أبي عاصم في السنة (٢: ٥٧٩)، الترمذي في الشمائل (١٣٦)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٤)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٧١)، الدولابي في الكنى والأسماء (٢: ٣٧)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٥٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٥)، البخاري في التاريخ الكبير (١: ٢٢٥)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥: ٢٨٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦: ٣٩)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢: ٥٠٨)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٣١٠)، الطحاوي في مشكل الآثار (٢: ٣٦٠)، الساعاتي في بدائع المنن (١٨٠٩)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٥)، القرطبي في التفسير (٩: ١٤٥)، ابن كثير في التفسير (٢: ٢١١).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٥)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٥).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٤٦٨٢)، أحمد في المسند (٢: ٢٥٠)، الدارمي في السنن (٢: =

وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمس ما عنده وُجد رجلاً.

وفي تفسير الخبر المروي: إن الله يبغض الجعظري الجواظ قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه، وهو أحد ما قيل لقوله: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القلم: ١٣] قيل: العتل الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله.

قال الغزالي: وينبغي مع هذا ألا ينبسط في الدعابة والموافقة ولين الخلق إلى حد يسقط هيبته ويفسد خلقها، بل يراعي الاعتدال في ذلك، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى ما يكره، ولا يفتح باب المساعدة على ذلك ألبتة، بل مهما رأى شيئاً من ذلك تنمر[1] وامتعض.

قال الحسن: ما أطاع رجل امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار.

وقال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الزوجة»[2]. وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها، وقد تعس فإن الله تعالى ملكه المرأة فملكها هو نفسه[3]، وقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩].

إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً، وقد سمى الله تعالى الرجال ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣٤] وسمى الزوج «سيداً» فقال: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف:

= ٣٢٣)، الحاكم في المستدرك (١: ٣)، الطبراني في المعجم الصغير (١: ٢١٨)، الهيثمي في موارد الظمآن (١٣١١)، ومجمع الزوائد (٤: ٣٠٣)، ابن حجر في المطالب العلية (٢٥٤١)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤١١)، ابن حجر في فتح الباري (١٠: ٢٥٨)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٦٤)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقيز (٥: ٣٥٥)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٥)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٠٠)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٥١)، البخاري في التاريخ الكبير (٢: ١٣٠)، ابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٤)، الآجري في الشريعة (١١٥)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ٧٤)، ابن عبد البر في التمهيد (٩: ٢٣٧)، المتقي الهندي في كنز العمال (٥١٣٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ٦٧)، الألباني في آداب الزفاف (١٦١).

(١) تنمّر: أي تشبّه بالنمر.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٦)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٨).

(٣) قال أديسون: في الزواج السعيد كلّ ملذّات الصداقة، ومتعة الحُسن والعقل، وحلاوة الحياة.

٢٥]، فإذا انقلب السيد عبداً فقد بدل نعمة الله كفراً، ونفس المرأة على مثال نفسك، إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً، وإن أرخيت زمامها فتراً جذبتك ذراعاً، وإن كبحتها عليها وشددت عليها ملكتها.

قال الشافعي رضي الله عنه: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك، وإن أهنتهم أكرموك، فعد منهم المرأة، أراد إن محضت لهم الإكرام ولم تمزجه بغلظة وفظاظة في بعض الأوقات.

وكانت نساء العرب يعلمن بناتهم اختبار الأزواج، فكانت المرأة تقول لابنتها: ابدئي زوجك قبل الإقدام عليه فانزعي زج رمحه، فإن سكت فقطّعي اللحم على ترسه، فإن سكت فاكسري العظام بسيفه، فإن صبر فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك[١].

قال: وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض، وكل ما جاوز حده انعكس إلى ضده، فينبغي أن يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة، ويبتغي الحق في جميع ذلك، ويجرب أولاً أخلاقها، ثم يعاملها بما يصلحها على ما يقتضيه حالها.

قال: وأما حق الزوج عليها فالقول الشافي فيه أن النكاح نوع رقٍّ وهي رقيقةٌ له، فعليها طاعته مطلقاً، في كل ما يطلب منها في نفسها مما لا معصية فيه.

هكذا قال الإمام الغزالي، ولا يصح هذا الإطلاق فإن العزل مما لا معصية فيه وبخاصة على مذهبه، نص على ذلك في كتاب إحياء علوم الدين، ومع ذلك لا يلزمها فيه اتفاقاً.

وقد ورد في تعظيم حق الزوج على المرأة أحاديث كثيرة: قال رسول الله ﷺ: **«أيما امرأةٍ ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»**[٢].

وخرج رجل في زمن النبي ﷺ في سفرٍ وأوصى امرأته أن لا تنزل من علوها، وكان أبوها في السفل فمرض فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تستأذنه في النزول إلى أبيها فقال: **«أطيعي زوجك»**، فمات فأرسلت تستأذنه في الحضور لدفنه فقال لها: **«أطيعي**

(١) هذا ناهيك عمّا إذا كانت الزوجة عنيدة، أو متعبة، أو غيورة، ولا تستطيع كبح جماح غيرتها.

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن (١٨٥٤)، ابن أبي شيبة في المسند (٤: ٣٠٣)، ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ١٤١)، الحاكم في المستدرك (٤: ١٧٣).

زوجك»[1] فدفن أبوها فأرسل إليها رسول الله ﷺ يعرفها أن الله تعالى غفر لأبيها بطاعتها لزوجها[2].

وقال ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها دخلت الجنة»**[3].

وعلى الجملة فحقوق الرجل على المرأة كثيرة، وأصولها أن تصون نفسها، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فمتخفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية متحرزة أن يسمع صوتها، أو تعرف عينها، وأن تكون قانعة منه بما استيسر غير مكلفة ما وراء الحاجة متحفظة على ماله غير مخرجة منه شيئاً إلا بإذنه، قائمة بكل خدمة تقدر عليها من خدمة منزله، مقدمة حقه على حق نفسها، وسائر أقاربها، متنظفة في نفسها، مستعدة لأن يستمتع بها متى شاء، قصيرة اللسان عن مراجعته، غير متكبرة عليه بمال أو جمال، ولا تزدرية لقبحه إن كان كذلك، ملازمة للانقباض في حال غيبته، ومنبسطة في حال حضوره، وإذا مات عنها فمن حقه أن تحد عليه أربعة أشهر وعشراً تتجنب فيها الطيب والزينة، وأن تلزم مسكنها إلى أن يبلغ الكتاب أجله، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة.

قال: ولعظم حقه عليها قال رسول الله ﷺ: **«اطّلعت على النار فوجدت أكثرها النساء»**. قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟! قال: **«يكثرن اللعن ويكفرن العشير»**[4].

قال قيس بن سعد: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم. فقلت: يا رسول الله أنت أحق أن يسجد لك.

فقال: **«أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟»**. قلت: لا.

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٣١٣)، ابن حجر في المطالب العلية (١٦١٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٥٩).

(٢) أين نحن وأين نساؤنا من هذا الموقف العظيم الذي اتّخذه سيد البشر، مع العلم أنه كان قادراً على إقناع الزوج بعدم صوابية منعها من عيادة أبيها.

(٣) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١: ٩٦)، العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٥٩)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٥٢)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٣٠٥)، وموارد الظمآن (١٢٩٦)، ابن كثير في التفسير (٢: ٢٥٧)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٥٢)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٥١٢٥)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٤٠١)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣: ٩٩٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢: ٢٩٧).

فقال: «فلا تفعلوا، لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لما جعله الله لهم عليهن من حق»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ في رواية أخرى: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راعٍ وهو مسؤول، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقةٍ عن غير أمره فإنه يؤدي إليه شطره»[(٤)].

قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تُصبح»[(٥)].

وفي رواية: «. . . فأبت فبات غضبان عليها. . .»[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٢١٤٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٩١)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٨٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٦٦)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (١١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (٢: ٦)، أبو داود في السنن (الخراج ب ١)، الترمذي في السنن (١٧٠٥)، أحمد في المسند (٣: ٥)، البيهقي في السنن الكبرى (٦: ٢٨٧)، ابن حجر في فتح الباري (٢: ٣٨٠)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٨)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣١٨)، المتقي الهندي في كنز العمال (١٤٧١٠)، أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ٣١٨)، ابن عبد البر في التمهيد (٢: ٢٨٤)، السيوطي في الدر المنثور (٣: ٦٩)، القرطبي في التفسير (٥: ٢٥٨)، الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٣٦)، ابن الجارود في المنتقى (١: ٤٧)، وتاريخ بغداد (٤: ٢٢٨)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥: ٢٢٥)، العقيلي في الضعفاء (١: ٤٩)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (١: ٢٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣٩)، المنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٥٩)، البغوي في شرح السنة (٦: ٢٠٣)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٣١)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٩٥)، الفتني في إرواء الغليل (٧: ٦٣).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٧: ٣٩).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٩٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٥٧)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٤٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٧٩٢)، السيوطي في الدر المنثور (٢: ١٥٦).

قال الخطابي: «لعن رسول الله ﷺ الغائصة[1] والمغوصة[2]».

قال معاوية القشيري عن أبيه قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: **«أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح[3]، ولا تهجر إلا في البيت[4]»**[5]. وقال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه»**[6].

وقال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود، الولود، العتود على زوجها، التي إذا آذت أو أذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: لا والله لا أقول غمضاً حتى ترضى»**[7].

أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي امرأة إذا أتيت مهموماً قامت إليَّ فأخذت بطرف ردائي ومسحت وجهي وقالت: إن كان همك للدنيا فصرفه الله عنك، وإن كان همك للآخرة فزادك الله همًّا[8]، فقال رسول الله ﷺ: **«إن لها أجر الشهداء ورزقهم»**.

---

(١) الغائصة: هي الحائض التي لا تعلم زوجها أنها حائض. [لسان العرب، مادة: غاص].

(٢) المغوصة: هي التي لا تكون حائضاً فتكذب على زوجها وتقول: إنها حائض. [لسان العرب، مادة: غاص].

(٣) لا تقبح: أي لا تقل قبّحك الله.

(٤) ولا تهجر إلاّ في البيت: أي ولا ترسلها إلى بيت آخر، ولا تغادر أنت البيت، والمقصود بهجرهن في المنزل لأن البعد عنهن وإبعادهن خارج منازلهن فيه إيلام شديد لقلوبهن، وهذا يكون مخالفاً لوصية رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً». أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥: ٢٧٦)، ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤٠)، ابن كثير في البداية والنهاية (١: ٧٥).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٢١٤٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٣٠٥)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٩٧٥)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٥٩)، الألباني في إرواء الغليل (٧: ٩٨)، المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٥١)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٦٠)، السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٧٦)، الألباني في آداب الزفاف (١٧٤).

(٦) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٥٨).

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٥٩)، الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٣١٣).

(٨) كلّ الفتيات يحاربن ويقاتلن للوصول إلى سُدَّة الزواج واعتلاء عرش الزوجية، لكنهن لا يعرفن أبداً أنه بوصولهن تبدأ فعلاً حربهن الحقيقية، فالواحدة منهن عندما تصل إليه (والهاء هنا تعود إلى العرش)، وتُتَوَّج ملكة على عرش قلب الرجل، تسترخي، وتعتقد أنها وصلت إلى المرام، في حين أن مسؤولياتها الحقيقية تبدأ مع وصولها، لا بل لحظة وصولها، فليس مهماً أن تصبح ملكة على عرش قلبه، وحياته، وبيته، بل المهم أن تحافظ على مُلكها. فأين نساؤنا اليوم من تلك السيدة الفاضلة. =

ومما هو داخل في هذا الباب ما حكاه الزبير في الموفقيات عن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن قال: أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه إليك وهو يقوم بطاعة الله عز وجل.

فقال لها: جزاك الله خيراً من مثنية على زوجها. فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، وكان كعب بن ثور الأزدي حاضراً فقال له: اقض يا أمير المؤمنين بينها وبين زوجها.

قال: وهل فيما ذكرت قضاء؟!

فقال: إنها تشكو مباعدة زوجها عن فراشه وتطلب حقها في ذلك.

فقال له عمر: أما إن فهمت ذلك فاقض بينهما.

فقال كعب: عليَّ بزوجها.

فأحضر فقال: إن امرأتك هذه تشكوك.

فقال: هل قصرت في شيء من نفقتها؟

قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ... ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يرقده ... فلست في حكم النساء أحمده
زهده في مضجعي تعبده ... فاقض القضا يا كعب لا تردده

قال: فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل ... أني امرؤٌ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقًّا عليك يا رجل ... تصيبها في أربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل ... فأعطها ذاك ودع عنك العلل
إن خير القاضين من عدل ... وقضى الحق بالحق جهراً وفصل

ثم قال: إن الله تعالى قد أباح لك من النساء أربعاً فلك ثلاثة أيام ولياليها تعبد فيها ربك ولها يوم وليلةٌ.

فقال له عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما؟ إذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

وذكر الرشاطي هذا الخبر في كتابه المسمى باقتباس الأنوار وزاد بعد قوله: «ولها يوم وليلة»: فلا تصلِّ في ليلتها إلا الفريضة، وأخبر أن كعب بن ثور شهد يوم الجمل لما اصطف الناس للقتال أخذ مصحفاً في يده وخرج يناشد الناس في دمائهم فقتل على تلك الحال.

الغزالي في الإحياء قال: زوج أسماء بن خارجة الفزاري ابنته فلما أراد هداءها قال لها: إنك خرجت من العُش الذي فيه درجت وصرت إلى فراشٍ لا تعرفينه، وخلٍّ لا تألفينه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً، ولا تلحقي به فيقلاك، ولا تتباعدي عنه فينساك، إن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع منك إلا حسناً، ولا ينظر منك إلا جميلاً.

قال: زوّج عامر بن الظرب العدواني ابنته من ابن أخيه وقال لأمها:

مُري ابنتك أن لا تنزل فلاة إلا ومعها ماء، فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء، وأن لا تمنعنَّه شهوته فإن الحظوة في الموافقة، وأن لا تطيل مضاجعته فإن البدن إذا مَلَّ مَلَّ القلب.

وذكر أبو الريحان من هذا الباب قولاً آخر:

كوني له فراشاً يكن لك معاشاً، وكوني له وطاءً يكن لك غطاءً، وإياك والاكتئاب إذا كان فرحاً والفرح إذا كان كئيباً، ولا يطلعن منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح، ولا تفشين له سراً لئلا تسقطي من عينه، وعليك بالماء والدهن والكحل، فإن ذلك من أطيب الطيب.

قال أحدهم لابنته ليلة الهداء: كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، وعليك باللطف فإنه أبلغ من السحر، وبالماء فإنه رأس الطيب.

زوّج مسعود بن قيس بن مسعود بن خالد ابنته من لقيط بن زرارة بن عدس على مائة من الإبل ليس فيها ناب[1] ولا مصرمة[2] ولا مدابرة[3]، قال ثم دخل على ابنته

---

(١) الناب: الناقة المسنّة. [لسان العرب، مادة: ناب].
(٢) المصرمة: الناقة التي أصيب ضرعها فكوي بالنار لأجل ذلك. [لسان العرب، مادة: صرم].
(٣) المدابرة: المشقوقة الأذن من قِبل القفا. [لسان العرب، مادة: دبر].

فقال لها: «أي بُنية: إني زوجتك غلاماً عزيز النفس فلا تدني منه كل الدنو فيملّك، ولا تبعدي عنه كل البعد فينساك، واغلبي أحماءك بالخير ولا تغليبهم بالشر، وكوني له أمة يكن لك عبداً، وتتبعي من الطيب مواقع أنفه، واعلمي أن طيب النساء الماء.

ثم خرج وقال: جهزوها إلى زوجها، فلما أهديت إليه قالت: مروا بي على أبي أسلّم عليه.

فمروا بها عليه فسلمت عليه وانصرفت، فقال لها: أي بنية اذهبي فلا أيسرت ولا أذكرت.

فقالت: «أي أبت: أهنتني صغيرة، وغربتني كبيرة. زوّدتني عند الفراق أسوأ الزاد.

فقال: إنك لتأتين البعداء، وتلدين الأعداء، وتذهبين بالقلاد، وتحلين في غير الصديق، ثم ذهبت عنه.

قال التيفاشي: كانت أمامة بنت الحارث الثعلبية عند عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوجها الحارث بن عمرو الكندي فلما أرادت أمها هداءها إليه قالت لها:

«أي بُنية: إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل».

أي بنية: لو استغنت ابنة عن زوج لغنى أبويها لكنت أغنى الناس عنه، ولكنا خلقنا للرجال كما خلق الرجال لنا.

أي بنية: إنك قد فارقت الوطن الذي منه خرجت والعُش الذي منه درجت، إلى كِنٍّ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياك عليك ملكاً فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خلالاً عشراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بالسمع والطاعة، فإن في القناعة راحة للقلب وفي المعاشرة بحسن الطاعة رضى الرب.

وأما الثالثة والرابعة[1]: فالتعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه

---

(١) قد يبدو الحديث عن النظافة غريباً بعض الشيء، سبق وتحدثنا عنه بمعرض كلامنا في الفصل السابق، لكننا الآن نفرد له حيزاً من كتابنا نظراً لأهميته وضرورته. أوَلم يقل النبي ﷺ: «النظافة =

منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فإن أصل حب المال من التقدير، والرعاية على الحشم والعيال وحسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سراً ولا تعصين له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

= تدعو إلى الإيمان». أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١ : ٢٣٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩).

من هنا تظهر أهمية النظافة، ذلك أن النبي ﷺ اعتبرها داعٍ إلى الإيمان، وهذا أوضح دليل لما للنظافة من أهمية.

إن موضوع النظافة في العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة من الأهمية بمكان، إذ نجد كثيراً من الزوجات يهملن هذا الجانب في حياتهن الزوجية.

وقد أثبتت الدراسات والتقارير الإحصائية والعلمية أن الكثير من الرجال الذين يعاشرون غير نسائهم إنما يفعلون ذلك لأن زوجاتهم لا يهتممن بنظافتهن وبخاصة نظافة أعضائهن الجنسية.

إن هذا الأمر يثير العجب فنظافة المرأة لنفسها قبل أن تكون للرجل، ونظافة الرجل لنفسه قبل أن تكون للمرأة، وعلى الرغم من ذلك فهذا ما يحدث في كثير من الأحيان.

إن هذا الإهمال مردّه إلى أن الزوجة عندما تواجه بمثل هذه الحقيقة تستغرب وتستهجن فهي متزوجة وهذا زوجها وتعتبر نفسها ليست بحاجة إلى مثل ذلك الاهتمام الدائم فهي تعرف عندما يريد مقاربتها فتنظّف نفسها، لكن ما يغيب عن بال نسائنا العظيمات أن الزوج أحياناً يفاجئ زوجته بطلب معاشرتها فما يكون موقفها حينذاك. إن هذا الشعور الفاسد السيّئ سيقود حتماً إلى الويل.

قال رسول الله ﷺ في ذلك: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨: ٣٩٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٩٥)، والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٧٨٩).

إذاً فعلى الزوجة أن تبذل أقصى الجهود لكي تحفظ جسمها بكامله جميلاً ونظيفاً إلى درجة تمكن زوجها من تقبيلها من قِمَّة رأسها إلى أخمص قدمها وأصابعها، إذا ما دفعته رغّبته فيها إلى ذلك.

إن على الزوجة أن تغسل فرجها على الدوام بالصابون والماء الدافئ قبل الخلود إلى الراحة، وذلك بأن تنظّف شفاريها من اليمين والشمال بتمرير إصبعها بلطف بحيث تستطيع إزالة كل الترسبات من بين ثنايا فرجها الخارجية، ولا تهمل البظر، فغالباً ما تنطوي ثناياه على بعض الترسبات. هذا إضافة إلى نزع كل الشعر الزائد المتواجد في المنطقة المتعرضة لبقاء ترسبات عليه من جرّاء التبوُّل. إذاً من هنا يجب على الزوجة أن تكون على الدوام متيقظة، ومنتبهة دائماً للقاء الزوج الحبيب.

واتقي مع ذلك الفرح إذا كان ترحاً، والاكتئاب إذا كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظاماً أشد ما يكون لك إكراماً، وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة.

واعلمي أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيما أحببت أو كرهت. ثم ودعتها وصرفتها.

قال الجاحظ في البيان والتبيين عن أبي عمرو بن العلاء قال: أنكح ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زرارة فلما أخرجها إليه قال: يا بنية. أمسكي عليه الفضلين. قالت: يا أبت وما الفضلان؟ قال: فضل الغلمة وفضل الكلام.

باب في الأبكار والثيّب

قال الله تعالى في وصف نساء الجنة: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ۝٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧] فامتن سبحانه على أهل طاعته بأن أنشأهن لهن أبكاراً لم يعرفن غيرهم، كما قال في آية أخرى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝٥٦﴾ [الرحمٰن: ٥٦][(١)].

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنكحت يا جابر؟

قلت: نعم يا رسول الله. قال: أبكراً أم ثيباً؟ قلت: بل ثيباً. قال: «**فهلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟**»[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاماً**[(٣)]**، وأغر غرة**[(٤)]»[(٥)].

قال: «**أنتق أرحاماً**» أي: أقبل للولد، «**وأغر غرة**» أشار إلى تضوع اللون، فإن

---

(١) الطمث: الافتضاض ولا يكون إلا مع دم، فلا يقال في الثيّب طمثت، وقيل للحائض: طامث لأجل الدم.

(٢) أخرجه النَّسائي في السنن (النكاح ب ٦)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٨٨)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٣٤٣)، الألباني في إرواء الغليل (٦: ١٩٦)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٥٣٤).

(٣) أنتق أرحاماً: أقبل للولد. [لسان العرب، مادة: نتق].

(٤) وأغر غرّة: إشارة إلى تضوّع اللون، فإن الأيمة وطول التعنيس يحيلان اللون. [لسان العرب، مادة: غرر].

(٥) أخرجه ابن ماجة في السنن (١٨٦١)، ابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١٤٥)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٩٢)، البغوي في شرح السنة (٩: ١٥)، الطبراني في المعجم الكبير (١٧: ١٤١)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ١٢٣)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٤٧)، الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢٣)، القرطبي في التفسير (٣٢٨)، العجلوني في كشف الخفا (٢: ٩٣).

الأيمة وطول التنعيس يحيلان اللون، وفيه تفسير غير هذا. وزاد أبو علي في الأمالي: «وأرضى باليسير»(١).

قيل لعائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا خلا في بيته؟ قالت: والله ما كان إلا بشراً، ولكن الله أكرمه وأكرم به، إن كان ليخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحدّث آحاد الناس، ولقد قلت له يوماً: يا رسول الله، لو أنك وجدت روضتين في إحداهما شجر ونبات قد رُعي وأُكل وفي الأخرى شجر ونبات لم يُرع في أيهما كنت مرسلاً بعيرك؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الأنف الذي لم يرْع».

فقلت: يا رسول الله ذلك مثلي ومثل نسائك كلهن، ليس منهن واحدة إلا كانت عند غيرك قبلك. تعني أنّ رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

قال الغزالي في الإحياء: في البكر خواص لا توجد في الثيب، منها: أنها لا تحن أبداً إلا للزوج الأول، فإن الطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً.

ومنها إقبال الرجل عليها وعدم نفوره عنها، فإن طبع الإنسان ينفر عن التي مسها غيره، ويثقل ذلك عليه مهما تذكره، وبعض الطباع أشد نفوراً من بعض.

ومنها أنها ترضى في الغالب بجميع أحوال الزوج لأنها أنست به ولم تر غيره.

وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى ببعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتلقي الزوج بسبب ذلك.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تنسى المرأة أبا عذرها(٢) ولا قاتل بكرها»(٣).

قال ابن عبد المؤمن: قيل لأبرويز الحكيم: ما لذة ساعة؟ فقال: الجماع. فقيل له: ما لذة يوم؟ فقال: الحمام.

فقيل له: ما لذ جمعة؟ فقال: النورة. فقيل له: فما لذة سنة؟ فقال: تزوج البكر.

---

(١) أرضى باليسير: أي اليسير من الجماع.

(٢) أبو عذرها: هو الذي افتضها أول مرّة فأزال عذرها، والعذر والعذرة بمعنى واحد، وهو البكارة. [لسان العرب، مادة: عذر].

(٣) بكرها: أول ولد يولد لها. [لسان العرب، مادة: بكر].

فقيل له: ما لذة الأبد؟ فقال: أما في الدنيا فمحادثة الإخوان، وأما في الآخرة فنعيم الجنة.

قال صاحب كتاب عقلاء المجانين: أراد رجل النكاح فقال: لأستشيرن أول من يطلع ثم لأعملن برأيه.

فكان أول من طلع عليه هبنقة القيسي وهو راكب على قصبة فقال له: إني أردت النكاح فما تشير عليّ؟

فقال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر جوادي أن يرمحك.

ولأبي محمد الحريري في إحدى مقاماته: فصل في تفضيل البكر على الثيب قال فيه:

أما البكر فالدُّرة المخزونة، والبيضة المكنونة، والثمرة الباكورة، والسلافة المذخورة، والروضة الأنف، والطوق الذي ثمن وشرف، لم يدنسها لامس ولا استرشاها لابس، ولا مارسها عايث، ولا أوكسها طامث، ولها الوجه الحييّ، والطرف الخفيّ، واللسان العييّ، والقلب النقي، ثم هي الدمية الملاعبة، واللعبة المداعبة، والغزالة المغازلة، والملحة المكاملة، والوشاح الطاهر القشيب، والضجيج الذي لا يشب ولا يشيب.

وله فصل في ضد ذلك: هي المهرة الأبية العنان، والمطية البطيئة الإذعان، والزندة المتعسرة الاقتداح، والقلعة المستصعبة الافتتاح، ثم إن مؤنتها كبيرة، ومعونتها يسيرة، وعشرتها صلفة، ودالتها مكلفة، ويدها خرقاء، وفتنتها صماء، وعريكتها خشناء، وليلتها ليلاء، وفي رياضتها عناء، وعلى خبرتها غشاء، وطالما أخرت المنازل، وفركت المغازل، وأحنقت الهازل، وأضرعت الفتيق البازل، ثم إنها التي تقول: أنا ألبس وأجلس فأطلب من يطلق ويحبس.

وفصل له في المقامة المذكورة في تفضيل الثيب: أما الثيب فالمطيّة المذللة، واللهنة المعجلة، والنغية المسهلة، والصناع المدبرة، والفطنة المختبرة، ثم إنها عجالة الراكب، وأنشوطة الخاطب، ونهزة المبارز، عريكتها لينة، وعقلتها هينة، ودخلتها متبينة، وخدمتها مزينة.

وله فصلٌ في ضد ذلك: هي فضالة المأكل، وثمالة المنهل، واللباس المتبذل؛

والوعاء المستعمل، والذواقة المتطرفة، والخراجة المتصرفة، والوقاح المتسلطة، والمحتكرة المتسخطة، ثم كلمتها «كنت وصرت»، «وطال ما بُغي عليَّ فنصرت»، و«شتان بين اليوم وأمس»، و«هيهات القمر من الشمس»، وإن كانت الحنانة البروك، والطماحة الهلوك، هي الغل القمل، والجرح الذي لا يندمل.

قوله في البكر: «ثم إن مؤنتها كبيرة ومعونتها يسيرة»، وفي الثيب، «هي عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب» إشارة إلى قول عمر رضي الله عنه: البكر كالبرة تطحن، ثم تعجن، ثم تخبز، ثم تؤكل، والثيب عجالة الراكب تمر وسويق.

يشير بذلك إلى سهولة أمر الثيب، وأن البكر تحتاج في تزويجها والبناء بها إلى كلف شديدة، وكانت العرب يمر بها الراكب المستعجل فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع من ذلك لعجلته فتخرج له ما تيسر فيأكله وهو راكب فذلك هو عجالة الراكب.

وعلى قوله: «وأما الثيب فالمطية المذللة» حكى أبو الفرج في كتاب الأغاني قال:

كانت فضل الشاعرة لرجل من النخاسين فاشتراها منه محمد بن الفرج وأهداها للمتوكل، وكانت فضل تجلس للرجال، وتتحدث مع الشعراء، فقال يوماً أبو دلف القاسم بن عيسى يعرض بها لأن المتوكل إنما اشتراها وهي ثيب فقال:

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطي إلى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته:

إن المطية لا يلذ ركوبها ... ما لم تذلل بالزمام وتركب
والدر ليس بنافع أربابه ... حتى يؤلف للنظام بمثقب

ولعبد الله بن قيس في معنى بيتي أبي دلف:

حبذا الحج والثريا ومن ... بالخيف من أهلها وملقى الرحال
درة من عناقيد البحر بكر ... لم تشنها مثاقبُ اللَّآل

قال ابن الجوزي في الأذكياء: عرضت على المتوكل جارية فقال لها: أبكر أنتِ أم إيش؟ فقالت: إيش، يا أمير المؤمنين. فضحك منها واشتراها.

وذكر في الكتاب المذكور قال: نظر إياس بن معاوية المشهور بالفطنة والألمعية إلى جوارٍ ثلاث فقال: أما هذه فبكرٌ، وأما هذه فحاملٌ، وأما هذه فمرضعٌ. فنُظرن فوُجدن كذلك، فسئل: من أين علمت ذلك؟

فقال: إني رأيتهن فزعن من شيء فوضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع عندها، فأما إحداهن فوضعت يدها على فرجها، فعلمت أنها بكر، وأما الأخرى فوضعت يدها على بطنها فعلمت أنها حامل، وأما الأخرى فوضعت يدها على ثديها فعلمت أنها مرضعٌ.

وذكر في كتاب المغفلين قال: اشترى رجلٌ جارية على أنها بكرٌ حملها إلى منزله فذكر له نساؤه أنها ثيب فاختصم فيها البائع مع المشتري عند القاضي أن تودع الجارية عند رجل أمين إلى أن تكشف القوابل أمرها فاختارا معاً أن تودع عند إمام مسجد هناك، فلما أصبح الإمام وصل إلى القاضي وهو يتأوه، وقال: يا مولانا القاضي ذهبت الأمانة من الناس، فسأله القاضي عن قصته.

قال: إن مشتري الجارية قد اطمأن إلى بائعها وأخذها منه على أنها بكر فخدعه فيها وخانه، وإني قد جربتها البارحة فوجدتها ثيباً واسعة فمن ذا الذي يوثق به بعد ذلك ويركن به؟

قال ابن الحصين في تاريخه: رأى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب جارية فلم يزل يتعشقها ويسعى في تملكها إلى أن اشتراها، فلما هيئت له وعزم على افتضاضها، وكانت بكراً أدركها الحيض فأعلمته بذلك فكفَّ عنها وأعلم بذلك أبا إسحاق الزجاج النحويَ وطلب منه أن ينظم في ذلك شعراً، فقال:

فـــارسٌ مـــاض بحـــربتـــه درب بـــالطعـــن فـــي الظلـــم
رام أن يـــدمـــي فـــريستـــه فـــاتقتـــه مـــن دم بـــدم

ومن غير تاريخ ابن الحصين اتفق مثل هذه القضية للمأمون ليلة بنائه ببوران، أراد افتضاضها فرأت دم الحيض، فقالت له: أتى أمر الله فلا تستعجلوه. فكف عنها.

قال الجاحظ في البيان والتبيين: تزوج معاوية بن مروان بن الحكم بعض بنات الأشراف، وكانت بكراً فافتضها، فلما أصبح قال لأبيها على رؤوس الملأ: ما أرتنا ابنتك البارحة دماً. فاستحيا وقال له: إنها من نساء يخفين ذلك عن أزواجهن.

معاوية هذا هو شقيق عبد الملك، أمهما معاً: عائشة بنت معاوية بن المغيرة، وكان يحمق، وهو الذي رأى جرساً قد علق على بعض دواب الطحن فسأل رب الدابة

عن ذلك ـ وكان الطحان حمقاً أيضاً ـ فقال: ربما أدركتني نعسة فإذا لم أسمع صوت الجرس علمت أنها وقفت فصحت بها.

قال: فإن وقفت وحركت رأسها هكذا وهكذا ـ وجعل معاوية يحرك رأسه يمنة ويسرة، فقال: ومن أين لدابتي مثل عقل الأمير؟

قال أبو الفرج في كتاب الأغاني عن محمد بن الفضل السكوني: تزوج حماد عجرد[1] بكراً فدخلنا إليه صبيحة بنائه لنسأله عن خيره فأنشدنا:

قد فتحت الحصن بعد امتناع ... بمنيح فاتح للقلاع
صفرت كفي بتفريق شمل ... جاءنا تفريقه باجتماع
إنما يلثم الشم منا ... حين ترمي شملة بانصداع

قال ابن بسام في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تأخر الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد عن المنصور أبي عامر في بعض غزواته فلما عاد المنصور من غزوته وقد افتتح وسبى كتب إليه ابن شهيد وزيره المذكور يطلب منه جارية من السبي بهذين البيتين:

أنا شيخ ـ والشيخ يهوى الصبايا ـ ... وبنفسي أقيك كل الرزايا
ورسول الإله أسهم في الفيء ... لمن لم يحث فيه المطايا

فبعث إليه ابن أبي عامر بأربع من الجواري أبكاراً، وكتب إليه:

قد بعثنا بها كشمس النهار ... في ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فإنك شيخ ... قد جلا الليل عن بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها ... فمن العار كلة المسمار

قال: فافتضهن الشيخ من ليلته وكتب إليه صبيحة يومه فقال:

قد فضضنا ختان ذاك السواد ... واضطبعنا من النجيع الجاري
وصبونا في ظل أطيب عيش ... ولعبنا بالذر أو بالذراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ... ذي مضيٍّ عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يحزنك كفراً ... واتخذه فحلاً على الكفار

قال صاعد في الفصوص عن أبي زياد الكلابي: كان عندنا شيخ يعرف بأبي

---

(١) حماد عجرد: هو حماد بن عمرو بن كليب مولى لبني عامر بن صعصعة، مخضرم أدرك الدولتين، وكان خليعاً ماجناً متهماً في دينه، والعجرد: لغةً، المتعرى من الثياب.

غريب، وكنا نأنس معه، وتزوج بكراً ولم يولم فاجتمعنا على بابه وصحنا: أولم بيربوع، قتلنا من الجوع.

واجتمعنا عنده، فلما أصبح من عرسه غدونا عليه فناديناه بهذين البيتين:

يا ليت شعري عن أبي غريب

إذ بات في محاسن وطيب

معانقاً للرشأ الربيب

أأحمد المحاير في القليب

أم كان رخواً نائس القضيب

قال: فخرج وهو يقول: نايس[1] القضيب والله.

وأنشد الحصري في كتاب النور والنَّور لابن المعتز في هذا المعنى:

تظل الشمس ترمقنا بطرف خفي لحظه من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى كعِنِّين يحاول فتق بكر

وقال إبراهيم بن هرمة فيما يتعلق بهذا الباب:

أبو ثابت يتشهي المديح ويرغب عن صلة المادح
كبكر تشهى لذيذ النكاح وترغب عن صولة الناكح

وقد كرر ابن هرمة هذا المعنى في قوله:

وأنت والمدح كالعذراء يعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرق

قال أبو الفرج في الأغاني: قال أبو العباس بن الوليد: ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي ولا يمدحوني؟ ـ وكان أبو العباس بخيلاً لا يحب أن يعطي أحداً شيئاً ـ فبلغ ابن هرمة قوله، وكان مدحه فلم يُثبه فقال هذا البيت من جملة أبيات يُعرض به، ومن بيت ابن هرمة أخذ مهيار قوله:

يشتهون المال أن يبقى لهم فلهذا يشتهون المدحا

---

(١) نايس، أو نائس: القضيب إذا اضطرب أو استرخى.

باب في أوصاف النساء

كان بالمدينة على زمن رسول الله ﷺ ثلاثة من المخنثين فلا يحجبون: هيت، وهرم، وماتع، وكان هيت يدخل إلى أزواج النبي ﷺ فدخل يوماً دار أم سلمة ورسول الله ﷺ عندها فأقبل على أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك ببادية بنت غيلان بن مغيث فإنها مبتلة[1] هيفاء[2]، شموع[3] نجلاء[4]، إن قامت تثنت وإن قعدت تبنت[5]، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان[6]، مع ثغر كالأقحوان، وثدي كالرمان، أعلاها قضيب. وأسفلها كثيب، وبين أرجلها كالقعب المكفو، فهي كما قال قيس بن الحطيم:

تغترف الطرف[7] وهي لاهية ... كأنما شف وجهها ترف
بين شكول النساء خلقتها ... قصدٌ فلا جبلة ولا قصنف

فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامه: «**غلغلت النظر، ما كنت أحسبك إلا من غير أولي الإربة**».

وكان رسول الله ﷺ يضحك من كلامه ويظن ذلك نقصاً من عقله، فلما سمع منه ما سمع قال لنسائه: «**لا يدخل هذا عليكن**»[8] وأمر أن يصير إلى خارج المدينة، فبقي هناك حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ كُلم فيه فأبى أن يرده، فلما ولي عمر ـ رضي الله عنه ـ كُلم فيه فلم يرده، وقال: إن رأيته بالمدينة ضربت

---

(١) مبتلة: تامة الخلقة، وهي التي لم يركب بعض لحمها بعضاً، وهذا الوصف للمرأة فقط، ولا يوصف الرجل بذلك. [القاموس المحيط، مادة: بلل].

(٢) هيفاء: لطيفة البطن، ضامرة الخصر. [القاموس المحيط، مادة: هيف].

(٣) شموع: لعوب ضحوك. [القاموس المحيط، مادة: شمع].

(٤) نجلاء: متّسعة العين. [القاموس المحيط، مادة: نجل].

(٥) تبنت: باعدت ما بين الفخذين. [الأصبهاني في كتاب أفعل التبني].

(٦) تقبل بأربع وتدبر بثمان: يقصد لأطراف.

(٧) تغترف الطرف: تستغرق النظر وتستوفيه.

(٨) أخرجه الهروي (٢: ٢٥٩).

عنقه، فلما ولي عثمان ـ رضي الله عنه ـ كُلم فيه فأبى أن يرده، فقيل له: إنه قد كبر وضعف واحتاج، فأذن له أن يدخل كل جمعة، فيسأل ويرجع إلى مكانه.

زاد أبو داود في هذا الحديث «فأخرج وكان بالبيداء يدخل كل جمعة يستطعم».

قال الزبير في الموفقيات: بلغ الحارث بن عمرو بن حجر الكندي عن الحسناء بنت عوف بن محلم الشيباني جمال وكمال، فأرسل إليها امرأة من كندة يقال لها عصام، فقال لها: اذهبي فاعلمي علم الجارية، قالت: فأتيت فإذا امرأة كأنها المهاة الوحشية، وإذ حولها بنات لها كأن الغزلان فأعلمتها بالذي جئت له فأرسلت إلى ابنتها: أي بنية هذه خالتك جاءت لتنظر بعض شأنك فلا تستري عنها شيئاً من أوصافك، وناطقيها إن استنطقتك، قالت: فأذنت لهما فلما دخلت عليها وتوسمت خلقها رأت أحسن الناس وجهاً وجسماً، ثم خرجت وهي تقول: ترك الخداع مِن كشف القناع، حتى دخلت على الحارث، فقال: ما وراءك يا عصام؟

قالت: أصلح الله الأمير أقول حقاً وأخبرك صدقاً، رأيت وجهاً كالمرآة الصقلية يزينه حالك كذنب الحسيلة[١]، فيه حاجبان كأنما خُطا بقلم أو سُوّدا بحمام تقوسا على مثل عيني الظبية المعبهرة[٢] يبهتان المتوسم إن ينعتهما ويجللان بأشفارهما ما تحتهما، بينهما أنف كحد السيف الصقيل، لم يزر به قصر، ولم يعبه طول، حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمال، شق فيه فم لذيذ المتبسم، فيه ثنايا ذات أشر[٣] وأسنان، كالدر ينطق فيه لسان ذو فصاحة وبيان، ركب ذلك على عنق بض فوق صدر غض، نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يحرفان عنهما ثيابهما ويمنعانها من تقلد سخابها[٤]، تحت ذلك بطن كالقباطي المدبجة كسا عكناً كالطوامير المدرجة، أحاطت تلك العكن بسرة لها كمدهن العاج، ينتهي ذلك إلى خصر لطيف تحته كفل ينهضها إذا قامت ويقعدها إذا نهضت، كأنه دعص رمكة، وتحته فخذان لفاوان متصل بهما ساقان أبيضان يحمل ذلك كله قدمان كجدار اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما، وأما ما سوى ذلك فإني تركت وصفة لوقت مشاهدته، قال: فأرسل

---

(١) الحسيلة: الأنثى من البقر. [لسان العرب، مادة: حسل].

(٢) والمعبهرة: الحسنة الخلق الممتلئة الجسم. [لسان العرب، مادة: عبهر].

(٣) والأشر: تحزيز يكون في أطراف الأسنان، وهو ما يستحسن وأكثر ما يكون مع الصغر. [لسان العرب، مادة: أشر].

(٤) والسخاب: قلادة تتخذ من غير الجوهر. [لسان العرب، مادة: سخب].

الحارث إليها فتزوجها وهي أم أولاده المتوجين. قال أبو الفرج في الأغاني: اجتمع مصعب بن الزبير، وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وعمرو بن سعيد بن العاص، وأتتهم عزة الميلاء، فقالوا: إنا قد خطبنا وأردنا منك أن تنظري لنا نساءنا، فسألت مصعباً عَمَّنْ خطب، فقال: عائشة بنت طلحة، وسألت عبد الله عمن خطب، فقال: أم القاسم بنت زكريا بن أبي طلحة، وسألت عمرو بن سعيد عمن خطب، فقال: عائشة بنت عثمان، فتوجهت لتنظر إليهن، فبدأت بعائشة بنت طلحة فدخلت عليها، فأكرمتها عائشة وسرت بها، وسألتها عن حاجتها فقالت: إني كنت في نسوة من قريش فتذاكرن جمال النساء وخلقتهن فتذكرتك فلم أدر كيف أصفك؟ فقالت: فما تريدين؟ قالت: فديتك، أقبلي وأدبري، فأقبلت وأدبرت فارتج كل شيء منها.

قالت عزة: خذي عنك ثوبك. فأخذته فرأتها في أحسن صورة وأتم محاسن فعوذتها، وقالت لها: ما أظن أن الله تعالى خلق لصورتك هذه شبيهاً في الدنى. وودعتها، وانصرفت إلى أم القاسم فأكرمتها وسرت بها وسألتها عن حاجتها فعرفتها بمثل ذلك، وسألتها أن تقبل وتدبر فأقبلت وأدبرت فرأت منها ما أعجبها فعوذتها وانصرفت، وفعلت مثل ذلك بعائشة بنت عثمان، ورجعت إليهم وهم ينتظرونها فقالوا: ما صنعتِ؟

فقالت لمصعب: أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة ولا مدبرة، محطوطة المتنين عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر، وضيئة الوجه، فرعاء الشعر، لفاء الخدين، مبتلة الخصر، خميصة البطن، ذات عكن، ضخمة السرة، يرتج ما بين أعلاها إلى أسفلها، وفيها عيبان: أذنان تجاوزان الحد في الكبر، وقدمان كذلك، ولكن الأول يواريه الخمار، والثاني يواريه الخف.

ثم قالت لعبد الله بن عبد الرحمٰن: وأما أم القاسم فكأنها خوطة بان أو جدول عنان، لو شاءت أن تعقد أطرافها لفعلت، ولكنها شحمة الصدر، وأنت عريض الصدر، وإن كان ذلك قبيحاً لا والله حتى يملأ كل شيء مثله.

ثم قالت لعمرو بن سعيد: وأما عائشة فوالله ما رأيت مثل خلقتها لامرأة قط، لكأنها أفرغت في قالب الحسن إفراغاً، غير أن في وجهها ردة[1]. قال فوصلوها وتزوجوهن.

---

(١) الرَّدّة: بفتح الرّاء، أي أن وجهها ينقص في الحسن عن بدنها، وقيل: الرّدة: تقاعس في الذقن.

قولها غير أن في وجهها ردة بفتح الراء تريد أن وجهها ينقص في الحسن عن بدنها. قال بعضهم: الردة تقاعس في الذقن.

قال أبو علي في الأمالي: كان لرجل من مقاول حِمْيَر ابنان قد برعا في الأدب والعلم، وكان اسم أحدهما عمراً والآخر ربيعة، قال فلما بلغ الشيخ أقصى عمره دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما، فقال لعمرو وكان الأكبر: يا عمرو أخبرني عن أحب النساء إليك فقال: الهركولة[1] اللفاء[2] الممكورة[3] الجيداء[4] التي يشفي السقيم كلامها، ويبرئ الوصف إلمامها، التي إن أحسنت إليها شكرت، وإن أسأت إليها صبرت، وإن استعتبتها أعتبت، الفاترة الطرف الطفلة الكف[5] العميمة الردف.

قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نعت فأحسن وغيرها أحب إلي منها، قال: ومن هي؟ قال: الفتانة العينين، الأسيلة الخدين، الكاعب الثديين، الرادح[6] الوركين، الشاكرة القليل، المساعدة للخليل، الرخيمة[7] الكلام، الجماء العظام[8]، العذبة اللثام[9]، الكريمة الأخوال والأعمام.

قال رجل لأعرابية: إني أريد أن أتزوج فصفي لي النساء فقالت له: عليك بالبضة البيضاء الرمداء اللعساء الشماء الجيد الزنجلة السجلة، المدمجة المتن، الخميصة البطن، ذات الثدي الناهد، والفرع الوارد، والعين النجلاء، والحدقة الكحلاء، والعجيزة الوتيرة، والساق الممكورة، والقدم الصغيرة، فإن أصبتها فأعطها الحكم فإنها غنم من الغنم.

وقال الأصمعي: سمعت امرأة من العرب تقول في وصف امرأة: هي سطعاء بضة، بيضاء غضة ردماء مهلة، قباء طفلة، تنظر بعيني شادن ظمآن، وتبسم عن نور الأقحوان في غب التهتان، وتشير بأساريع الكثبان، خلقها عميم، وكلامها رخيم.

---

(١) الهركولة: الحسنة الجسم والخلق والمشية أو الضخمة الأوراك المرتجة الأرداف.
(٢) اللفاء: الملتفة اللحم.
(٣) الممكورة: المطوية الخلق.
(٤) الجيداء: الطويلة العنق.
(٥) الطفلة الكف: الرخصة.
(٦) الرادح: الثقيلة العجيزة، الضخمة الوركين.
(٧) الرخيمة: اللينة الكلام.
(٨) الجمّاء العظام: التي لا يوجد لعظامها حجم.
(٩) العذبة اللثام: أي الفم، فموضع اللثام إشارة إليه.

قال: وتزوج أعرابي إمرأة فقيل له: كيف وجدتها؟ قال: رضوفاً[١] رشوفاً[٢] ألوفاً[٣] أنوفاً[٤].

وصف أعرابي نساء فقال: كلامهن أقتل من النبل، وأوقع في القلب من الوبل في المحل، وفروعهن أحسن من فروع النخل.

وقال أعرابي: قدمت البصرة فرأيت بها أعيناً دعجاً، وحواجب زجًّا، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.

وذكر بعضهم امرأة فقال: كاد الغزال يكونها لولا ما تم منها ونقص منه. وقال آخر: خلوت بها والقمر يرينيها، فلما غاب أرتنيه.

وذكر آخر امرأة فقال: مطلع الشمس من وجهها، وملقط الدر من فيها، ومنبت الورد من خدها، ومنبع السحر من طرفها، ومبادي الليل من شعرها، ومغرس الغصن من قدها، وميل الرمل من ردفها، أعلاها كالغصن ميال، وأسفلها كالدعص منهال.

وسئل أعرابي عن امرأة فقال: هي أرق من الهوى، وأطيب من الماء، وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء.

وقيل لأعرابية: أتحسنين صفة النساء؟ قالت: نعم، قيل لها: صفي لنا امرأة كاملة، فقالت: إذا سحرت عيناها، وسهل خداها، ونهد ثدياها، ولطفت كفاها، وأفعم ساعداها، وعظم وركاها، والتفت فخذاها، وجدل ساقاها، فتلك هناء النفس ومناها.

وروي عن بعض الأكاسرة أنه قال: ينبغي أن يكون في المرأة أربعة سود، وأربعة بيض، وأربعة حمر، وأربعة كبار، وأربعة صغار، وأربعة واسعة، وأربعة ضيقة.

فأما الأربعة السود: فشعر الرأس، والحاجبين، وأشفار العينين، والحدقتان.

وأما الأربعة البيض: فاللون، وبياض العين، والثغر، والظفر إلا أن يصبغ.

وأما الأربعة الحمر: فالوجنتان، والشفتان، واللسان، واللثة.

أما الأربعة الكبار: فالثديان، والفرج، والعجيزة، والركبتان.

---

(١) رضوفاً: ضيقة الفرج. [القاموس المحيط، مادة: رضف].

(٢) رشوفاً: طيبة المقبل. [القاموس المحيط، مادة: رشف].

(٣) ألوفاً: محبة لبعلها. [القاموس المحيط، مادة: ولف].

(٤) أنوفاً: بعيدة عمن لا خير فيه. [القاموس المحيط، مادة: أنف].

وأما الأربعة الصغار: فالأذنان، والفم، واليدان، والرجلان.

وأما الأربعة الواسعة: فالجبين، والعينان، وأصول الثديين، والسرة.

وأما الأربعة الضيقة: فالمنخران، والأذنان، والخصر، والفرج.

ويقرب مما فسرت به هٰهنا الأربعة الكبار وضدها تفسير قول عروة بن أذينة، أنشده الحصري في الزهر، وأذكر الأبيات هنا بكمالها، والمراد هنا البيت الخامس منها وهي:

إن التـــي زعمـــت فـــؤادك ملهـــا   خلقـت هـواك كمـا خلقـت هـوى لهـا
كيـف الـذي زعمـت بـه وكـلاكمـا   أبــدى لصــاحبــه الصبــابــة كلهـا
ولعمـرهـا لـو كـان حبـك فـوقهـا   يـومـاً وقـد ضحيـت إذاً لأظلهـا
فإذا وجدت لها وساوس[1] سلوة   شفـع الضميـر إلـى الفـؤاد فسلهـا
بيضـاء بـاكـرهـا النعيـم فصـاغهـا   بلبـــانـــة فـــأدقهـــا وأجلهـــا[2]
لمـا عـرضـت مسلمـاً لـي حـاجـة   أخشـى صعـوبتهـا وأرجـو أذلهـا
منعـت تحيتهـا فقلـت لصـاحبـي   مـا كـان أكثـرهـا لنـا وأقلهـا[3]
فـدنـا وقـال لعلهـا معـذورة   فـي بعـض رقبتهـا فقلـت لعلهـا

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: حدثني عروة عن عبد الله قال: كان عروة بن أذينة نازلاً في داري بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه هذه الأبيات، قال فأتاني أبو السائب

---

(١) وقوله في هذه الأبيات، فإذا وجدت لها وساوس... البيت هو كقول الأحوص:
إذا رُمـتُ عنهـا سلـوة قـال شـافـع   مـن الحـب ميعـاد السلـو المقـابـر

(٢) قال ابن الأعرابي: أدقهاأي أدق حواجبها وأنفها وخصرها، وأجلها أي أجل عضديها وساقيها وفرجها. كما قال الآخر:
فـدقـت وجلـت واسبكـرت وأكملـت   فلـو جـنَّ إنسـان مـن الحسـن جنـت

(٣) وقوله فيها ما كان أكثرها لنا وأقلها قال البكري في الأمالي: يريد تحيتها وإن كانت عنده نزرة قليلة فإنها عنده كثيرة جليلة فالضمير على هذا عائد على النحية.
قال: وهذا كما قال العباس بن قطن:
أليـس قليـلاً نظـرة إن نظـرتهـا   إليـك وكـلاً ليـس منـك قليـل
قال إسحاق بن إبراهيم:
إن مـا قـل منـك يكثـر عنـدي   وكثيـر ممـن تحـب قليـل
وقال ابن جني: معناه ماكان أكثرها لنا فيما مضى وأقلها الآن، قال وهو على حذف المضاف أي ما كان أكثر وصلها أو مودتها. وقول البكري أحسن.

المخزومي، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة؟ قال: نعم، أبيات لعروة بلغني أنك سمعته ينشدها، فأنشدته الأبيات فما بلغت قوله:

فـــدنـــا وقـــال لعلهـــا معـــذورة   فـــي بعـــض رقبتهـــا فقلـــت لعلهـــا

طرب وقال: والله هذا هو الدائم الصبابة الصادق العهد لا الذي يقول:

إن كـــان أهلـــك يمنعـــونـــك رغبـــة   عنـــي فـــأهلـــي بـــي أعـــز وأرغـــب

لقد عدا هذا الأعرابي طوره، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحب هذه الأبيات بحسن الظن بها وطلب العذر لها.

قال: فعرضت عليه الطعام، فقال: لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل. وانصرف.

وأنشد أبو الفرج الأصبهاني هذه الأبيات في كتاب القيان، وزعم أنه وجدها في شعر أبي الشيص، وزاد فيها بعد البيت الثاني هذا البيت:

إنـــي لأضمـــر فـــي الحشـــا وجـــداً بهـــا   لـــو كـــان تحـــت فـــراشهـــا لأقلهـــا

باب في الأوصاف المحمودة في خُلق المرأة[1]

إذا كانت المرأة شابة جميلة الخلق فهي خودة، وإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهي بهكنة، فإذا كانت ضخمة فهي زنجلة.

فإذا زاد ضخمها ولم يقبح فهي سبحلة، فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي ممكورة، فإذا كانت حسنة القد لينة القضب فهي مبتلة.

فإذا كانت لطيفة البطن فهي هيفاء، وقباء، وخمصانة، فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي هضيم.

فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة، فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي عطبول.

فإذا كانت عظيمة الوركين فهي هركولة، فإذا كانت عظيمة العجيزة فهي رداح، فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهي خدلجة.

فإذا كانت ترتج من سمنها فهي مرمارة، فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهة.

فإذا كان الماء يجري في وجهها فهي رقراقة، فإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهي بضة، فإذا عرفت في وجهها نضرة النعمة فهي فنن.

فإذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها فهي أناة ووهنانة، فإذا كانت طيبة الريح فهي نهنانة.

فإذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال فهي عبهرة، فإذا كانت ناعمة جميلة فهي عبقرة، فإذا كانت متثنية من اللين والنعمة فهي غيداء وغادة.

فإذا كانت طيبة الفم فهي رشوف، فإذا كانت طيبة ريح الأنف فهي أنوف.

---

(١) من كتاب «فقه اللغة»، أبو منصور الثعالبي.

فإذا كانت طيبة الخلوة فهي رضوف، فإذا كانت لعوباً ضحوكاً فهي شموع.

فإذا كانت تامة الشعر فهي فرعاء، فإذا لم يكن لمرفقيها حجم من سمنها فهي لفاء.

وله فصل ثان من الكتاب المذكور: إذا كانت المرأة حيية فهي خفرة وخريدة، فإذا كانت تظهر للناس وتحادثهم فهي برزة.

فإذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة، فإذا كانت محبة لزوجها متحببة إليه فهي عروب.

فإذا كانت نفوراً من الزينة فهي نوراء، فإذا كانت عروساً فهي هدى، فإذا كانت بخاتم رق فهي بكراء، فإذا كانت فض خاتمها فهي ثيب وعوان.

فإذا كانت عفيفة فهي حصان، فإذا أحصنها زوجها فهي محصنة، فإذا كانت كثير الولد فهي نثور، فإذا كانت قليلة الولد فهي نزور.

فإذا كانت تلد الذكور فهي مذكار، فإذا كانت تلد الإناث فهي مئناثة، فإذا كانت تعاقب بين الذكور والإناث فهي معقاب.

فإذا كانت لا يعيش لها ولد فهي مقلاة، فإذا كانت تأتي بتوأمين فهي متئام، فإذا كانت تلد النجباء فهي منجاب، فإذا كانت لها ضرات فهي مضرة.

باب في ذكر أوصاف النساء تفصيلاً

الشعر

قال رسول الله ﷺ: **«إذا تزوج أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها، فإن الشعر أحد الجمالين»**[1].

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الأوصاف له: كان يقال استجيدوا من المرأة شعرها، فإن الشعر أحد الوجهين. وقال خالد بن صفوان: الشعر الأسود برنس الجمال، وكمال الحسن في الشعر.

أخذ أبو الطيب معناهما فقال:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي أربعاً
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معاً

أراد بالقمرين هنا الشمس والقمر فجعل من وجهها شمساً قابل من بدر السماء قمراً.

وقال أبو الفتح كشاجم يذكر سواد الشعر وبياض الفرق:

رنت فأصابت سر قلبي بلحظةٍ ... لها في في الحشا لذعٌ وليس لها جرح
وقد حسرت عن واضح الفرق فاحم ... كخطى ظلام شق بينهما صبح

ومما يتعلق بذكر الشعر ما ذكره ابن بسام في الذخيرة قال: ومن نوادر الآفاق، الحلوة المساق، الغريبة الاتفاق، خبر النحلي مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشت بين يديه يوماً بعض نسائه في غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تخفي الشمس في مدلهمها فسكب عليها ماء ورد كان بيده فامتزج الجميع ليناً واسترسالاً

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢: ٩٠)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٧)، الشوكاني في مجمع الفوائد (١٢٣)، ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٢٠٠).

وتشابهاً طيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطرب وأمالت لعطفه راح الأدب فقال:

وهـويـت سـالبـة النفـوس عـزيـزة تختـال بيـن أسنـة وبـواتـر

ثم تعذّر عليه المقال واشتغل عن تلك الحال، وقال لبعض الخدم: سر إلى النحلي وألزمه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه، فأضاف النحلي إليه لأول وقوع الرقعة بين يديه هذه البيتين ارتجالاً فقال:

راقـت محـاسنهـا ورق أديمهـا فتكـاد تبصـر بـاطنـاً مـن ظـاهـر

يبـدي بمـاء ورد مسبـل شعـرهـا كـالطـل يسقـط مـن جنـاح الطـائـر

فلما قرأه المعتمد استحسنه واستحضر النحلي فقال له: أومعنا كنت ثالثاً؟ فأجاب النحلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أو ما تلوت ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

الجبهة والجبين

الجبهة على جهة التقريب موضع السجود من الإنسان، والجبينان يكتنفانها من جانبيها.

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب: ولا يكاد الناس يفرقون بين الجبهة والجبين، وإنما الجبهة مسجد الرجل الذي يصيبه ندب السجود، والجبينان مكتنفان بها من كل جانب جبين.

ويستحب من الجبهة استرسالها، ورقة بشرتها وعدم تغضنها، ويقال لمن كان بهذه الصفة صلت الجبهة، وصلتها وواضح الجبين، وليس وضح الجبين كناية عن البياض، إذ قد يقال ذلك لمن كان أسمر اللون، وضد الصلت والواضح الأغضن، والمرأة غضناء، وواحد الغضون غضن بالسكون وغضن بالتحريك، وتسمى هذه الغضون الأسارير واحدها سرر بكسر السين وفتح الراء، وكأن الأسارير جمع أسرار بفتح الهمزة، والأسرار جمع سرر، فالأسارير على هذا جمع الجمع، ويقال في معنى السرر جمع سرار بزيادة الألف وجمعه على هذا أسرة.

قال أبو كثير الهزلي:

وإذا نظـرت إلـى أسـرة وجهـه بـرقـت كبـرق العـارض المتهلـل

ويستحب أيضاً من الجبهة اتساعها من غير إفراط، وقد قال الحريري في مقامته: لا والذي زين الجباه بالطرر، والعيون بالحور.

وقال في موضع آخر: لو لم تبرز جبهته السين لما نقشت الخمسين. شبه أطراف الشعر المصفوف برؤوس السينات إذا كتبت.

وهو مقلوب من قول التهامي:

وفي كتابك فاعذر من تهيم به ... من المحاسن ما في أجمل الصور
الطرس كالخد والنونان دائرة ... مثل الحواجب والسينات كالطرر

والسوالف كناية عن خصل من الشعر ترسل على الخد واحدها سالف وسالفة، وفاعل إذا كان اسماً ولم يكن صفة يجمع على فواعل.

وأصل السالف صفحة العنق، فسميت خصلة الشعر سالفة لاتصالها بالسالفة، إذ السالفة هي موضع إرسالها، وقد تسمى أيضاً أصداغاً[1] لهذا المعنى، إذ الصدغ هو مبدأ إرسالها.

الحواجب

من أوصاف الحواجب الزجج وهو: دقة مخط الحاجبين وامتدادهما إلى مؤخر العين كأنما خطا بقلم. وضده الزبب وهو غلظ شعرهما وكثافته، ومن أوصافها البلج، وهو أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر، وهو من صفات السؤدد عند العرب، وكانوا يتيمنون بالسيد الأبلج. وقال الحريري في مقاماته: لا والذي زين الثغور بالفلج والحواجب بالبلج.

وقال أبو طالب يمدح النبي ﷺ:

وأبلج يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وضد البلج القرن وهو أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما. قال ثابت في كتاب خلق الإنسان: يقال رجل أقرن وامرأة قرناء، فإذا نسبت إلى الحاجبين قلت مقرون الحاجبين، ولا يقال أقرن الحاجبين، والمعروف من وصف رسول الله ﷺ البلج.

---

(١) قال صاحب الصحاح: الصدغ خصلة من الشعر ترسل بين العين والأذن، قال: ومنه قالوا: صدغ معقرب.

ووقع في الحديث وصفه لأم معبد بالقرن وهو خلاف المعروف من وصفه، ولعل القرن من وصفه كان خفياً جداً.

العيون

من أوصاف العيون[1] المستحسنة الكحل وهو اسوداد الحدقة من غير كحل حتى كأنها قد كحلت.

والحور هو شدة اسوداد سواد العين مع شدة ابيضاض بياضها، وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول: الحور هو أن تتسع حدقة العين حتى لا يظهر معها شيء من البياض كأعين الظباء والبقر، قال: وليس في بني آدم حور، وإنما هو تشبيه لها بأعين الظباء.

قال جرير:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقال ابن ميادة:

ونظرن من خلل الستور بأعين ... مرضى يخالطها السقام صحاح

وقال عبد الله بن جندب:

ألا يا عباد الله هذا أخوكم ... قتيل فهل فيكم به اليوم ثائر
خذوا بدمي إن مت كل خريدة ... مريضة جفن العين والطرف ساحر

وقال أبو نواس:

ضعيفة كر اللحظ تحسب أنها ... قريبة عهد بالإفاقة من سقم

---

(١) الدعج: وهو سعة الحدقة وشدة اسودادها.
البرج: وهو سعة العين وشدة ابيضاض بياضها.
النجل: وهو اتساع العين مع حسنها ومثله العَيَن بالتحريك والمرأة عيناء وجمعها عِين.
والوطف: وهو طول أشفار العين وتمامها، ومثله الهدب بفتح الهاء والدال المهملة، كذا في مختصر العين.
ومن أوصاف العين المستحسنة الفتور وهو انكسار النظر وذبوله في أصل الخلقة، وهو معنى وصفهم العين بالمرض والسقم.

وهذا الفتور والذبول هو الذي قصد من شبه العيون بالنرجس ألا ترى ابن المعتز نبه على ذلك بقول:

وسنان قد طرق النعاس جفونه فحكى بمقلته ذبول النرجس

ولا يصح ما ذكره بعضهم من أن التشبيه إنما وقع بنرجس المشرق في أعلاه دائرة كحلاء يحف بها ورق بيض على شكل العين فإن ذلك لم يثبت، ولو ثبت لكان لا يشبهها به إلا من علم وجوده، والتشبيه واقع ممن علم وجود ذلك وممن لا يعلم.

وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ: **«الزُّرَقُ في العين يُمنٌ»**[1].

وفي حديث ذكره أبو الفرج في كتاب النساء قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَزَوَّجُوا الزُّرْقَ فإنَّ فِيهِمْ يُمناً»**[2].

وقال معاوية لصحار العبدي: إنك لأزرق. فقال له صحار: والبازي أزرق، أخذه الشاعر فقال:

أحبك أن قالوا بعينك زرقة كذاك عتاق الطير زرق عيونها

وقال بعض المتأخرين:

قالوا به زرقة فقلت لهم بذاك تمت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها كم بين ياقوتة إلى سبجة

وأنشد الثعالبي في اليتيمة للوأواء الدمشقي:

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علمت إنسان عيني أن يعوم فقد جادت سباحته في بحر دمعته

قال الثعالبي: وهذا كقول السري الموصلي:

وقالوا بمقلته زرقة تشين فظل لها مطرقا

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١: ١٦٢)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١: ٥٩)، ابن عراق في تنزيه الشريعة (١: ٢٠٠)، ابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (١٠٦٣)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٥٢٩)، الألباني في السلسلة الضعيفة (٢١٧).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٩٦)، العجلوني في كشف الخفا (١: ٥٣٠)، الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٣٨).

وهـل يقطـع السيـف يـوم الـوغـى إذا لـم يكـن متنـه أزرقـا

ومن ألوانها الشُّكلة بضم الشين المعجمة وسكون الكاف وهي حمرة يسيرة تكون في بياض العين، فإن كانت في سوادها فهي الشهلة، وكلاهما مما يستحسنه كثير من الناس، والرجل منهما أشكل وأشهل، ومثل الأشكل الأسجر بالسين المهملة والجيم.

وجاء في حديث «كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين، قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيمه، قلت: فما أشكل العينين؟ قال: طويل شقهما».

قال عِياض في الإكمال: تفسير سماك ههنا الشكلة بطول شق العين وهم عند جميعهم، والصواب في الشكلة أنها حمرة بياض العين.

وكان الأصمعي يخالف في الأسجر فيقول هو معنى الأشهل بالهاء، وأكثر اللغويين على خلافه، وفي حديث حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ كان أسجر العينين ولم يرد في وصف رسول الله ﷺ الشهلة، وإنما وردت في وصفه الشكلة[١].

ومن معايب العين الحوص بالحاء المهملة وهو ضيقها، والخبص بالخاء المعجمة وهو غلظ الجفن الأعلى، والبجص مثله إلا أنه بالباء المفردة، وهو غلظ الجفن الأسفل، قال ثابت: وذلك خلق في العين ليس داءً حادثاً فيها.

الأنوف

من أوصافها الشمم، وهو استواء على قصبة الأنف من ارتفاع يسير في الأرنبة، وهو من صفات الجمال وعلامة السؤدد في الرجال.

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

بيـض الـوجـوه كـريمـة أحسـابهـم شـم الأنـوف مـن الطـراز الأول

وقال الفرزدق:

بكفـه خيـزران ريحـه عبـق مـن كـف أروع فـي عـرنينـه شمـم

وضد الشمم القناء وهو احديداب قصبة الأنف مع نزول الأرنبة.

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

وكان رسول الله ﷺ أشم[1] بذاك وصفه أصحابه، وفي بعض الأحاديث ما يدل على أنه ﷺ كان أقنى، والمعروف ما ذكرناه، ولعل القنو فيه كان خفيًّا جداً كما ذكرناه في البلج والقرن.

وقد بين ذلك ابن أبي هالة بقوله: أقنى العرنين يحسبه من لم يتأمله أشم، ومن أوصافها الدلف وهو قصر الأنف وصغر الأرنبة وبعضهم يستحسنه. قال أبو النجم أنشده ثابت في خلق الإنسان:

وللشمّ عندي بهجة وملاحة ... وأحب بعض ملاحة الدلفاء

وقريب من الدلف الخنس وهو قصر الأنف وارتفاع يسير في الأرنبة كأنوف الظباء والبقر، وهو من المعايب.

الخدود

من الخدود الأسجح وهو المتسع، وضده السهل وهو الذي فيه طول يستحسن وكذا الأسيل.

قال امرؤ القيس:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

وقال الأخطل:

أسيلة مجرى الدمع أما وشاحها ... فيجري وأما القلب منها فلا يجري

والوجنات من الخدود ما ارتفع منها، ويجوز تحريك الواو من مفردها بالحركات الثلاث.

وتشبيه الشعراء حمرة الخد بحمرة التفاح والورد وحمرة الخمر والجمر والدم باب واسع شائع شهرته تغني عن إيراد شيء منه.

ولكن نذكر هنا من ذلك قول أبي العباس بن الحسين بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وذكر التفاح:

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

زارتـك مـن بعـض الخـدور بيـض نـواعـم كـالبـدور
حـور تحـور إلـى صبـاك بـأعيـن منهـن حـور
وكـأنمـا بـرضـابهـن جنـى الـرحيـق مـن الخمـور
يصبغـن تفـاح الخـدود بمـاء رمـان الصـدور

وقال البحتري وذكر الورد:

لمـا مشيـن بـذي الأراك تشـابهـت أعطـاف أغصـان بـه وقـدود
فـي حلتـي حبـر وروض فـالتقـى وشيـان وشـيُ ربـا ووشـي بـرود
وسفـرن فـامتـلأت عيـون راقهـا وردان ورد جنـى وورد خـدود

وقال ابن المعتز وتضمنت أوصافاً:

ليـل وبـدر وغصـن شعـر ووجـه وقـد
خمـر ودر وورد ريـق وثغـر وخـد

الشفاه واللثات

الشفاه جمع شفة، وثبوت الهاء في الجمع دليل على أن الأصل ثبوتها في الواحد، ولكنها حذفت منه، ومن جمع شفة على شفوات فالمحذوف عنده من شفة الواو.

واللثات جمع لَثة، وهي اللحم المغشي لأصول الأسنان، ويسمى ما نزل منه بين الأسنان على شرف العمور واحدها عمر ويسمى أيضاً القيود.

ومنه قوله:

لمـرتجـة الأرداف هيـف خصـورهـا عِـذَابٌ ثنـايـاهـا لطـاف قيـودهـا

ويستحسن من الشفاه الشفة اللمياء واللمى مقصوراً سمرة يسيرة مستحسنة تكون في الشفاء واللثات وقد تكسر اللام منه وتضم.

وأنشد العالي لجميل:

وتبسـم عـن ثنـايـا واضحـات عـذاب الطعـم زينهـا لمـاهـا

قال: وقد يكون اللمى في غير الشفاء واللثات، يقال شجرة لمياء إذا اسود ظلها لكثافة أغصانها.

ويستحسن منه أيضاً الشفة الحواء واللعساء، والحوة بضم الحاء وتشديد الواو سمرة يسيرة وهي نحو من اللمياء، وربما كانت أشد منه.

قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوة وضحت ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

واللعس سمرة شديدة، تضرب إلى السواد، قالوا: شجر ألعس كناية عن كثافته واسوداد ظله.

ومن الشفاه المستحسنة الشفة الضمياء، والضمى مقصوراً سمرة يسيرة مع رقة وضمور، ومعنى ذلك في الشفة ظاهر، وإذا وصفوا به الرمح كنوا به عن رقته وسمرته، وإذا وصفوا به الظل كنوا به عن السمرة وعدم الكثافة، ورقة الشفاه مما يستحسن، وضده الدلم بالتحريك، والمرأة دلماء. وقال أبو عبيدة في كتاب النقائض عند قول الفرزدق:

دعون بقضبان الأراك التي جنى ... لها الركب من نعمان أيام عرفوا

فمحربة عذب الثنايا عروبة ... دقاق وأعلى حيث زكين أعجب

وقوله «وأعلى حيث زكين» أراد به لحم اللثا، يخبر أنها قليلة اللحم والعرب تمدح بقلته وتذم بكثرته، فلذلك ذكر العجفاء.

قال: ويستحب أيضاً في الشفة الخموشة وهي الرقة فإن غلظت قيل شفة ثبعاء، والرجل أثبع قال: ويقال في ذلك امرأة شفاهية أي كبيرة الشفة ورجل شفاهي.

وقيل لابن سيرين إن فلاناً اشترى جارية غليظة الشفتين، فقال: لو اشتراها غليظة الشفرين لكان خيراً له. ومما ورد في الشفاه واللثات من الشعر قول النابغة:

تجلو بقادمتي حمامة أيكة ... برداً أسف لثاتة بالإثمد

كالأقحوان[1] غداة غب سمائه ... عذب أعاليه وأسفله ندي

زعم الهمام بأن فاها بارد ... عذب مقبله شهي المورد

زعم الهمام ولم أذقه أنه ... عذب إذا ما ذقته قلت ازدد

شبه شفتيها بقادمتي الحمامة وهما الريشتان اللتان في مقدمتي جناحيها لرقتهما وشدة سمرتهما يجلوان أسنانها أي يظهران بياضها بما فيها من السمرة. وكان نساء العرب يجرحن لثاتهن ويجعلن الإثمد عليها فيبقى سواده فيها. وهذا كقول الآخر أنشده سيبويه:

---

(١) قوله كالأقحوان: شبه الثغر بالأقحوان وقد مطر ليلاً فجلاه المطر، وصفا لونه، ثم جف الماء من أعلاه فاشتد بياضه بسبب ذلك، وبقي أسفله منزوياً نبذ الماء وبقية الأبيات بينة المعنى.

كفـــواح ريـــح حمـــامـــة نجـــديـــة   ومـا استحـت بـاللثتيـن عصـف الإثمـد

الثغور

يقال ثغر وتل بفتح التاء وقد تكسر إذا كان حسن الوصف، ومستوى النبات، والرجل وتل بالكسر فإن كان بين الأسنان كلها تفريق يسير، فالثغر شتيت، والرجل شتيت الثغر، وليس ذلك بمكروه، وإن كان التفريق بين الثنايا خاصة فالثغر أفلج، والرجل أفلج الأسنان.

قال ابن دريد: ولا يقال رجل أفلج إلا إذا ذكرت الأسنان معه، والفلج من الأوصاف المستحسنة، قال الحريري: لا والذي زين الثغور بالفلج، والحواجب بالبلج، وجاء ذلك في وصف رسول الله ﷺ[(١)].

قال ابن عباس - رضي الله عنه - «كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه ﷺ[(٢)]. وقال عِياض في الشفاء: كان رسول الله ﷺ أفلج أبلج[(٣)]».

والأشر في الأسنان حدة في أطرافها وتحزيز يكون في أعاليها وهو مما يستحسن، وأكثر ما يكون مع الصغر وحداثة السن، والهمزة منه مضمومة.

وأما المشين فإن شئت ضممتها وإن شئت فتحتها، والشنب هو الماء الجاري على الأسنان، وقال بعضهم هو بردها وعذوبة مذاقها.

وقال ذو الرمة:

أسيلـة مجـرى الـدمـع هيفـاء طفلـة   رداح كـإيمـاض البـروق ابتسـامهـا
كـأن عــلا فيهـا ومـا ذقــت طعمــه   زجـاجـة خمـرٍ طـاب فيهـا مـدامهـا

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(٢) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(٣) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

وقال الشريف الرضي:

بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى   يلفنا الشوق من فرق إلى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي   مواقع اللثم في داج من الظلم

الأعناق

يقال عنق، وجيد، وتليل، وهاد، وكرد، وكلها بمعنى واحد، قال بعضهم: الكرد أصل العنق، وذكر السهيلي أن الجيد مما لم تستعمله العرب إلا في المدح، لا تقل جيد قبيح ولا جعلت الغل في جيده، وأورد على نفسه قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] فأجاب إن ذلك من نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

ومن أوصاف الأعناق المستحسنة التلع وهو إشراف العنق، وانتصابها، والسطع وهو كناية عن الطول، وجاء ذلك في وصف النبي ﷺ(١) والجيد وهو قريب من السطع والرجل أجيد والمرأة جيداء على القياس في مثل هذه الصفات.

قال قيس بن الحطيم:

حوراء جيداء يستضاء بها   كأنها غصن بان عوده قصفا(٢)

قال الشمرذال:

يشبهون ملوكاً في تحلتهم   وطول أنضية(٣) الأعناق واللمم

والأنضية بالضاد المعجمة جمع نضي وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق. كذا قال صاحب الصحاح.

وقال امرؤ القيس:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي   بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش(٤)   إذا هي نصته ولا بمعطل

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(٢) طول العنق مما يستحسن ما لم يفرط، فإذا أفرط صار ذمًّا.

(٣) الأنضية بالضاد المعجمة جمع «نضي» وهو ما بين الرأس والكاهل من العنق.

(٤) ليس بفاحش: أي ليس بمفرط الطول.

وذكر أرباب البيان أن من وصف العنق بالطول قول النابغة:

إذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها ... ومن يتعلق حيث علق يفرق

الأنامل

قال امرؤ القيس بن حجر:

وتعطو[(١)] برخص غير شثن[(٢)] كأنه ... أساريع[(٣)] ظبي[(٤)] أو مساويك أسحل[(٥)]

يقول: إن أناملها ليست كذلك، وقد يمكن أن يكون أشار إلى هذه الأنامل وقد طرفت بالحمرة كأنها رؤوس تلك الأساريع.

قال فيها ذو الرمة:

خرابيب ألمود كأن بنانها ... بنات النقي تخفي مراراً وتظهر

وفي هذه المساويك يقول ذو الرمة:

جرى الأسحل الأحوى برخص مخضب ... على الغر من أبنانها فهي نصعُ

وقال النابغة:

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم[(٦)] يكاد من اللطافة يعقد

النحور والصدور

النحر موضع القلادة من الصدر، قال: وكذلك اللبة، قال امرئ القيس:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجل

---

(١) تعطو: تتناول.

(٢) الشثن: الغليظ الجافي.

(٣) الأساريع: جمع أسروع وهي دود بيض الأجساد حمر الرؤوس شديدة الغضاضة والنعمة، فشبهها بها لبياضها ونعمتها.

(٤) ظبي: موضع معروف.

(٥) أسحل: شجر يشبه الأثل يُتّخذ منه المساويك فشبّه البنان بمساويكه للطافتها واستوائها.

(٦) يقال إن العنم التي شبه النابغة بها هي الأساريع التي شبه امرؤ القيس بها، ويقال: بل العنم شجر لين الأغصان محمر الثمر يشبه به البنان المخضوبة، وكثير من الرواة يروي بيت النابغة:

... عنم على أغصانه لم يعقد

فهذا يدل على أن العنم نبت لا حيوان.

قال: الترائب جميع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر فيخرج من كلامها أن النحور واللبات والترائب ألفاظ مترادفة.

ومن أبيات الحماسة:

سود ذوائبها بيض ترائبها ... درم[1] مرافقها في خلقها عمم[2]

وأنشد ثابت في خلق الإنسان:

والزعفران على ترائبها ... شرق به اللبات والنحر

فهذا قد أخبر أن صفرة ترائبها إنما هي لأجل الخلوق.

فأما قول ابن مطير:

بصفر تراقيها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها

وقول بشار:

وصفراء مثل الزعفران شربتها ... على صوت صفراء الترائب رود

حسدت عليها كل شيء يمسها ... وما كنت لولا حبها بحسود

فيحتمل أن تكون هذه الصفرة صفرة الخلوق كما تقدم، وأن تكون صفرة الحلي المذهب، وقال الشاعر فيما يتعلق بهذا الفصل:

حقاق من العاج قد ركبت ... على صحن صدر من المرمر

وقال ابن المعتز:

وذات دلال سبت مهجتي ... بمستشرفين على مرمر

كأن العقود على نحرها ... نجوم نظرت إلى المشتري

أخذه من قول الحارث بن خالد:

كأنما الحلي على نحرها ... نجوم فجر ساطع أبلج

وقال الأعشى:

عهدي بها في الحي قد سربلت ... هيفاء مثل المهرة الضامر

قد نهد الثدي على نحرها ... في مشرق ذي بهجة ثائر

لو أسندت ميتاً إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر

---

(١) الدرم: أي الممتلئات اللحم.

(٢) العمم: التّمام والكمال.

الثدي

الثدي أو الثديان يتصلان بالرحم بواسطة حبال وأعصاب دقيقة من أعلى إلى أسفل، وهما يؤثران على حركة الرحم عند الإثارة.

والجدير بالذكر أن لا علاقة لحجم الثديين في أداء وظيفتهما الجنسية عند المرأة، لكنهما يلعبان دوراً في عملية الذوق والرغبة عند الرجل تجاه المرأة.

يقال للمرأة إذا كعب ثديها أي ظهر كاعب، فإذا فلك أي استدار قيل مفلكة، فإذا نهد أي علا وأشرف قيل ناهد، وبعضهم يجعل الناهد والمفلكة واحداً.

قال أبو الفرج قيل لإبراهيم بن سيار النظام: أي تعاذير الثدي أحمد؟

فقال: وجدت الناس يختلفون في الشهوات وسمعنا الله يقول حين وصف الحور العين ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ: ٣٣]، ولم يقل فوالك ولا نواهد.

وقالت العرب: يسار الكواعب، ولم تقل يسار الفوالك، ولا يسار النواهد، فآثر النظام ابتداء النهود، وفي ضمن ذلك تفضيله صغر الثدي على كبره.

وقال كثير في مثل هذا:

نظرت إليها نظرة وهي عاتق ... على حين شبت واستبان نهودها

نظرت إليها نظرة ما يسرني ... بها حمرة أنعام البلاد وسودها

وبين ابن الجهم القدر الذي يريده من يريد صغر الثدي[1] يقول:

يملأ الكف ولا يفضلها ... وإذا ثنيته لا ينثني

وسئل آخر فقال[2]:

أريده ضخماً في غير تمديد ... مركناً من غير تبديد

فهذا استحسن كبره وأراد منه أن يكون مركناً ذا أركان، وهو المقعد الذي عناه النابغة بقوله:

والبطن ذو عكن لطيف طيه ... والنحر تنفحه بثدي مقعد

---

(١) لا علاقة لحجم الثديين في أداء وظيفتهما الجنسية عند المرأة، لكنهما يلعبان دوراً في عملية الذوق والرغبة عند الرجل تجاه المرأة.

(٢) لا علاقة لحجم الثديين في أداء وظيفتهما الجنسية عند المرأة، لكنهما يلعبان دوراً في عملية الذوق والرغبة عند الرجل تجاه المرأة.

قال أبو عبيدة: دخل مالك بن الحارث الأشتر على عليّ ـ رضي الله عنه ـ صبيحة بنائه على بعض نسائه، فقال: كيف وجد أمير المؤمنين أهله؟ قال: كخير امرأة لولا أنها حداء[١] قباء[٢]، فقال: وهل تريد الرجال من النساء إلا ذاك! قال: لا حتى تروي الرضيع وتدفئ الضجيع.

قال الجاحظ في البيان والتبيين: كتب الحجاج بن يوسف إلى الحكم أن يخطب لابنه عبد الملك امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعلها، فكتب إليه: قد أصبتها وهي خولة بنت مسبغ لولا عظم ثديها، فكتب إليه الحجاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها، وزوجها ابنه.

وقال المرّار بن منقذ:

صلبة الخد طويل جيدها ... ضخمة الثدي ولما ينكسر

ومن هنا أخذ بشار قوله:

والثدي تحسبه وسنان أو كسلاً ... وقد تمايل ميلاً غير منكسر

ومن أبيات الحماسة[٣]:

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا

الخصور[٤]

قال امرؤ القيس:

---

(١) الحداء: الصغيرة الثديين.

(٢) القباء: اللطيفة الكشحين.

(٣) يقول إن ارتفاع ثدييها يمنع الثوب أن يمس البطن، وارتفاع ردفها يمنعه أن يمس الظهر، فإذا تناوحت الرياح، أي أتت من كل ناحية، وجدت بين جسمها والثوب هواء خالياً فتمكنت من رفعه فيبدو ما تحته فينبه حسد الحاسد ويهيج غيرة الغيور.

(٤) كان العربي والأوروبي قديماً يحبّان النساء البدينات، فقد ذكرها العربي في شعره، والأوروبي صوّرها بلوحاته، ظنًّا منهما أن البدانة تحمي من الأمراض، لذا كانوا يحرصون على الارتباط بالبدينات أملاً بنسب قوي معافى. أما اليوم فقد أثبتت الدراسات والأبحاث العلمية والطبية أن البدانة هي سبب رئيس لكثير من الأمراض بشكل مباشر أو غير مباشر فالأمر سيّان. أضف إلى ذلك أن النظرة والذوق الجمالي قد تغيّر إلى حدّ ما في أيامنا الحاضرة، إذ صارت المرأة الجميلة هي تلك النحيفة الرشيقة الممشوقة القوام.

وكشح[١] لطيف كالجديل[٢] محضر وساقٍ كأنبوب السقي المدلل[٣]

ومن أبيات الحماسة:

عقيلية أما ملاث إزارها[٤] فدعص[٥] وأما خصرها فبتيل[٦]

وهذا قول ابن عبد ربه:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقاً ورشاً بتقطيع القلوب خليقاً
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دراً يعود من الحياء عقيقاً
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه ألفيت وجهك في سناه حليقاً
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقاً

ويقال: إن أبا الطيب المتنبي لما سمع هذه الأبيات صفق بيديه استحساناً لها وقال: والله يا ابن عبد ربه ليأتينك أهل العراق حبواً.

السُّرَر

وقال صاحب الصحاح: تقول: كان ذلك يقطع سُرك بالضم ولا تقول قبل أن تقطع سرتك، لأن السرة لا تقطع، وإنما هي اسم للموضع الذي يكون فيه السُّر، والسُّر هو الطرف الذي يقطع منها، فالسرة من الأربعة التي يستحب اتساعها من المرأة، وذكرنا أن قولهم في وصفها كمدّهن العاج إشارة إلى اتساعها وبياضها[٧].

وقال ابن المعتز وجمع بين ذكر العكن والسرر:

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقد السرر

وقال أبو الحسن الباخرزي في كتاب دمية القصر: لم أزل أستحسن هذا المعنى لابن المعتز، وتملكني الإعجاب به حتى سمعت قول التهامي:

---

(١) الكشح: الخصر.
(٢) الجدير: العنان المضفور.
(٣) يشير إلى رقّة الخصر.
(٤) ملوث إزارها: الموضع الذي يُلفّ عليه الإزار، لعله يريد الأرداف.
(٥) الدعص: هو الكثيب من الرمل.
(٦) بتيل: رقيق، يريد أنه لرقّته كاد ينقطع.
(٧) إن أكثر ما نراه اليوم من الأزياء ينفرج عن السُّرر، لكن فتياتنا لا يأخذن بالاعتبار شكل السُّرة، بل الأزياء الدارجة فقط، فلعلهنّ يتنبهن إلى ذلك، ربما عزفت الكثيرات منهن عن لبس تلك الأزياء.

وغـادرت فـي العـدا طعنـا يحـف بـه ضـرب كمـا حفـت الأعكـان بـالسـرر

فغطى استحساني لهذا البيت على استحساني لما قبله، ومن كتاب كنوز المطالب لابن سعيد، وذكر تميم بن المعتز. فقال: ومن أحسن ما قيل في نيل مصر قوله:

والسفـن تصعـد كـالخيـول بنـا فـي مـوجـه والمـاء ينحـدر
فكـأنمـا أمـواجـه عكـن وكـأنمـا داراتـه سـرر

الفرج

لم يختلف أحد في استحسان ضخامة الفرج وكبره، ومن اختلف في استحسان السمن، والضمور، وكبر الثدي وصغره، ووفور العجيزة أو توسطها لم يختلف في هذا، بل جميعهم متفق على أن الفرج مهما ازداد ضخامة ووفراً ازداد استحساناً واستحق تفضيلاً ومدحاً[1].

قال النابغة يذكر المتجردة امرأة النعمان، وقد كان النعمان يسأله ذلك:

---

(١) أما الأعضاء التناسلية للمرأة فهي الفرج أو القسم الخارجي منه ـ وهو يشبه شكل فمها إلى حدّ بعيد، وقد أكدت الدراسات هذه النظرة ـ والقناة المهبلية، والرحم، والمبيضان، والثديان.

الفرج: إن جميع أقسام الفرج داخلية ما عدا الفرج الظاهر الذي يتكون من عضلة ذات إفرازات حمضية تمنع عوامل الالتهابات، وفيه شفارين وبظر يسهمان في إضفاء لذة على العلاقات الجنسية بين الزوجين.

القناة المهبلية: أما القناة المهبلية فهي أنبوب أو قناة تصل ما بين الفرج والرحم. أما بالنسبة لطولها قوطرها تقريباً يتناسبان وينسجمان مع طول وقطر قضيب الرجل، حيث لا تتجاوز الخمس عشرة، أو السبع عشرة سنتيمتراً ونصف في عمقها.

والقناة المهبلية قابلة للتمدد الجانبي بحيث يمكن لعضو الرجل التناسلي الدخول عندما يلتقي الاثنان في عملية الجماع. وهي تنفتح نحو الرحم أو بالأحرى فجوة الرحم.

الرحم: أما الرحم فهو كيس يشبه حمر الكمثري معلّق في الفجوة المهبلية بحبال وعضلات تنزل من الأعلى. يتّجه عنق الرحم نحو الأسفل وهو قبل عملية التلقيح يكون قرابة الخمس سنتيمترات قُطراً بالنسبة للقسم العلوي منه، وهو القسم الواسع العريض فيه.

أما في طرفه السفلي عند نهايته فهو متصل مباشرة وينفتح على القناة المهبلية، وهو مليء بالأعصاب الدقيقة والحساسة جداً، وهو عضل صلب عندما يكون هامداً، وهو عادة ذا رقبة وطرف دقيقين.

المبيضان: فيقعان في كل جهة من فوق الرحم في المنطقة الواقعة في أعلى المغبن. والمغبن منطقة صغيرة شبيهة بالمروحة، مرتبطة بالرحم عن طريق قناتين صغيرتين تعرفان باسم قناتي «فالوب»، ودور هاتين القناتين أن يتمّ بواسطتهما انتقال البويضات من المبيض إلى الرحم.

وإذا لمست لمست أخثم[١] جاثماً[٢] متحيزاً[٣] لمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير[٤] مقرمد[٥]
وإذا نزعت نزعت[٦] عن مستخصف[٧] نزع الجرقد[٨] للرشا المستحصد[٩]

وأنشد سيبويه في هذا المعنى :

إن لها مركباً أرزبا[١٠] كأنه ذرا أحبا

قال أبو عيينة الأسدي يخاطب أسماء بنت خارجة، ويشير إلى ابنته هند :

جزاك الله يا أسماء خيراً فقد أرضيت فيشلة الأمير
بصدع قد يفوح المسك منه عظيم مثل كركرة البعير[١١]

قال عبد بني الحسحاس :

من كل بيضاء لها كعثب مثل سنام البكرة المائر[١٢]

وقال الشاعر :

لها كفل وافٍ وبطن معكن وأخثم مثل القعب غير منور[١٣]

يشير بقوله غير منور بكسر الواو أنه حلق ولم ينبت بعد، ومن أبيات الحماسة :

قامت تمطى والقميص منخرق
فصادف الخرق مكاناً قد حلق
كأنه قعب نظار منفلق

---

(١) الأخثم : العريض المرتفع.
(٢) الجاثم : هو الذي ثبت في موضعه.
(٣) المتحيّز : حاز ما حوله وبرز.
(٤) العبير : الزعفران.
(٥) المقرمد : المطلي.
(٦) أصل النزاع : جذب الحبل من البئر، فضربه مثلاً لجذب الذكر من الفرج.
(٧) المستحصف : الشديد الضيق، القليل البلل.
(٨) الجرقد : الغلام القوي.
(٩) الرشا المحصد : الحبل المفتول.
(١٠) المركب : أعلى الفرج، والأزرب : الغليظ.
(١١) شبّه الفرج بكركرة البعير وهي الرحا التي تحت زوره، وما أرادوا بذلك إلا نتوءه، وعظمه، وحرنه.
(١٢) شبّه بسنام البعير والناقة لنتوئه.
(١٣) شبّه بالقعب المكفو، وهو القدح المقلوب وذلك لضخامته ونتوئه. وهو يشير إلى نتفه أو حلقه ولم ينتبه الشعر عليه من بعد.

وأنشد أبو علي في الأمالي وهو للأعشى:

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنها ... وخوى[1] بها رابٍ كهامة جنبل[2]
إذا ما علاها فارس متبذل ... فنعم فراش الفارس المتبذل

وهذا كقول الفرزدق:

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها ... بثديين في صدر عريض وكعثب[3]

زعم أنها إذا بطحت لم يمس الأرض منها إلا ثدياها وكعثبها، فكانت لبدنها كالأثافي.

قال الفرزدق:

ما مركب وركوب الخيل يعجبني ... كمركب بين دملوج وخلخال
كالفارس المجري إذا انبهرت ... أنفاس أمثالها من تحت أمثالي

وقد ذموا بصغر الفرج وهجوا به وعدوه في أوصاف النساء المذمومة وقالوا: امرأة قعرة بفتح القاف وكسر العين المهملة إذا كانت قليلة لحم الفرج.

قال الصولي: فلما قال بشار:

عجزاء من بني مالك ... لها هن من بطنها أرفع
زين أعلاه بإشرافه ... وانضم من أسفله المشرع

خفي على ذلك فحفظ الناس وقدموه.

قال ابن السيد في الاقتضاب ولابن صارة من شعر الذخيرة في وصفه:

أبرزت إذ بدت لنا ... كاعباً يملأ اليدا
فيه فرج كأنه ... عقد عشرين مفردا

قال منه حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «خير النساء الحارقة». والحارقة: هي الضيقة الفرج.

ونذكر هنا فصلاً في إباحة النظر إلى الفرج وإبطال ما روي في ذلك من المنع منقولاً من كلام الإمام الحسن بن القطان من كتابه المسمى بالنظر في أحكام النظر.

---

(١) خوى: رفع.
(٢) الجنبل: الفرج العظيم.
(٣) يقول: إن كعثبها لضخامته يرفعها إذا انبطحت، فتتجافى لذلك بطنها عن الأرض.

قال ابن القطان: أما النظر إلى الفرج فموضع خلاف أجازته المالكية، وقيل لأصبغ: إن قوماً يذكرون الكراهية فيه، فقال من كرهه فإنما كرهه بالطب لا بالعلم، ولا بأس به وليس بمكروه.

وروي عن مالك لا بأس أن ينظر إلى الفرج في الجماع، زاد في رواية، ويلحسه بلسانه[1]، وهذه مبالغة في الإباحة وليس على ظاهره.

قال القاضي أبو الوليد ابن رشد: أكثر العوام يعتقدون أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى فرج امرأته في حال من الأحوال، قال: وقد سألني عن ذلك بعضهم واستغربت أن يكون جائزاً.

قال ابن القطان: وعلى هذا أيضاً مذهب الحنفية بالجواز، وأما الشافعية فلهم فيه قولان أحدهما الإباحة والآخر المنع كما تقدم.

والنظر إلى داخله عندهم أشد، ذكر ذلك الغزالي ولم يحك فيه عن الشافعية قولاً ثالثاً، وأعرفه لأبي إسحاق منهم قال: يكره النظر إليه لأنه سخف ودناءة ولا يحرم.

قال: وقد روي في منع ذلك وإباحته حديثان لا يصح حديث منهما.

فأما حديث المنع فروي بقية بن مخلد عن هشام بن خالد عن بقية بن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر أحدكم إلى فرج امرأته ولا فرج أمته، فإن ذلك يورث العمى**»[2].

ورواه أبو أحمد بن عدس عن بقية أيضاً بالسند المذكور فقال: «**إذا جامع أحدكم جاريته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى**»[3]. قال فيه أحمد بن عدي: حديث منكر.

---

(١) إن أكثر ما يُمتع المرأة أثناء العلاقة الجنسية مداعبة البظر باليد وباللسان فهذا البظر غدّة حسّاسة جداً، وليُعلم أن مداعبة البظر عند المرأة شهوتها إلى أقصى الحدود، مما يجعلها تستسلم للرجل كلّياً.

(٢) أخرجه ابن حجر في آداب الزفاف (٣٥).

(٣) أخرجه الزيلعي في نصب الراية (٤: ٢٤٨)، ابن عبد البر في تجريد التمهيد (٩١٠)، السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢: ٩٤)، ابن حبان في المجروحين (١: ٢٠٢)، الألباني في السلسلة الضعيفة (١٩٥)، ابن عراق في تنزيه لاشريعة (٢: ٢٠٩)، الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢٧). ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٢٣٩٤)، الفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٨٣٩)، ابن عدي في الضعفاء (٢: ٥٠٧).

قال ابن القطان: ليس في رواته من ينكر حديثه غير بقية، فقد قال المحدثون: بقية أحاديثه غير نقية، فكن منها على تقية.

وأما أحاديث الإباحة فروي عن عبد الرحمٰن بن زياد عن سعيد بن مسعود الكندي أن عثمان بن مظعون أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لا أحب أن أنظر إلى عورة امرأتي، ولا أن ترى ذلك مني، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعلها لك لباساً، وجعلك لها لباساً، وإني أرى ذلك منهن ويرينه مني**»[1]. قال: فمن بعدك يا رسول الله أولى؟

الأرداف

الردف والكفل والعجيزة والعجز والمأكمة واحد، ويقال: امرأة عجزاء إذا كانت عظيمة العجيزة، وذلك من صفات المرأة المستحسنة، وكره بعضهم إفراط كبرها، وضد العجزاء الزلاء والرسخاء، وهما صفة ذم عند الجميع، قالوا: كانت الثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة تصب الماء على رأسها ولا يصل إلى فخذيها شيء منه لوفور عجيزتها.

وذكروا أن عائشة بنت طلحة كانت تستلقي على قفاها فتدحرج الأترجة من تحت ظهرها فتخرج من الناحية الأخرى لوفور عجيزتها أيضاً. وحلف مطيع بن إياس أن جاريته أيضاً كذلك.

قال الحارث بن خالد المخزومي في عائشة بنت طلحة:

قرشية عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحُق
وتنوء تثقلها عجيزتها نهض الضعيف ينوء بالوسق

قال مسلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمنى، أو قال بمسجد الخيف وكانت جالسة فنهضت لتقوم ومعها امرأتان تنهضانها فانخزلت عجيزتها لعظمها فقالت إني لمعناة بكما، قال مسلم: فذكرت قول الحارث بن خالد المخزومي (وتنوء يثقلها عجيزتها) البيتين المتقدمين.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٨٤٣)، السيوطي في جمع الجوامع (٤٧٧٣)، ابن سعد في الطبقات (٣: ١: ٢٨٧).

قالت سلامة مولاة فلانة: زرت مع مولاتي عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفة فرأيت عجيزتها من خلفها، وهي جالسة كأنها غيرها، فوضعت يدي عليها لأعلم ما هي، فلما وجدت مس يدي قالت ما هي هذه التي تمسني؟ فقلت: أنا رأيت هذه التي خلفك فخلت أنها امرأة خلفك جالسة معك، فجئت لأنظر من هي؟ فضحكت وقالت: ما أكثر ما يُعجب مما تعجبين منه. قالت سلامة: ولم أر قط أحسن جسماً من عائشة بنت طلحة.

وذكر أبو الفرج في الأغاني أن رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت ضرتها عند عمر بن عبيد الله قالت ذات يوم لمولاة عائشة: أريني عائشة إذا كانت متجردة، ولك عندي ألف درهم، فأخبرت عائشة وقالت لها إن فلانة قد سألتني أن أريها إياك وتعطيني ألف درهم فما ترين في ذلك؟

فقالت عائشة: أعلميها أني أتجرد ولا تعلميها أني عالمة بذلك، ثم قامت عائشة بنت طلحة كأنها تغتسل فأقبلت ورأتها مقبلة مدبرة، فلما فرغت من ذلك أعطت مولاتها، وقالت لها: وددت أني ضاعفت لك العدد ولم أكن رأيتها من قبل.

قال المسعودي في مروج الذهب: كانت هند بنت عتيبة أم معاوية بن أبي سفيان وافرة العجيزة قال: وجلس يوماً أبو الجهم بن حذيفة العدوي على المائدة مع معاوية بن أبي سفيان فقال له: يا أبا الجهم من أسن أنا أم أنت؟

فقال: يا أمير المؤمنين والله لكأني أنظر إلى أمك وإلى عظم عجيزتها، وقد جئت أخطبها قبل أبيك، وقبل زوجها الفاكه بن المغيرة، ثم تزوجها أبوك فأتت بك وبإخوتك، فقال له معاوية: يا أبا الجهم إياك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبي ويثب وثوب الأسد، فهذه مائة ألف استعن بها والحق بأهلك وإياك ومثل هذا، فقبّله أبو الجهم بين عينيه وقال: أبيت إلا حلماً وكرماً، ثم قال:

نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا
نميل على جوانبه كأنا نميل إذا نميل على أبينا

قال كشاجم في كتاب أدب النديم: كان المأمون كثيراً ما يجالس عمرو بن أبي عمرو الشيباني.

قال عمرو: بينما أنا جالس بين يدي المأمون إذ دخل الحاجب فألقى إليه سراً أصغى إليه بذهنه، فذهبت لأنهض فقال لي: إجلس فلولا أن للحجبة مؤمرات لا تصلح

إلا باستطلاع الرأي فيها لكنت عندنا ممن لا نحتشمه ولا نستر أمراً عنه.

فقلت: الحمد لله الذي وصل لي هذا الفضل من أمير المؤمنين. ثم التفت إلى الحاجب، فما لبث أن دخل بوصائف حسان الصور فاعترضهن، ثم قال: أيهن أفضل عندك؟ فقلت: إن كان لما جمعت من الأوصاف الحسنة المستحسنة فهذه، وأشرت إلى واحدة منهن مدمجة الخصر راجحة الكفل، ثم قلت: لأمير المؤمنين رأيه واختياره وموقع شهوته، فقال: قد وافقت شهوتي ما اخترته برأيك، وأمر بأخذها، وخرج النخاسون وسائر الجواري، فالتفت إليّ وقال: ما قالت الشعراء المجودون في الأكفال؟ قلت: الأبيات التي تهادتها الرواة، قال: كأنك تريد قول القائل:

وبيض منيرات الوجوه كأنما ... تأزرن دون الريط من رمل عالج
يدرن مروط الخز قبلاً كأنها ... قصار وإن طالت بأيدي النواسج

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين هو الذي أردت، فقال: لعمري لقد أحسن إلا أن أخا بني أسد أرق معنى وأحسن مغزى في قوله:

يمشين مشي قطا البطاح تأودا ... قب البطون رواجح الأكفال
يمشين بين حجالهن كما مشت ... برك الجمال دلجن بالأحمال
وإذا أردن زيادة فكأنما ... يخلعن أرجلهن من أوحال

ثم قال: أفهمت ما قال في البيت الثاني؟ قلت: قد أعطى الله أمير المؤمنين من المعرفة ما لا ينازع فيها. فقال: إن الأحمال إذا دلج بها حاملوها على الإبل استرخت أكفالها، فإنما شبهها بها وهي على تلك الصفة.

السوق

يقال ساق خدلَّجة: أي ممتلئة لحماً، وكذلك ساق خدلاء وخدلة، وتوصف بها المرأة كناية عن امتلاء ساقيها وذراعيها، ومثلها الممكورة، وضد ذلك في صفة السوق الحمشة بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وبالشين المعجمة وهي الساق الرقيقة، وإذا وصفت المرأة بها أضفت فقلت المرأة حمشة الساقين.

وفي حديث سماك بن حرب عن جابر قال: «كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة»[1] أي رقة.

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، =

ومن الشعر في هذا الفصل قول امرئ القيس:

وكشح لطيف بالجديل مخصرٍ ... وساق كأنبوب السقي[1] المدلل[2]

وقال جميل:

وعجيزة ريا وساق خدلجة ... بيضاء تسكت منطق الخلخال

أخذه من قول النابغة حيث قال:

على أن حجليها وإن قلت أوسع ... صموتان من ملء وقلة منطق[3]

قال الجوزي في كتاب الأذكياء: لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها: يا جارية والله إنك لمنية المتمني، ولكنك حمشة الساقين، فقالت: يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليها لأنك لا تراها، فاشتراها وحظيت عنده وأولدها ولديها موسى الهادي وهارون الرشيد.

وقد ذكرنا معنى الحموشة، وقد تقدم في ذكر الزينة ذكر بلقيس وأنها كانت شعراء الساقين، وأن الجن أرادوا أن يرى ذلك سليمان عليه السلام فتنبو عينه عنها فبنوا له صرحاً ممرداً من قوارير زجاج فلما رأته حسبته لجة فكشفت عن ساقيها لكي تخوضه فرآها سليمان عليه السلام فأعجبته وكره ما رآه في ساقيها من الشعر[4] فكلف بعض الجن بما يزيل الشعر فاخترعوا له النورة.

الأقدام

الأقدام جمع قدم، والقدم في اللغة اسم للرجل بأسرها من حيث اتصلت بالساق.

قال ثابت في كتاب الإنسان: أحسن الأقدام السبطة التي لان عصبها، وطالت سلامياتها وأصابعها.

= جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(١) أنبوب السقي كناية عن البردي الثابت بين أثناء النخل، شبهه بساق المرأة لبياضه وامتلائه ونعمته.

(٢) والمدلل الذي جمعت أطرافه وعطفت، وذلك دليل على كرامته على أربابه وتعاهدهم له بالسقي.

(٣) النابغة هو أول من استعار خرس الخلاخل وصمتها فتبعه الناس.

(٤) قال الثعالبي في فقه اللغة: يسمى الشعر الذي في ساق المرأة: الغَفَّ، بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء.

وضدا الكزماء ويقال للقدم التي لا أخمص لها: رحاء بالراء والحاء المهملتين. وكان رسول الله ﷺ لا أخمص لقدميه[١].

وقال ابن الرومي:

تغشى غواشي فروعها قدماً ... بيضاء للناظرين مقتدَره[٢]
مثل الثريا إذا بدت سحراً ... بعد غمام وحاسر حسره
في الشرق كاس وفي مغاربها ... قرط وفي أوسط السما قدم

قال الحصري في كتاب نور الطرف، وقد ذكر هذه: هذا من أجمع ما قيل في الثريا وأحسنه.

قال أبو الفرج في الأغاني: كانت عائشة بنت طلحة أجمل الناس وأكملهم محاسن، وكان فيها عيبان اثنان: كبر في أذنيها وعظم مفرط في رجليها، وكانت ضرتها رملة بنت عبد الله بن خلف كبيرة الأنف، وكانت عائشة تعيرها بذلك فبلغ ذلك رملة، فتقول: أتراها نسيت أذنيها ورجليها، قال: وعاتبتها عائشة يوماً بمحضر زوجها عمر بن عبيد الله، فقال لها: قولي خيراً واحذري أن يقال فيك ما فيك. يشير إلى رجليها وأذنيها.

أخرج ابن أبي شيبة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث أم سليم تنظر إلى امرأة فقال لها: «شمي عوارضها وانظري عرقوبيها»[٣] قال الأصمعي: إذا اسود عرقوب المرأة اسود سائرها.

وهذا هو معنى قول النابغة:

ليست من السود أعقاباً إذا انصرفت ... ولا تبيع بجنبي نخلة البرما

وفي حديث مسلم عن شعبة عن سماك قال: كان رسول الله ﷺ منهوض العقبين[٤]، قال شعبة قلت لسماك: ما منهوش العقبين؟ قال: قليل لحمها.

---

(١) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(٢) مقتدَرة: لطيفة.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣: ٢٣١)، البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٨٧)، الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٦)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٥٧٥)، أبو داود في المراسيل (٢٤).

(٤) وردت أوصاف دقيقة مفصّلة لرسول الله ﷺ في كتاب «جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ»، =

يروى ذلك بالشين المعجمة وبالسين المهملة، وذلك مستحب من وصف الرجال وضده الدرم وهو امتلاء العقبين باللحم وهو مستحب في وصف المرأة. وينشد العجاج:

قامت تريك خشية أن تصرما
ساقاً بخنداة وكعباً أدرما
وكفلاً ملء النقى أو أعظما

ساق بخنداة: أي تامة ممتلئة، وكذلك خبنداة بتقديم الخاء، وهذا الرجز ينسبه الناس إلى العجاج.

وقد ذكر الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الأنوار في حديث خرجه عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ وحادٍ يحدو بهذا الرجز. ومما يتعلق بهذا الفصل قول أبي بكر بن مجبر وهو مما يكتب فيقال:

لا يدع العاشقون الحب منزلة إلا إذا احتملوا للحسن كل أذى
لو لم أكن أنقذ[1] العشاق فيه لما أوطأت خدي أقدام لحسان كذا

= جمعه الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني. ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

(١) أنقذ: إن شئت قلتها بالفاء والذال المعجمة وإن شئت قلتها بالقاف، بدال المهملة.

باب في الجماع

الجماع: هو من أعظم اللذات، وأقوى الشهوات الحيوانية. وذكر الأطباء من منافعه أنه ينشط النفس ويسرها ويزيد في النشاط ويزيل الغضب ويذهب بالفكر الرديئة والظنون السيئة، وإنه يسكن عشق العشاق إذا أكثروا منه، وإن كان مع غير من يهوونه، ويخفف عن البدن الممتلىء، وهو عظيم النفع لأصحاب الأبدان القوية العبلة الكثيرة الدم، ومضر لمن كان بضد ذلك(١).

---

(١) إن من البديهي التسليم بأن الغريزة الجنسية عند الإنسان والحيوان لها هدف واحد في الأصل، وهو الحفاظ على استمرار وديمومة كلّ جنس منهما بالتكاثر، وبمعنى آخر: إن وجود الغريزة الجنسية عند الأسرة البشرية هي إنجاب النسل.

إذاً مما سبق نستنتج أن للأعضاء الجنسية وظيفة تناسلية ومن هنا تُطلق عليها تسمية الأعضاء التناسلية لأنها هي الأساس في تلك العملية.

إن الإنجاب عملية تؤدّي شكلاً جديداً من أشكال الحياة حيث تكون الأنثى مصدراً للبويضة التي سينتج عنها مخلوق جديد.

لكن مهما يكن من أمر فالبويضة وحدها لا تُنتج، إذ لا بدّ لها من الاتحاد مع البذرة التي يقتصر إنتاجها على الذكر.

هذه البذرة تُعرف من الناحية العلمية بالسائل المنوي، ووظيفة هذا السائل هي تلقيح البذرة الخامدة في البويضة التي تنتجها الأنثى، وبهذه الطريقة تظهر حياة جديدة لمخلوق بشري جديد يحمل مواصفات الوالدين ونوعيتهما.

إذاً فعملية التلقيح لا يمكن لها أن تتم إلاّ إذا اتّحدت البويضة مع السائل المنوي الذي لا يمكن له الوصول إليها إلا بعد عملية الجماع والولوج أي ولوج القضيب الذكري في القناة المهبلي عبر الفرج وقذف السائل المنوي.

لما كان المبيضان هما المنتج والمكان الذي تصدر عنه البويضات عند الأنثى، كانت الخصيتان هما المكان الأمثل الذي يمكن للسائل المنوي أن يتكون بهما.

هاتان الخصيتان تنتجان السائل المنوي وكل ذرة منه تحتوي على آلاف من الحيوانات المنوية التي تكون على استعداد للاستعمال لدى كل اتصال بين الأعضاء التناسلية المولِّدة للذكر والأنثى.

هذا وأن أي ذرة في هذه الذرات التي لا يُحصى عددها من السائل المنوي تؤدي إلى حمل محتمل عند ملامستها للبويضة غير الملقّحة في الرحم.

هذه الذرات في السائل صغيرة إلى حد أنها لا تُرى بالعين المجرّدة، وهي بعد رؤيتها بالمجهر شبّهها =

قال الرازي في كتابه المعروف بالمنصوري: وليحذر أصحاب الأبدان اليابسة حذر العدو فإنه يؤدي إلى الدق إذا أكثروا منه، وكذلك النقه والضعفاء والنحفاء، ومن نواحي خواصره ومراقه ضعيفة رقيقة مهزولة ومن عصبه ضعيف، فإن الجماع الكثير

= العلماء بصغار الضفادع في بداية مراحلها.

لكي يصبح بالإمكان إنتاج حياة جديدة لكل من الذكر والأنثى، فمن الضروري أن يتمّ اتّحاد بين عضوي الذكر والأنثى فهما من أسباب الولادة المهمة والضرورية التي على الأرجح لا تتم عملية الإنجاب الطبيعية إلاّ بهما.

إذاً فعند التقاء العضوين التناسليين عند الرجل والمرأة سيمتلئ القضيب الذكري دماً، وجميع أوعيته الدموية سوف تنتفخ وتتضخّم إلى أقصى سعتها، إلى أن يصبح القضيب صلباً ويزداد حجمه طولاً وقُطراً، في هذه الحال يصبح من الممكن للرجل إيلاج قضيبه في القناة المهبلية للمرأة، وبناء لطبيعة تركيب القناة المهبلية التي تتمتّع بقدرة على احتواء القضيب وضمّه بشكل تام، وهو في حالته المتصلبة المتنفخة تصبح عملية الالتقاء هذه عملية ممتعة.

عندما يصبح عضو الذكر وعضو المرأة في جيئة وذهاب متبادلين وبحركة جزئية إلى حدّ ما داخلاً وخارجاً وكلما ازدادت حركتهما بهذا الشكل يزداد توسع وكبر عضوي التناسل عند الاثنين معاً الذكر والأنثى مما يدفع الزوجين إلى درجة عالية من التوتر والاهتياج.

إن هذه الحركة الاحتكاكية للعضوين وحسب افتراض بعض الدارسين والمتخصصين تُنتج تياراً كهربائياً، وهذا التيار يزداد توتراً مع استمرار عملية الجماع، وفي هذه الحال تأتي وظيفة الشعر المنتشر في أنحاء الجسم والتي هي غير موصلة للتيار الكهربائي، لكنها تقوم بحصره في الأقسام المتلامسة والمتحاكة من الجسم أثناء عملية الجماع.

في ظل هذه الحال هناك غدتان في هذين العضوين التناسليين عند الرجل والمرأة تقومان بوظيفة عجيبة ومدهشة في آن معاً وبدرجة كبيرة جداً.

هاتان الغدتان إحداهما «حشفة» العضو الذكري وهي رأس العضو، والأخرى «البظر» وهي غدّة تقع في وسط القسم الأعلى الخارجي للفرج.

هاتان الغدتان مغطاتان ببشرة رقيق جداً، وهما مليئتان بأعصاب حساسة جداً، وعندما تستمر عملية الجماع فإن هاتين الغدتين تغدوان أكثر حساسية، وتحملان ما لا طاقة لهما بحمله، حتى تصلا في النهاية إلى بلوغ الذروة وقِمّة التهيّج الجنسي والتي تؤدي أخيراً إلى نوع من الانفجار العصبي لعضوي التناسل في العملية الجنسية، وتسمى هذه الذروة علمياً هزّة التهيّج الجنسي، أو القذف، أو هزّة الجماع.

هذا القذف للسائل المنوي عند الرجل يقابله عند الأنثى انفتاح الرحم عبر القناة المهبلية وامتلاء القناة بهذا السائل يجعل الرحم يسكب البويضات القابلة للتلقيح فتنغمر به، وهذا أقصى ما تصل إليه العملية الجنسية بين الرجل والمرأة.

إن هذه الوظيفة للأعضاء التناسلية يشترك فيها الإنسان والحيوان على السواء، وذلك لاستمرار النسل وعملية الخلق.

لكن ما يميّز الإنسان فيها عن الحيوان هو أن العملية عند الإنسان محكومة بالمشاعر والأحاسيس إضافة إلى الغريزة، بينما هي في عالم الحيوان غريزة فقط.

يضر بهؤلاء ضرراً شديداً. وقال جالينوس في بعض كتبه: المني أحد الفضلات التي لا بد من إخراجها، فإنه إن أقام في البدن حدثت منه مضار وأمراض رديئة، فلذلك يستحب أن ينتقص منه باعتدال.

قال: وأحوج الناس إلى إخراجه من يعتريه عند ترك الجماع ثقل في الرأس، وظلمة في العينين، وكآبة، وبلادة، وإفراط في النوم، فالجماع أو الاحتلام يخفف عن هؤلاء ذلك كله، وأشد الناس استغناء عن الجماع من يصيبه عقبه الرعدة والكسل وسقوط شهوة الطعام.

قال الرازي: وينبغي أن لا يكون الجماع على الجوع المفرط، ولا على الامتلاء المفرط، ولا في الحمام، ولا بإثر التعب، ولا عقيب القيء، والإسهال، ولا الفصد.

قال: وينبغي لمن قهرته شهوته في الإكثار من الجماع أن يقلل من التعب وإخراج الدم وطول المكث في الحمام، وأن لا يغتذي بالأغذية التي تزيد في المني، وأن يكثر من استعمال الأدوية المخصوصة بهذا الشأن.

قال أبو الفرج في كتاب النساء: وينبغي للرجل إذا قضى حاجته من المرأة أن يبادر إلى الغسل بالماء الحار دون البارد في الشتاء والصيف، وليكن ذلك في حمام إن أمكن أو في مكان كنين، لا يصل إليه فيه الهواء، فإن الغسل بالماء الحار يرطب الأعضاء التي خرجت منها رطوبتها وتحللت حرارتها في المني ويسخنها.

والاغتسال بالماء البارد رديء في الشتاء وفي الصيف لأنه يزيد في برد الأعضاء ويبسها، وينبغي لهما إذا فرغا من الغسل أن يتناولا الطيب والبخور، وأن يكثرا من استعمال المسك فإنه أطيب الطيب، ولا يقربا شيئاً من الكافور ولا يمساه، وليكن جلوسهما على الفرش الوثيرة الرطبة، وإن كانت حمراً، أو خضراً فهو أحسن من غيرهما من الألوان.

قال الحارث بن كلدة طبيب العرب: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء ويؤخر العشاء ويقلل من غشيان النساء ولا يجامع على الامتلاء.

قال تأبط شراً: ما أحب الدنيا إلا لثلاث: أكل اللحم، وركوب اللحم، وحك اللحم في اللحم.

قال يزيد بن المهلب: وددت لو كانت طلية نورة بمائة دينار، ولو كان فرج المرأة في جبهة الأسد حتى لا يطلي إلا كريم ولا يصل إلى الفرج إلا شجاع.

وقالوا: أربع لا تستغني عن أربع: أنثى عن ذكر، وأرض عن مطر، وأذن عن خبر، وعين عن نظر.

قال بعض العلماء: كل شهوة يعطيها الرجل نفسه فلا بد أن يكتسب قلبه بها قسوة إلا الجماع فإنه يرقق القلب ويصفيه، ولأجل هذا كان العلماء والحكماء يفعلونه ويأمرون به.

قال عِياض في الشفاء: لم يزل التمدح بكثرة الجماع والفخر بوفوره عادة معروفة وسيرة ماضية، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية، وهو في الشرع سنة مأثورة، ولم يره العلماء مما يقدح في الزهد.

قال سهل بن عبد الله: كيف يزهد فيهن وقد حببن إلى سيد البشر، وذكر حديثاً عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلت على الناس بأربع: السخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وقوة البطش**»[1].

قال رسول الله ﷺ: «**إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها كما يحب أن يقضي حاجته**»[2].

قال الشاعر:

أفلح من كان له مزخة يزخها[3] ثم ينام الفخة[4]

الزخ النكاح، يقال زخ المرأة يزخها، والفخة: نومة فيها فخيخ أو صوت.

قال بعضهم: حكم علي ـ رضي الله عنه ـ في هذا الجزء، وهو المرة الواحدة بين اليوم والليلة هو القدر المتوسط في هذا الباب، وهو أعدل الأشياء، وأقله ما حكم به عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو المرة الواحدة في كل طهر ولا حد لأكثره وإنما هو بحسب المزاج والقدرة.

قال عبد الملك بن حبيب عن عمر ـ رضي الله عنه ـ: حسب المرأة المسلمة أن

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٦٩)، القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٩٨)، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٩٧)، ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٤: ٣٤٧)، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨: ٧٠)، ابن الجوزي في العلل المتناهية (١: ١٦٩).

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٧٦)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢١٦).

(٣) الزخ: النكاح.

(٤) الفخة: نومة فيها فخيخ أو صوت.

يأتيها زوجها في كل شهر مرة، وذكر ذلك في حديث رفعه إلى النبي ﷺ قال: «يكفي المؤمن الوقعة في الشهر»[1].

قال محمد بن يحيى بن حسان: عاتبت جدتي جدي في قلة الباءة، فقال لها: بيني وبينك في ذلك قضاء عمر بن الخطاب.

قالت له: وما قضاء عمر بن الخطاب في ذلك؟ قال قضى أن الرجل إذا أتى امرأته في كل طهر مرة، فقد أدى لها حقها في ذلك، فقالت له: كل الناس تركوا قضاء عمر بن الخطاب في ذلك ولم يأخذ به غيري وغيرك.

قال أبو الفرج في الأغاني: عزل معاوية مروان بن الحكم عن الحجاز فعاتبه مروان في ذلك، فقال له: عزلتك لكراهتك أمر زياد ولأن رملة ابنتي أتتك تستعدي على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها، فقال له مروان: أما كراهتي أمر زياد فإن جميع بني أمية كرهوه، ثم جعل الله لنا في ذلك الكره خيراً.

وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه ليأتي عليَّ سنة أو أكثر وعندي بنت عثمان فلم أكشف لها ثوباً، فعرض لمعاوية بأن رملة إنما استعدت على عمرو طلباً للنكاح، فغضب معاوية من كلامه وأغلظ له في الجواب.

قال الزبير في الموفقيات: كان لابن أبي عتيق جارية فارهة تقبل وتدبر، وكان الفتيان يتبعونها، فجاء ابن أبي عتيق ذات يوم ليدخل منزله فوجد مقابل الباب فتياناً، فقال لأحدهم: كم تجامع يا ابن أخي في اليوم والليلة فقال: واحد وربما لم يفعل، فقال للآخر: كم تجامع أنت في اليوم والليلة؟ فقال: عشرين مرة، فقال للأول: إياك أن تمر بمنزلي، وقال للثاني: أما أنت فأقبل وأدبر متى شئت.

مراده بذلك أن الذي قال أجامع مرة واحدة في اليوم والليلة وربما لم أفعل، فكلامه كلام عارف مجرب، فلذلك أبعده وزجره عن القرب من داره والمرور بمنزله.

وأما الثاني الذي أجابه أنه يجامع في اليوم والليلة عشرين مرة، فكلامه كلام من لا يعرف للنكاح حقيقة، ولو عرف حقيقته لم يقل ما قال.

قال أبو الفرج في الأغاني: قالت إياد إنا نفخر على العرب فنقول: منا أجود الناس، ومنا أشعر الناس، ومنا أنكح الناس.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمّال (٤٤٨٦٧).

يريدون بأجود الناس كعب بن مامة وبأشعر الناس أبا داود، وبأنكح الناس ابن الغن، قالوا: كان ابن الغن إذا أنعظ احتكت الفصال بإيره.

وكانت امرأة تستصغر أيور الرجال فجامعها ابن الغن المذكور فلما أولجه فيها قالت: يا معشر إياد بالركب تجامعون النساء!!

قال الجاحظ في بعض تواليفه: وقد ذكر الشاعر ابن الغن هذا وافتخر به فقال يذكر إياداً:

أولاك الأولى كان ابن الغن منهم ... ولا مثل ما كان ابن الغن يصنع
يمسح صلعاء الجبين منيفة ... فيران شق الفرج وهو موسع

قال: وكانت أم المنذر بن الجارود وأخته لأبيه عند رجل واحد فعيره بعض الناس بذلك. فقال: ما بالحلال من بأس، فقال الفرزدق:

لحا الله هذا من حلال ومن يقل ... سوى ذاك لاقاها بأير ابن الغن

قال أبو عبيدة: كان امرؤ القيس بن حجر مفركاً عند النساء أي مغضباً، فسأل جدته عن سبب ذلك، فقالت له: أنت ثقيل الصدر خفف العجز سريع الإراقة بطيء الإقامة، تعني أنه ينزل سريعاً، ويستلقي فلا يقوم إلا بعد شدة طويلة فلذلك كرهته، ويسمى السريع الإنزال في اللغة الرذوج بالراء المهملة، والذال المعجمة والجيم، ويقال الزملق بتشديد الزاي وضمها وتشديد الميم وفتحها وكسر اللام.

وقيل: إن امرأ القيس أرضعته في صغره كلبة، فكان إذا عرق يوجد منه ريح الكلاب.

قال البكري: وكانوا يقولون: إذا حملت المرأة وهي فزعة فجاءت به غلاماً فهو لا يطاق.

وذكر الجاحظ أن حالة الفزع والارتياع للمرأة من ألذ أحوال الجماع، قال: وكذلك مجامعتها بعد الإعياء والحركة الشديدة وبعد انفصال الشهر الخامس من حملها إلى دخول السابع وفي استقبالها الطهر من النفاس.

باب في ضروب النكاح

قال أبو منصور: لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الأئمة بعضها أصلي وبعضها مكنى، وسأكتب لك من تفصيل أنواعه وأحواله ما هو شرط الكتاب.

المحت بالحاء المهملة والتاء المثناة، **والسح** بالسين والحاء المهملتين الشديد النكاح عن أبي عمرو.

والدعظ بالدال والعين المهملتين والظاء المعجمة، **والزعب** بفتح الزاي المشددة والعين المهملة والباء الموحدة: الاستيعاب في النكاح عن الليث عن الخليل.

والدعس والعرد وجميع حروف اللفظتين مهملة: النكاح بشدة وعنف عن أبي دريد.

الهك والحق الإجهاد بشدة النكاح عن ابن الأعرابي.

الوصاع بكسر الواو وبالصاد وبالعين المهملتين أن يحاكي العصفور في كثرة السفاد عن أبي سعيد الضرير.

السغم بالسين المهملة والغين المعجمة أن يدخل الإدخالة، ثم يخرج ولا يحب أن ينزل، عن النضر بن شميل.

الخوق بفتح الخاء المعجمة وإسكان الواو والقاف المثناة أن يباضع الرجل الجارية فيستمع للمخاطبة صوت وأزيز عند دخول الذكر وخروجه. ويقال لذلك الصوت **خاق باق** عن تغلب عن ابن الأعرابي.

الدحز بالدال والحاء المهملتين والزاي المعجمة كثرة النكاح.

الهزج مكرر بالزاي والجيم المعجمتين.

الفهر بالفاء والراء أي ينكح الرجل الجارية في بيت والأخرى تسمع حسه، وقد جاء النهي عن ذلك، والإفهار كذلك أن يبتدئ الفعل مع واحدة وينزل مع أخرى عن ثعلب.

التدليس بالدال والصاد المهملتين هو النكاح خارج الفرج عن أبي عمرو.

الإكسال أن يدرك النكاح فتور فلا ينزل.

الخقخقة بالخاءات المعجمة والقافات: مطاولة الإنزال عن شميل.

القيل أن تنكحها وهي ترضع عن أبي عبيدة، **الشرح** أن يطأها وهي مستلقية على قفاها.

الحارقة بالحاء المهملة والقاف أن يأتيها على حرف وهي على جنبها.

وكما أن أسماء النكاح تبلغ على ما ذكرنا مائة اسم فكذا الأحكام الناشئة عنه لعلها تبلغ ثلاثمائة حكم، وقد جمعها الناس بناء على قول أبي زيد في الرسالة؛ ومغيب الحشفة في الفرج توجب كذا ويوجب كذا، فاستدركوا وزادوا وألفوا فأجادوا.

ولأبي الفضل بن زرقون في ذلك وضع مختصر وكان الإمام أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي قد ألف في ذلك تأليفاً تهاداه الناس واستغربوه، جمع فيه ما قال غيره واستدرك أحكاماً كثيرة واستخرجها بكثرة اطلاعه وقوة استطلاعه وتبحره في العلم واتساعه، وكان يزعم أنه لا يكاد يوجد حكم يشذ عن كتابه.

الرهز في الجماع

الرهز والارتهاز كناية عن حركات وأصوات وألفاظ تصدر عن المتناكحين في أثناء فعلهما مما تعظم به لذتهما وتقوى به شهوتهما.

قال ابن ذكوان: لم أسمع في الكناية عن الرهز بأحسن من قول الشاعر:

وأنت أمامة ما تعلمين ... فضلت النساء بضيق وحر

ويعجبني منك عند الجماع ... حياء الكلام وموت النظر

قال أبو الفرج في الأغاني عن المدائني عن فلانة قالت: كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل قد جاء عمرو بن عبيد الله يعني زوجها، قالت: فتنحيت ودخل زوجها وكنت أسمع كلامهما فلاعبها مدة، ثم وقع عليها فشخرت ونخرت وأتت بالعجائب من الرهز، وأنا أسمع فلما خرج قلت لها: أنت في نفسك وشرفك ومروءتك وموضعك تفعلين هذا. قالت: إنا نستهب لهذه الفحول بكل ما نقدر عليه وبكل ما يحركها، فما الذي أنكرتيه من ذلك؟ قلت: أحب أن يكون ذلك ليلاً، قالت: إنه يكون ليلاً هذا!

وأعظم منه، ولكنه حين يراني تتحرك شهوته ويهيج فيمد يده إلي فأطاوعه فيكون ما ترين، فقلت: يا عائشة لقد أوتي عمرو منك ما لم يؤته أحد من أزواجك.

قال صاحب كتاب نثر الدر: لما زفت عائشة بنت طلحة إلى زوجها مصعب بن الزبير سمعت امرأة بينها وبينه وهو يجامعها شخيراً وغطيطاً في الجماع لم تستمع مثله، فقالت لها في ذلك فقالت لها عائشة: إن الخيل لا تشرب إلا بالصفير.

وعلى قوله ورقَّ الكلام حكى الجاحظ قال: كان عندنا بالبصرة مخنث يجتمع الناس في منزله، وكان بعض أصحابنا يتعشق امرأة مشهورة بالجمال فلم يزل المخنث يتلطف حتى جمع بينه وبينها، قال: فاجتمعت به وسألته عن كيفية اجتماعهما فقال: لما اجتمعا رق الكلام ووقع الالتزام وقضيت الأمور وشفيت حزازات الصدور في كلام غير هذا.

قال الجاحظ فلو كان أعد هذا الكلام جواباً لمسألتي قبل ذلك بدهر لكان قد أجاد وأملح. إن أول ما يجب أن يقوم به كل زوج جديد وكل زوجة جديدة، هو أن يفكر بوضوح وبصورة جدية بقضية الجماع وأن يتعلم ويسأل كي يعرف ما يجهل، حتى أدق التفاصيل، ذلك لأن كثيراً من الزيجات الفاشلة، أو التي تنتهي بالانفصال، أو الهجر، أو الطلاق مردّها في الغالب إلى جهل أهمية العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، وعدم الخبرة وعدم الانسجام والتفاهم الجنسي.

قد يكون الخجل الكاذب هو السبب، وقد يكون الجهل التام، إذ طالما سعى الأهلون إلى طمس هذه المعلومات واعتبارها عيباً أو حراماً، مما جعلهم يكتمونها عن أبنائهم وبناتهم كما كتمها عنهم أهلهم، فأسهل عليهم أن يضعوا أبناءهم وبناتهم وجهاً لوجه مع هذه العملية دون علم ومعرفة مسبقين وافيين فيها من أن يُعَلِّموهم أو يُعْلِموهم بما سيواجهون عند الزواج.

ربما كان هذا لجهلهم هم أيضاً بحقيقة أجسادهم وأعضائهم الجنسية، إذ إن كثيراً من الرجال والنساء خاصة لا يعرفون اللّذة الحقيقية والمتعة العارمة في العلاقة الجنسية، فهي بالنسبة لهم أداء واجب شرعي وحقّ لكل منهما على الآخر دون الوقوف على حقيقة ما يفوتهم من جراء عدم التفاهم، وفهم تلك العملية.

على كل حال هذه العملية الجنسية ألا وهي الجماع يسعى كلّ من الزوجين لإنجاحها كلّ حسب نظرته وعلى طريقته، لكن أهميتها ونجاحها الحقيقيين يكونان عبر

انسجام الزوجين وتفاهمها. وليعلم الزوجان أن لا سبيل لتحقيق المتعة الحقيقية بالاقتصار على توجيه الأسئلة والمعرفة، بل بالإرادة على المضي بعلاقة ناجحة.

إن الغريزة لا تستطيع تحقيق ذلك بمفردها إطلاقاً، والبراءة والسذاجة بدورهما لا يوفران النتائج الناجحة مطلقاً.

كما أن اللجوء إلى العنف والتصريح بالحقوق والواجبات منذ البداية سوف يساهمان بالقضاء على كل أمل في نجاح هذه العلاقة، فهي لا يمكن أن تتحقق إلاّ بالذهن الصافي، والإدراك الثاقب، والتفكير السليم، والعمل السليم المعتمد على الرغبة بالشريك والحب معاً، وإلا فالنتائج المتوخاة من الجماع ستصبح بعيدة المنال، ويتعذّر الوصول إليها.

بعد كل ما قلناه سوف نتابع الحديث عن بعض ضرورات نجاح عملية الجماع وسنورد هذه الضرورات في الدراسة التالية تفصيلياً وبعناية تامة إيماناً منا بأن نجاح عملية الجماع أساس من أهم أسس نجاح الحياة الزوجية.

المداعبة

إن إهمال هذا الجانب المهم في عملية الجماع يؤدي إلى كثير من المتاعب في الحياة الزوجية.

قد جاء في السنة النبوية الشريفة أن المداعبة بين الزوجين مقصودة من اجتماعهما على هذا الوجه الشرعي المبارك.

وفي الحديث عن جابر أنه تزوج امرأة ثيباً، فقال له رسول الله ﷺ: «**تزوجت يا جابر؟**»، قال: نعم. قال ﷺ: «**أبكراً أم ثيّباً**»، قال: بل ثيباً. قال ﷺ: «**فهلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**»[1].

من هنا يتبيّن لنا أن المداعبة أمر مشروع، وحصره في البكر دون الثيّب ليس معناه ألاّ يداعب الزوج زوجته الثيّب، وإنما هو أن البكر أشد حياء من الثيّب عند اللقاء.

---

(١) أخرجه النَّسائي في السنن (النكاح: ٦)، التبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٨٨)، ابن حجر في فتح الباري (٩: ٣٤٣)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٥٣٤).

ومما لا شكّ فيه أن المداعبة مع الحياء أشد إمتاعاً وإيناساً عند ذوي الذوق الرفيع.

فالمداعبة تكون بالتقبيل المتبادل بين المرأة والرجل، وأحسنه قبله الفم ومص اللسان، وتقبيل العنق مع قليل من اللعاب نزولاً حتى الثديين وغمزهما (أي ملاعبتهما) بالأصابع عند الحلمة أو بتمرير باطن الكف على رأس الحلمة مما يثيرها، ويجعلها تبرز متحفزة، وتقبيل الثديين ورضاعتهما، وتمرير اليد عليهما بشكل دائري يتوافق مع استدارتهما، كل هذا يثير الشهوة إثارة كبيرة عند المرأة.

ويتابع الرجل ملامسة جسم المرأة بيديه بحيث لا يترك من جسمها مكاناً واحداً دون أن تلامسه يداه بَدْءاً بجبينها حتى أخمص قدمها.

هذا وأن مداعبة كل من الزوجين عضو الآخر بيده أو بغيرها يثيرهما ويساهم إلى حدّ كبير في زيادة المتعة وبخاصة مداعبة البظر عند المرأة، فهو كما سبق وذكرنا سابقاً غدة حساسة جداً تُمْتِع كثيراً عند مداعبتها وهي كعرف الديك في وسط أعلى الفرج الخارجي عند ملتقى الشفرين الصغيرين، وهو يعادل حشفة القضيب فعالية وحساسية عند الرجل.

وليُعلم إن مداعبة البظر عند المرأة تثير شهوتها إلى أقصى الحدود، مما يجعلها تستسلم للرجل كلياً.

ومن عوامل المداعبة العناق اللطيف والضم المتبادلين بين الرجل والمرأة، وإلصاق البشرة بالبشرة واحتكاك الأجسام والإحساس بحرارة كل منهما بالآخر.

ولا يغيب عن بال الرجل والمرأة التعبير بالكلام والصوت والتنهدات عمّا يشعران به خلال العملية الجنسية، أو الجماع، وعلى الأخص الكلمات المعبرة عن الحب والشوق كلّ منهما للآخر ورغبته به، والتغزل بها والكلام على محاسنها مما يجعلها تُحلّق في عالم من المتعة واللّذة لا يُنسى.

سئل الحجاج بن يوسف يوماً: كيف يعامل الرجل زوجته عند اختلائه بها؟ قال: قد يُقَبِّل أحدنا أخمص قدم امرأته حباً بها.

من هنا نستدل أن المداعبة وعملية الجماع بين الرجل والمرأة يجب أن لا يكون فيها محظورات، فالحياء الكاذب بين الرجل والمرأة أكبر مدمّر لنجاح عملية الجماع.

إذاً فليقم كلّ منهما بما يرغب به دون خجل قد يفقده سواء علم أم لم يعلم الكثير من المُتَع والسعادة في الحياة.

بعد هذا العرض لبعض ضرورات المداعبة لا يظنن أحد أن النساء كلهن يستجبن لهذه المداعبات بالسرعة نفسها، فبعض النساء يحتجن إلى وقت أكثر بكثير من الرجال، لا بل من غيرهن من النساء، وهذا يعتمد حسب رأي المتخصصين والعلماء بهذا المجال وعلماء النفس على نوع التربية التي تتلقاها الفتيات.

فالأنثى تحتاج لتكون على استعداد لممارسة العملية الجنسية إلى وقت يتراوح بين اللحظة إلى النصف ساعة أو مايزيد على ذلك بين الحين والآخر.

إلاّ أن هذا ليس قاعدة عامة، فبعض النساء الشهوانيات يَكُنَّ على استعداد لممارسة الجماع فوراً. لكن مثل هذه الحالات قليلة جداً وشاذة.

لكن من الصواب القول: إن في الغالب النساء أشد بطأ من الرجال لِيَكُنَّ على استعداد لممارسة عملية الجماع، وهذا هو الطبيعي.

وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقع أحدكم على أهله كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول: القبلة والكلام**»(١).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ كان يُقبِّل نساءه، وعنها أيضاً أنه كان يمصُّ لسانها. والأصل في ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في محكم تنزيله: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[آل عمران: ١٤]

اتحاد العضوين التناسليين

عندما تصبح الأعضاء التناسلية جاهلاة ومستعدة لممارسة عملية الجماع، فالطبيعة قد زوّدتها بوسائل مدهشة عجيبة إلى درجة كبيرة لكي تجعل من هذه العملية عملية سهلة وميّسرة تضفي البهجة والسرور على حياة الرجل والمرأة.

إن كلاً من عضوي الرجل والمرأة يفرزان ويقذفان نوعاً من السائل المزلق والذي لا عمل ولا وظيفة له سوى تسهيل اتحاد العضوين التناسليين.

هذه المادة شفافة رائقة، تشبه إلى حدّ كبير زلال البيض، أو بصورة أقرب تشبه

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١ : ٢٧٦)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦ : ٢١٦).

اللعاب الذي يفرزه الفم، لكنها أكثر كثافة، أما من حيث التركيب فهي مطابقة للّعاب الفمي تماماً.

إن السائل الذي ينتجه الرجل ويفرزه عضوه التناسلي قبل السائل المنوي يسمى «المذي». أما السائل الذي تنتجه المرأة ويفرزه عضوها التناسلي فيسمى «إفراز ما قبل الجماع».

في هذه الحال ستكون جميع أجزاء العضو التناسلي عند المرأة رطبة ناعمة الملمس، وإن معظم أقسام الفرج عند المرأة ستصبح بحالة جهوزية تامة لاستقبال القضيب الذكري المنتصب وسيكون إيلاجه سهلاً جداً عندما يصبح عضوا التناسل على استعداد تام للاتصال، لكن هذه السهولة لا تكون متوفّرة قبل تلك الحال.

إن أي عملية إيلاج أو إدخال قبل الوصول إلى هذه الحال يعود إلى الجهل والإهمال والتسرع الأهوج.

حركة العضوين التناسليين

إذا ما أولج الرجل عضوه التناسلي الصلب في حالة انتفاخه، أو انتصابه في المهبل قبل الاستعداد التام، يصبح النكاح أو الاتصال الجنسي بهذه الطريقة خطراً وأقرب إلى الكارثة منه إلى المتعة، وعلى هذا الأساس سوف تُؤذَى المرأة، ولن يحصل الرجل على المتعة المتوخّاة من ذلك.

طبعاً، لا بد من الإشارة إلى أن الوقت الذي تتطلبه المرأة لجهوزيتها لممارسة عملية الجماع، وبخاصة عندما تكون عذراء وفي زواجها الأول ضروري حيث إن سذاجتها وبراءتها وتربيتها في بعض الأحيان تدفعها للشعور بأنها تقترف إثماً أو خطأ، وأنها ستقوم بأمر غير معتادة عليه.

هذا الشعور أو التفكير سيساهم دون شك بتأخير إفرازاتها التي تسبق الجماع، وكل هذا سمنعها من أن تصبح على استعداد تام في مشاركتها لهذا العمل المتبادل.

إن خوف المرأة من الحمل يساهم أيضاً بتأخير حال الجهوزية للقاء الجنسي عندها، إذ إنه عامل من أهم عوامل تأخير الجهوزية.

وفي الواقع هذا السبب الرئيسي في كثير من الأحيان يكاد يكون المؤدي إلى الفشل في عملية الجماع بالصورة المألوفة الطبيعية.

عندما يصبح عضوا التناسل معاً وبصورة اتحاد جيدة عندها تبدأ حركتهما بانزلاق القضيب داخل القناة المهبلية ذهاباً وإياباً بحيث يكون جزء منه داخل المهبل، وجزء منه خارجه.

إلاّ أن ما يجب معرفته أنه لا يجب أن تكون الحركة حكراً على الرجل فقط، بل على المرأة مشاركته بهذا الفعل وهذه الحركة، لأن سكون المرأة واضطجاعها على قفاها ساكنة غلطة كبرى سببت الكثير من المتاعب بين الرجل والمرأة لا نهاية لها.

يجب أثناء ممارسة عملية الجماع أن يقوم الرجل فوق المرأة، لكن لا يلقي بثقله عليها، بل يستند إلى ذراعيه وركبتيه بحيث تكون تحته قادرة على الحركة، فإذا كانت ذراعا المرأة مطوقة جسم الرجل، وإذا ما كانت عقبا قدميها داخل تجويف ركبتي الرجل، في الوقت الذي يشهر فيه الرجل نفسه عن طريق مرفقيه وركبتيه فوق امرأته من غير أن يتكئ عليها بجسمه أثناء عملية الجماع كانت حركة كل منهما مستقلة، لكن متناغمة مع الآخر.

لكن إذا ما ألقى الرجل بجسمه على المرأة فإن إمكانية حركتها تصبح متعذرة مما يؤدي إلى ما سبق وذكرنا وسميناه الكارثة الكبرى.

أمّا إذا ما تركنا للمرأة إمكانية الحركة أثناء عملية الجماع، فإن الوقت الذي تتطلبه العملية الجنسية للوصول إلى قِمَّة التهيّج الجنسي قد يستغرق بضع دقائق، وقد يصل الزوجين إلى العديد من هزات الجماع، وهذا يعتمد على مهارة الرجل والمرأة، وعلى شدّة انفعالاتهما على حد سواء.

هزة الجماع

قال رسول الله ﷺ: «**إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها كما يحب أن يقضي حاجته**»(١).

إن من الصعوبة بمكان وصف هزة الجماع الجنسية، أو تشبيهها بأي إحساس آخر قد ينتاب الإنسان، إذ لا وجود للإحساس الجسمي فيها، وهي شبيهة بحالة «العطاس» لأنه عضوي تلقائي تشنجي لا إرادي، يوصف العطاس أحياناً وكأنه هزة جماع.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١: ٢٧٦)، ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦: ٢١٦).

إن هزة الجماع في الواقع هي تقلص عصبي، وهي بعيدة عن السيطرة الإرادية عندما يحين وقتها.

إن الإحساس الذي تكّونه هزة الجماع في الواقع مبهج وسار جداً، وبعيد عن الوصف، فهو سرور لا يعادله سرور آخر.

إن هزة الجماع عند الرجل تكون بقذف السائل المنوي الذي يصل إلى أطراف القناة المهبلية الرحمية.

أما كمية السائل المنوي التي تُقذف عند انتهاء عملية الجماع فهي تقرب عادة من ملء ملعقة شاي، وهي كافية لتتدفق وتغمر المساحة التي قُذفت فيها داخل القناة المهبيلة.

إن السائل المنوي أبيض اللون مائل إلى العاجي الفاتح، وبتعبير آخر فهذا السائل يشبه لون العجين المختمر، وله الرائحة نفسها، يحتّ هذا السائل إذا جفّ ولا يترك أثراً، وقد يُغسل بالماء فيزول، لكنه قد يلتصق قبل إزالته نهائياً بلزاجة.

أما بالنسبة للمرأة فهزة الجماع لا تسبب قذفاً يتطابق ويتوافق مع مايقذفه الرجل، وعلى الرغم من ذلك فعملية التشنج في الأقسام الجنسية تشبه تماماً ما يحدث عند الرجل من خفقان القلب والأقسام الجنسية بكامها، وفم الرحم ينفتح وينغلق بصورة متشنجة، ويأخذ المهبل بالتمدد والانقباض مرة بعد مرة، والفرج بدوره يخضع لما يخضع له المهبل.

أما الأحاسيس فتتمايز جميعها بطبيعتها المُسِرَّة والمُبْهِجَة إلى حد كبير، كما أن جسم المرأة يرتعش بكامله ويهتز طرباً مرة بعد مرة وبسرور لا يوصف.

تحدث هزة الجماع على نحو لا يتغير، وهي نتيجة إثارة البظر، ذلك أن الذروة المهبلية لا وجود لها، لكن ما يتغير في هزة الجماع الإحساس بها.

كل ذلك يدل على أن جميع الظواهر التي تظهر وتشعر بها المرأة عند هزة الجماع مدعاة للسرور والبهجة، إذ إن وظيفة هزة الجماع إضافة إلى السرور والبهجة الشعور باللّذة العارمة والنشوة.

ومن هنا يرغب كلّ من الرجل والمرأة ممارسة عملية الجماع بغية الوصول إلى هزة الجماع.

أما بعد هزة الجماع فيتعرض الزوجان إلى ضعف شديد قريب من الإنهاك الكلي قد يدفعهما إلى الانطواء، فأعضاء المرأة تهمد، وأعضاء الرجل تتقلص وتعود إلى حجمها الطبيعي الذي كانت عليه قبل الإثارة، ويشعر كلاهما باسترخاء يغشاهما معاً ويدفعهما للنوم إذا أمكنهما.

أما يجب أن يعرفه الرجل ويحرص عليه هو أن لا يترك زوجته بعد هذا الجماع، أو بعد أن يقذف مباشرة وكأنه كان يؤدي عملاً وظيفياً وانتهى منه، بل عليه أن يبقى لبرهة، أو لفترة زمنية بسيطة بحالة لمس لأعضائها ولجسمها كاملاً كي يمنحها الإحساس بأهميتها عنده، فهي ليست مجرد أداة إفراغ شهوة، وليست وسيلة متعة فقط، بل هي شريكة له في متعته، وبهذا إن استطاع الرجل الحفاظ على شعورها فهو يمتلك مشاعرها، ورغبتها به إلى ما لا نهاية.

أما من يهمل هذه اللحظات بعد هزة الجماع، أو يستخف بها ويعتبر نفسه أنه قد أنهى عمله وواجبه فقد يقع سواء عن قصد أو غير قصد بالمحظور، ألا وهو فقدان شعور شريكته بالمتعة معه.

إن أكثر ما يؤذي شعور المرأة هو أن تحسّ نفسها أنها مجرّد أداة، أو وسيلة يستخدمها الرجل لكي ينتشي هو فقط.

إن ما سبق وذكرناه بالتفصيل للعملية الجنسية بين الرجل والمرأة والعرض المسهب الذي تحدثنا عنه لا بد وأن يصل بالزوجين إلى أحسن حالاتهما، فالحياة الجنسية بين الرجل والمرأة ليست مجرد علاقة، بل هي فن من الفنون والتي يجب أن يسعى كل زوجين إلى تعلمه ليس تعلمه فقط، بل إجادته لأنه لا شك سيكون سبباً من أهم أسباب سعادتهما.

أول اتصال جنسي

الزواج عمل فني جمالي، وفن من أروع الفنون، وكي يجد الزوجين نجاحاً يجب أن يريا الجمال فيه أكثر من أي أمر آخر، وبخاصة المرأة.

لذا يجب أن تؤمن الزوجة منذ اليوم الأول بحق وجمال المتعة الجنسية مع زوجها، ويفترض أن تنفّذ كلّ التعليمات التي سبق وذكرناها للعملية الجنسية وبدقة تامة.

غشاء البكارة

قال الله سبحانه وتعالى في وصف نساء الجنة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾[الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧]

إنَّ الله سبحانه وتعالى منَّ على عباده الصالحين وأهل طاعته بأن أنشأهن لهم أبكاراً لم يعرفن غيرهم.

ومن هنا فالبكر كريمة مكرَّمة عند زوجها وأهلها، وقد كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أحب نساء النبي ﷺ على قلبه كونها الوحيدة من نسائه التي تزوجها بكراً.

قال هشام بن عمرو عن أبيه قال: قيل لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما كان رسول الله يصنع إذا خلا في بيته؟

قالت: والله ما كان إلا بشراً، ولكن الله أكرمه، وأكرم به، إن كان ليخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحدِّث آحاد الناس، ولقد قلت له يوماً: يا رسول الله، لو أنك وجدت روضتين في إحداهما شجر ونبات قد رُعِيَ وأُكِلَ، وفي الأخرى شجر ونبات لم يُرعَ، في أيّهما كنت مرسلاً بعيرك؟

قال رسول الله ﷺ: «في الأنِف الذي لم يُرعَ»[1].

فقلت: يا رسول الله ذلك مثلي ومثل نسائك كلهن، ليس منهن واحدة إلا كانت عند غيرك قبلي.

قبل الحديث عن غشاء البكارة سنورد شرحاً مفصلاً عن الفرج، وهو القسم الخارجي من عضو التناسل عند المرأة، والجدير بالذكر أنه ليس إلاّ فتحة شبيهة بفتحة الفم شكلاً.

أما شكله وحجمه وتركيبه فهو كما سبق وذكرنا يشبه إلى حد كبير أقسام الفم الخارجية، فهو يبدأ تماماً أمام الشرج ويمتد إلى الأمام فوق العظم وينحدر قليلاً إلى أعلى البطن.

أما طوله فيبلغ تقريباً عشر سنتيمترات أو ما يزيد على ذلك ويتكون هذا العضو من الشفرتين، والبظر، وفتحة المهبل.

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٤٨).

الشفرتان

أما الشفرتان فتتكونان من صفين، وكل صفين من جهة منه يمنياً وشمالاً، وتعرف بالشفتين الكبرى والصغرى، أو بمعنى آخر الأغلظ والأدق، وهما تمتدان تقريباً على طول الفرج بكامله، والشفرتان الخارجيتان تنطويان فوق الشفرتين الداخليتين عند التقاء الفخذين.

أما بالنسبة لكثافتهما ونوعيتهما فإن هاتين الشفرتين شبيهتين إلى حد كبير بشفاه الفم لكل امرأة، فالفم الواسع والشفاه الغليظة تدل على سعة الفرج وشفرتيه والعكس صحيح.

ولنذهب إلى أدق من ذلك فالشفرتين تحملان مواصفات الفم بكل تفاصيله شكلاً وكبراً وصغراً.

لنفرض مثلاً أن في فم إحداهن اعوجاجاً بسيطاً فسنجد أن إحدى شفراته أكبر من الأخرى وذلك بما يعادل اعوجاج الفم يميناً أو شمالاً.

البظر

أما البظر فهو كما سبق وذكرنا غدة تقع في وسط القسم العلوي من الفرج الخارجي. وهو عبارة عن غدّة حساسة جداً تثير المرأة أيما إثارة.

فتحة المهبل

أما فتحة المهبل فهي تقع في المؤخرة، أو في القسم السفلي من الفرج والذي يؤدي مباشرة إلى القناة المهبلية.

هذا التفصيل الفيزيولوجي من الضروري لكل رجل وامرأة أن يفهمه عن نفسه وعن شريكه.

البكارة

أما ما لم نذكره حتى الآن فهو غشاء البكارة أو البكارة، وهو الغشاء الذي ينمو فوق الجهة الأمامية أو القسم العلوي من فتحة المهبل، حيث يسد كلّ هذا الجزء من الفرج تقريباً.

وجود الغشاء أو عدمه

إن هذه البكارة لا تكون موجودة دائماً فقد تتعرض للثقب من جراء رفع أشياء ثقيلة، أو استعمال محقنة كبيرة الحجم تستعملها النساء أحياناً، أو عن طريق أصابع الفتاة الصغيرة عندما تلعب مع نفسها.

إذن لهذه الأسباب جميعاً، ليس من الصواب أن تكون المرأة قد خاضت تجربة سابقة في حال لم تكن عذراء، أو لعدم وجود غشاء البكارة عند أول اتصال جنسي بينها وبين زوجها.

إذ إن بعض الفتيات يولدن بلا غشاء يغطي قناتهن المهبلية، وبعضهن يفقدن غشاءهن هذا من جراء عملية جراحية نسائية، وقد يؤدي الاستحمام، أو السباحة، أو ركوب الخيل، أو الدراجة، أو أنواع أخرى من الرياضة إلى فقدان، أو تمزيق غشاء البكارة.

وكثيراً ما يكون غشاء البكارة متيناً وقوياً جداً فلا يتأثر بكل تلك العوامل التي سبق وذكرنا لدرجة أنه لا يمزق، أو يثقب إلا بصعوبة أثناء اللقاء مع الزوج.

هذا وكثيراً أيضاً ما يفتقد المرونة ويكون هناك شبه استحالة في ولوج القضيب الذكري لفضه وهنا يأتي دور المعرفة والتعلّم وأهميتهما في حياة الزوجين فعليه أن يتفهّم تلك الحال، ويحرص على أن يكون صبوراً متأنياً وإلاّ فتصبح عملية الجماع أشبه ما تكون بالاغتصاب، مما يؤدي أيضاً إلى أذية الزوجة، وقد يعرضها لصدمة عصبية خطيرة. وستصفه الزوجة بالوحشية، وستتهمه بالخَرق، وعدم الدراية.

وقد يكون الغشاء رقيقاً جداً لا يحتمل أي ضغط، أو مداعبة تذكر، وهذا النوع يكون قابل للمزق، أو الثّقب. لكل ما سبق وذكرنا من أسباب فقده.

أما الجدير بالذكر فليس صحيحاً أن كل النساء ينزفن كمية من الدماء عند فض غشاء البكارة، فمنهن من لا يرين إلاّ القليل من الدم.

إزالة غشاء البكارة من غير ألم

عندما يحين وقت إيلاج الرجل لعضوه التناسلي المنتصب في فتحة المهبل باتجاه غشاء البكارة على الزوجة أن تقوم بالضغط عليه بالمقابل، وتتلوى، وتهتز حواليه فهذا يساعد على ثقب الغشاء، والتخلص منه، وهي تعلم حقيقة العلم مقدار الألم الذي

تستطيع تحمّله، وإذا كان الضغط عليه قاسياً جداً فبمرونتها هذه تستطيع تخفيف حدته، وستكون مسؤولة مع زوجها عن الألم الذي سيصيبها وبذلك لا تلوم زوجها على الإطلاق.

أما إذا ما كان الغشاء متيناً قوياً وقاسياً كما سبق وذكرنا، فليس من الضروري أن يخجل الرجل من اللجوء إلى الطبيب لإجراء عملية جراحية يفضّ بها بكارة المرأة دون ألم أيضاً إذ لا يجب أن يُمزق الغشاء بطريقة وحشية كما قلنا سابقاً.

إن إزالة غشاء البكارة عند المرأة أمر من الأهمية بمكان، لكن عندما يزال برضاها مع زوجها المتفهِّم فتكون قد خسرت عضواً صغيراً، لكنها كسبت متعة جديدة من مُتَع الحياة الزوجية التي يجب أن يحرص عليها كل من الزوجين، وسيحل محل الغشاء متعة وسروراً وبهجة.

أما ما يجب قوله بصراحة فهو أننا ننخدع أحياناً بوجود الغشاء أو بعدم وجوده. فإننا نقيس الفتيات باحتفاظهن بغشاء بكارتهن، فبعض النساء يستطعن إقناع أزواجهن ويوهمنهم بعفّتهن وبكارتهن مع العلم أنهن. كن على اتصال برجال كثر قبل ذلك.

آن الأوان أن نحرر أنفسنا من خداع هذا الغشاء الذي نحتار فيه، والذي يسيطر على تفكيرنا به.

وقبل الحكم على فاقدته علينا الإلمام بأسباب فقدها لهذا الغشاء، فإن كان الأمر كما سبق وذكرنا بسبب من تلك الأسباب، فلا ضير.

أما ما عدا ذلك فيعود الأمر لمدى اقتناع الرجل بالسبب، وسعة صدره للمسامحة، وتخطي هذا الأمر دون أن يخلق بينه وبين الشريك أي مشكلة مستقبلية.

وإذا سامح الرجل فعلى المرأة أن تساهم في نسيانه، ولا سيّما أننا جميعاً ندرك ما لغشاء البكارة من أهمية في مجتمعاتنا وبلادنا.

إذ لا يجب ولا يُعقل، وليس من العدل بمكان أن يكون على الرجل المسامحة والنسيان معاً.

إن هذا النسيج الرقيق، أو السميك الذي يسمى غشاء البكارة سيبقى شهادة شاهدة صارخة على عذرية فتياتنا. فإما أن نعبره بنجاح ودراية إن وجد، وإما أن نتعثّر به ونتنكر أمامه إن فُقد.

إن المرأة عندنا باتت تعيش بخوف دائم ليلة زفافها رغم كونها واثقة من طهارتها من هاجس وجود أو عدم وجود غشاء البكارة.

باب في الغيرة

يقول النبي ﷺ: «**إن من الغيرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله**»[1]، فالغيرة جبلة جعلها الله في بني آدم وجميع الحيوانات.

ولذلك نرى العير يقاتل كل فحل يعرض لأنثاه، غير أن طباع البشر تختلف فيها، فمنهم المفرط الآخذ بالظنّة، ومن متغاضٍ يخلّ بالدين والمروءة، وكلا الطرفين ذميم، وخير الأمور أوساطها.

قيل في الغيرة: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغيران، والغضبان، والسكران.

الغيرة المحمودة

إن الغيرة في موطنها والاعتدال فيها من الرجال والنساء من الأمور المحمودة، ولا سيّما أن المعاشرة بالمعروف تقضي ذلك، بل وتدفع كل طرف إلى أن يقدّر غيرة صاحبه عليه.

والغيرة المحمودة هي أن يغار الرجل على زوجته غيرة يصونها بها ويحفظها من كلّ ما يخدش شرفها ويمتهن كرامتها.

إن غيرة المرأة على الرجل لا تبلغ مبلغ غيرة الرجل على المرأة، ولذلك أحل الله للرجل أربع نساء، ووطء ماشاء من السراري لأن صبر المرأة محتمل، ولم يجعل للمرأة النظر إلى غير زوجها لأن صبره لا يحتمل ذلك.

وعلى الرجل أن يعلم أن الغيرة في النساء فطرة، ومسموح لهن فيها، ولا ينكر الرجل هذا الأمر من أخلاقهن، ولا يعاقبها عليها، فالنساء لا يملكن أنفسهن حيالها.

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٦٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤٨).

إلاّ أن ما يجب أن تعرفه النساء أن الغيرة الشديدة مفتاح الطلاق وفشل الحياة الزوجية، وإن استمرت الحياة الزوجية في ظل الغيرة فستتحول إلى جحيم لا محالة.

الغيرة غير المحمودة

كل مازاد عن حدّه نقص، عبارة تدل على عدم الإفراط وعلى الأخص الإفراط في الغيرة. صحيح أن النساء فُطرن عليها أو أن الغيرة فِطْرة فيهن، لكن إذا زادت عن حدّها فتؤدي إلى الويل، وشأنها شأن أي شيء في حياتنا كما الإفراط في الأكل يؤدي إلى تخمة ربما نتج عنها أمراض عديدة أو وفاة.

أما غيرة المرأة في غير موضعها فإنها تدعو الصحة إلى السقم، وقد تُنهي غيرة المرأة العمياء حب الرجل لها، فينفر منها.

وقد أجمع علماء المدينة المنورة وعلماء المسلمين على إسقاط الحدّ عن المرأة إذا قذفت زوجها على وجه الغيرة.

فلولا هذا لكان على عائشة ـ رضي الله عنه ـ في مغاضبتها النبي ﷺ أعظم الحرج، لأن الغضب على النبي ﷺ وهجره كبيرة لمن فعله.

إنما عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم لتكن تهجره من قلبها، لكن كان ذلك على لسانها فقط لفرط غيرتها.

نماذج من غيرة الرجال والنساء

حكى صاعد بسنده إلى ابن الكلبي قال: كان سليمان بن عبد الملك[1] من أشد الناس غيره، فخرج يريد بيت المقدس بنسائه وثقله.

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب، من ملوك بني أمية، ولد في دمشق سنة ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م. ولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦ هـ. وكان بالرملة، فلم يتخلف عن مبايعته أحد. أطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين، وأحسن إلى الناس. وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح. جهّز جيشاً كبيراً وسيّره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك لحصار القسطنطينية. في عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. توفي في دابق من أرض قنسرين بين حلب، ومعرّة النعمان، وكانت عاصمته دمشق. مدة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلاّ أياماً، توفي سنة ٩٩ هـ/ ٧١٧ م.

نزل في غور البلقاء في دير من ديارات الرهبان، وكان ذلك في ليلة اكتمل بدرها.

كان في جنده فتى من كلب اسمه «سنان»، وكان «سنان» هذا من قوم يقال لهم بنو كلب، وكان من أحسن الناس وجهاً وأنداهم صوتاً، وكان أبلى به مراراً بين يديه.

ولما كانت تلك الليلة دعا فتياناً فأضافهم وسقاهم النبيذ، فلما أخذ فيهم الشراب رفع «سنان» صوته قائلاً:

محجوبة سمعت صوتي فأرّقَها ... من آخر الليل لما بلّها السحرُ
تُدني على فخذيها من مُعَصْفرة[1] ... والحُلى منها على لبّاتها حصرُ
لم يحجبِ الصوتَ إغلاقٌ ولا حرس ... فدفعها لِطُروقِ الصوت منحدرُ
في ليلة البدرِ ما يدري مُضاجعها ... أنورُ غرّتها أبهى أم القمرُ
لو خليت لمشت نحوي على قدم ... يكاد من رقةٍ للمشي ينفطرُ

وكان سليمان مع جارية له معجباً بها، فلما سمع الأبيات نهض وهو يرعد حتى كشف عنها سترها فوجدها على الهيئة المذكورة في الأبيات.

فلما رأته والغضب يتردد في وجهه علمت أن ذلك من غيرته لما قد سمع من الرجل.

قالت في نفسها: إن لم أترجم عن نفسي قتلني وقتله من بعدي، فقالت: قاتل الله القائل:

ألا رُبَّ صوت شائع من مشوّه ... قبيحِ المحيّا واضحِ الأبِ والجدِ
قصيرُ نجادِ السيفِ جعدُ بنانه ... إلى أمةٍ فرعاءَ ينسبُ أو عبدِ

فقال لها سليمان بن عبد الملك: أما إنه على ذلك فلمَ راعك صوته؟

فقالت: يا أمير المؤمنين وافق صوته مني استيقاظاً فأصغيت إليه.

قال: فلما سمع سليمان بن عبد الملك كلامها بقي يرعد كأنه السعفة في يوم ريح عاصف، ورد بيده على قائم سيفه، وقال: أما والله لأقتلنّه، أو لأنكلنّ به نِكالاً يتّعظ به مَنْ سواه من الأوغاد.

ثم بعث من أتى به موثقاً مصفّداً في الحديد، فقال له سليمان بن عبد الله: من أنت ثكلتك أمك؟ فعرّفه بنفسه، فأنشأ سليمان إذ ذاك يقول:

---

(١) المُعصفَرة: ثوب صُبغ باللون الأصفر. [القاموس المحيط، مادة: عصفر].

إن سنـــانـــاً ثكلتـــه أمُّـــهُ
وخـــالـــه يثكلـــه وعمُّـــهُ
ثـــم بنـــي كلـــب جميـــعُ قـــومِـــهُ
وســـوف ســـراعـــاً تُفجـــع فيـــه أمُّـــهُ
كـــان لهـــا ريحـــانـــة تشمُّـــهُ
فســـوف يَلْقَـــى بعـــدُ مـــا يغمُّـــهُ

ثم قال: يا وغد أما إني لا أقتلك، ولكني أنكل بك، فأمر به فَخُصي، وسُمّي الدير باسم دير الخصيان.

ذكر ابن صاعد في تاريخه: إن فاطمة[١] بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ـ ضي الله عنهما ـ وهي أخت سكينة[٢] بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كانت

---

(١) فاطمة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ أمها أم إسحاق التميمية بنت طلحة بن عبيد الله. تزوج فاطمة ابن عمها حسن بن الحسن السبط فولدت عبد الله، ويلقب بالمحض، وإنما سمي بالمحض لمكانه من الحسنين. وكان يشبه رسول الله ﷺ. قيل له: لمَ صرتم أفضل الناس؟ فقال: لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا، ولا نتمنى أن نكون من أحد، وولدت صاحبة الترجمة للحسن المثنى: إبراهيم القمر، والحسن المثلث، وكل منهم له عقب ومات المحض هو وإخوته في سجن المنصور العباسي، وكان موتهم سنة ١٤٥ هـ، ثم مات عنها الحسن المثنى فتزوّجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وكانت فاطمة كريمة الأخلاق حسنة الأعراق. قيل: إنه لما جهز يزيد أهل البيت إلى المدينة بعد قتل الحسين أرسل معهم رجلاً أميناً من أهل الشام في خيل سيرها، وصحبتهم إلى أن دخلوا المدينة قالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة: قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلي. قالت: فافعلي. فأخرجت له سوارين، ودملجين وبعثتا إليه بهما، فردهما وقال: لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا كفاية، ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ.

(٢) سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء، وأظرفهنّ، وأحسنهنّ أخلاقاً، تزوّجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثم تزوّجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له، ومات عنها، ثم تزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل. وقيل: في ترتيب أزواجها غير ذلك والطرّة السكينية منسوبة إليها. ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم، وكانت سكينة تحب الهزل واللهو والطرب وهي من الحذق على جانب عظيم. حكي أنها حضرت مأتماً فيه بنت عثمان بن عفان فقالت بنت عثمان: أنا بنت الشهيد فسكتت سكينة حتى إذا أذّن المؤذن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت لها سكينة: هذا أبي أم أبوك فقالت بنت عثمان: لا أفخر عليكم أبداً وكانت =

زوجة الحسن بن الحسن بن علي[1] ـ رضي الله عنهم ـ، وكان محبّاً لها. لما احتضر، قال لها: إنك امرأة مرغوب فيك، وكأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[2] قد جاء خلف جنازتي، وجلس على قبري مرجِّلاً شعره لابساً حلته يسير في جانب الناس متعرضاً لك، فانكحي من شئت غيره، فإني لا أدع من الدنيا ورائي همًّا غيرك، وحلّفها بالأيمان المغلّظة من العتق والصدقة على ذلك.

فلما مات الحسن جرى الأمر على ما وصفه قبل وفاته، قال: وكان يقال لعبد الله بن عمرو بن عثمان المذكور: المطرّف، وذلك لحسنه وجماله، فرآها حاسرة وهي تضرب على وجهها فأرسل إليها يقول: لا تضربي وجهك فلنا به حاجة فارفقي به، فاسترخت يداها وعُرف ذلك في وجهها.

ثم عوضها مكان كلّ مملوك حلفت به مملوكين، ومكان كل شيء شيئين، ثم تزوجها فولدت له الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهو الذي قتله أبو جعفر المنصور[3]. وكانت وفاتها هي وأختها سكينة في سنة واحدة.

= تجيء يوم الجمعة إلى المسجد فتقوم بإزاء ابن مطير، فإذا شتم علياً شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحارس أن يضرب جواريها. وكانت سكينة عفيفة تجالس الأجلّة من قريش، وتجمع إليها الشعراء، وكانت ظريفة مزّاحة، وكانت من أحسن الناس شَعْراً، وكانت تصفف جُمّتَها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه.

(١) هو الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، الهاشمي، كبير الطالبيين في عهده، لقبه الحسن المثنّى. كان وصي أبيه وَوَلِيّ صدقة جده. إقامته ووفاته في المدينة. وكان عبد الملك بن مروان يهابه. اتّهم بمكاتبة أهل العراق وأنهم يمنّونه بالخلافة، فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك، فأمر عامله بالمدينة بجلده، فلم يجلده العامل وكتب للوليد يبرئه. وقيل للحسن: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فَعَلِيّ مولاه»، فقال: بلى، ولكن والله لم يعنِ رسول الله بذلك الإمارة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به. توفي سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، أبو عمر، كان من الفرسان المعدودين. صحب مسلمة بن عبد الملك في بعض وقائعه بأرض الروم، أبلى معه البلاء الحسن. هو من أهل مكة كان شاعر غزل مطبوع، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، كان مشغوفاً باللهو والصيد، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء، ومن الفرسان المعدودين. لقّب بـ«العرجي» لسكناه قرية العرج قرب الطائف. سجنه والي مكة محمد بن هشام في تهمة دم مولى لعبد الله بن عمر فلم يزل في السجن إلى أن مات سنة ١٢٠ هـ/ ٧٣٨ م.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، ابن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفّاح. أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. ويقال له: المرتضى، والقائم. ولد بالشراة سنة ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م ونشأ بها، وقام بدعوته أبو مسلم الخراساني. فبويع له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢ هـ. وصفا له الملك بعد مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين =

وذُكر أن الهادي العباسي[1] اشترى أَمَته أَمَة العزيز وهي التي تسمى «غادر» بمائة ألف دينار.

ويقال: إن الربيع أهداها له، قال: ولم يكن في زمانها أجمل منها ولا أحسن غناء ولا أجمع لكل فنّ يحتاج إليه مثلها.

قال: وكان الرشيد[2] يهواها ويكتم ذلك، وكان الهادي ينوّمها في حجره ولا يوقظها حتى تتنبّه من نومها لشدّة محبّته فيها.

بينما الهادي ذات يوم جالس معها إذ استؤذن عليه لأخيه هارون الرشيد، فأسرعت إلى بعض المواضع القريبة مستعجلة في مشيتها ودخل الرشيد على أخيه الهادي فسلم عليه وجلس بين يديه.

= في الشام. كان شديد العقوبة، عظيم الانتقام. تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبقَ منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس. لقّب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم. كانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سمّاها «الهاشمية»، وجعلها مقر خلافته هو أول من أحدث الوزارة في الإسلام، كان سخياً جداً. يوصف بالفصاحة، والعلم، والأدب. مرض بالجدري فتوفي شاباً في الأنبار سنة ١٣٦ هـ/ ٧٥٤ م.

(١) هو موسى (الهادي) بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. ولد بالريّ. وولي بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩ هـ، وكان غائباً بجرجان فأقام أخوه الرشيد بيعته. استبدّت أمه الخيزران بالأمر. أراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، فلم ترَ أمه ذلك فزجرها فأمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه، ودفن في بستانه بعيسى آباذ. مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر. كان طويلاً جسيماً أبيض في شفته العليا تقلُّص، شجاعاً، جواداً، له معرفة بالأدب والشعر.

(٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء بني العباس في دولتهم بالعراق، وهو أشهرهم. ولد بالرّيّ سنة ١٤٩ هـ/٧٦٦ م، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خُراسان. نشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني (Irene)، وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ، فقام بأعبائها، ازدهرت الدولة في أيامه. اتّصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقّب بشارلمان فكانا يتهاديان التحف. كان الرشيد عالماً بالأدب، وأخبار العرب، والحديث، والفقه، فصيحاً، شاعراً، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات. يلقب بجبّار بني العباس، حازماً، كريماً، متواضعاً، يحج سنة، ويغزو سنة، لم يُرَ خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء، والشعراء، والكتاب، والندماء. كان يطوف أكثر الليالي متنكراً. توفي في سناباذ من قرى طوس سنة ١٩٣ هـ/٨٠٩ م وقبره بها.

فقال له الهادي: يا هارون قد حدّثتني نفسي بشيء لم يزل يجول في فكري أياماً وقد تنغّص له عيشي. فقال له: وما هو يا أمير المؤمنين لا نغّص الله لك عيشاً؟

فقال له: يا هارون إنه قد وقع في خلدي أنني أموت قريباً، وأنك تتزوج امرأتي أمة العزيز من بعدي.

فقال له هارون الرشيد: يجعلني الله فداك من كل سوء، ويقدّمني قبلك يا أمير المؤمنين لا يخطر لك هذا على بال فبئس الظن هذا يا أمير المؤمنين، لا أسمعني الله فيك سوءاً ولا فجعني فيك.

فقال له الهادي: دعني من ذلك فهو ما أخبرتك، فقال هارون: فما الذي يزيل هذا من قلبك يا أمير المؤمنين.

فأخذ عليه واستحلفه: الأيمان، والعهود، والمواثيق، فأعطاه أخوه هارون الرشيد ما أراد من حلف بالطلاق، والحج ماشياً، والعتاق، والصدقة، وكل يمين مؤكّدة، فكان هذا مدعة لتسكين روع الخليفة المحتضر، فسكن ما بالخليفة الهادي من ذلك.

ثم ما لبث الهادي إلاّ أياماً قلائل ثم مات، فأرسل هارون الرشيد إليها من ساعته يعرض عليها الخطبة، فأذكرته ما كان حلف به فقال له: ما أهون ذلك، أحج، وأطلّق، وأعتق.

فطلّق زبيدة طلقة انعزل بها عنها، وأعتق حسيناً ومسروراً الخادمين، وتصدق بمائة ألف دينار، وحجّ ماشياً في تلك السنة.

قيل: إنه كانت تُفرش له كل ميل لبود ليطأها كي لا يصيبه إعياء. ويقال: إنه خرج في أول الحول فوصل في آخره، وتزوج أمة العزيز بعدما قضى حجه، فأقامت عنده يسيراً.

وبينما هي نائمة في حجره إذ انتبهت فزعة مرعوبة فاستخبرها عن شأنها، فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادي أخاك وقد أخذ بعضادتي هذا الباب وتأوّه وأنشأ يقول:

إنِ امـرءاً غـرّه منكـن واحـدة بعـدي وبعـدك فـي الـدنيـا لمغـرورُ
أنسيـت عهـدي ولـم تعبـأ بمـوثقتـي تبـاً لفعلـك والمفقـود مهجـورُ

فــلا تهنــى بمــا أصبحــت راضيــة   فكــل حــيّ علــى الحــالات مقبــورُ

قال: فأقامت في الدنيا بعد هذا كله عاماً. وقيل: شهراً. وقيل: جمعة، وماتت.

يروي أنس بن مالك[1] ـ رضي الله عنه ـ ويقول: أهدى بعض نساء النبي ﷺ له قصعة فيها ثريد وهو في بيت بعض نسائه، فضربت عائشة يد الخادم فانكسرت القصعة، فجعل النبي ﷺ يأخذ الثريد ويردّه في القصعة ويقول: **«كلوا غارت أمكم»**[2].

كان النبي ﷺ يذهب إلى البقيع، فتذهب خلفه عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فيقول لها ﷺ: **«أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله»**[3].

سأل رسول الله ﷺ عائشة ـ رضي الله عنها ـ يوماً: **«أغرت؟»**[4]، فتجيب: وما لي أن لا يغار مثلي على مثلك.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: دخلت على رسول الله ﷺ ذات يوم ومعه ولده إبراهيم، فقال: **«انظري يا عائشة شبهه بي»**[5]، فقالت: فحملني ما لحق النساء من الغيرة على أن قلت: ما أرى شبهاً.

وفي حديث عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبى»**.

قالت: فقلت فداك يا رسول الله أبي وأمي، ولكن من أين تعرف ذلك يا رسول الله؟

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة. صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة سنة ١٠ ق.هـ/ ٦١٢ م.
أسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قُبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ/ ٧١٢ م. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة.

(٢) أخرجه النَّسائي في السنن (٧: ٧١). وابن أبي شيبة في المصنف (١٤: ٢١٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٨٦٦٣). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (الجنائز ١٠٣). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤: ٤٢٤).

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ١٧). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ١٨). وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٣٤).

(٥) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٧٧٨). بمعناه.

قال: «**إذا كنتِ راضية تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ غضبى قلتِ: وربّ إبراهيم**»(١)، قالت: قلت والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كنت أغار في اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، فقلت: أتهبُ نفسها.

فلما أنزل الله تعالي الآية: ﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَۚ ﴾ [الأحزاب: ٥١]، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع هواك.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦: ٦١). والبيهقي في السنن الكبرى (١٠: ٢٧). وابن حجر في فتح الباري (٩: ٣٢٥). والبغوي في شرح السنة (٩: ١٦٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٢٤٥).
والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٣٥٣). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣: ٦١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٣٥٩).

المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **أصول المعاشرة الزوجية**، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠١.

٣ ـ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، د. حسن إبراهيم حسن، الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة، ١٩٦٤ م.

٤ ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية**، كارل بركلمن، دار العلم للملايين، د.ت.ن.

٥ ـ **تحفة العروس ونزهة النفوس**، محمد بن أحمد التجاني، تحقيق أبو هاجر، دار الجيل، بيروت، د.ت.ن.

٦ ـ **تحفة العروس**، إعداد سعيد صالح، دار ابن خلدون، د.ت.ن.

٧ ـ **تحفة العروس، أو الزواج الإسلامي السعيد**، تأليف محمود مهدي الإستانبولي، الطبعة السادسة، ١٩٨٥ م.

٨ ـ **حقوق الزوج والزوجة وأصول المعاشرة الزوجية**، صلاح سيف الدين، دار الروضة، د.ت.ن.

٩ ـ **الحياة الجنسية السليمة**، الدكتور هـ. و. لونك، ترجمة: الدكتور نوري الحافظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م.

١٠ ـ **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، زينب فوّاز، تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

١١ ـ **اللقاء بين الزوجين في ضوء الكتاب والسُنَّة**، عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.

١٢ ـ **المجتمع في العصر الأموي**، أسيمة العظم، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

١٣ ـ **مجلة الحياة الصحية**، السنة الرابعة، العدد السادس والأربعون، أيلول ـ سبتمبر ١٩٩٩ م.
١٤ ـ **موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف**، إعداد أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.
١٥ ـ **موسوعة الحضارة العربية**، بطرس البستاني، الجزء الأول، دار كلمات للنشر، ١٩٩٥ م.
١٦ ـ **واجبات الزوجة الجنسية**، كارل بلانشه.
١٧ ـ **وعاشروهن بالمعروف**، **سعيد عبد العظيم**، دار الفرقان، الإسكندرية، د.ت.ن.

فهرس المحتويات

الإهداء ٣
المقدمة ٥
باب في النساء ٧
ما يتقى من فتنتهن ٧
المودة والرحمة أساس الحياة ٨
الزواج في الإسلام ١٠
معنى الزواج وحكمه في الإسلام ١٠
فرض ١١
واجب ١١
سنة مؤكدة ١٢
مباح ١٢
مكروه ١٢
الغاية من الزواج في الإسلام ١٣
الزوج كما يريده الإسلام ١٤
الزوجة كما يريدها الإسلام ١٥
التحذير من النساء ١٩
باب في العفاف ٢١
باب في الحض على النكاح ٢٥
باب في تخيّر الرجل لنطفته ٣٣
باب في ما للرجل من النظر إلى المرأة ٤٥
باب في الوقت المستحب لعقد النكاح ٥١
باب في جلاء العروس عند ابتناء زوجها بها ٦١
باب في الزينة والتطيّب ٧٤
باب في زينة الرجل ٨٣
باب في معاشرة النساء ٨٧
باب في الأبكار والثيّب ١٠٢
باب في أوصاف النساء ١٠٩
باب في الأوصاف المحمودة في خُلق المرأة ١١٦
باب في ذكر أوصاف النساء تفصيلاً ١١٨
الشعر ١١٨
الجبهة والجبين ١١٩
الحواجب ١٢٠
العيون ١٢١
الأنوف ١٢٣
الخدود ١٢٤
الشفاه واللثاث ١٢٥
الثغور ١٢٧
الأعناق ١٢٨
الأنامل ١٢٩
النحور والصدور ١٢٩
الثدي ١٣١
الخصور ١٣٢
السرر ١٣٣
الفرج ١٣٤
الأرداف ١٣٨
السوق ١٤٠
الأقدام ١٤١
باب في الجماع ١٤٤
باب في ضروب النكاح ١٥٠

الرهز في الجماع ١٥١
المداعبة ١٥٣
اتحاد العضوين التناسليين ٥٥١
حركة العضوين التناسليين ١٥٦
هزة الجماع ١٥٧
أول اتصال جنسي ١٥٩
غشاء البكارة ١٦٠
الشفرتان ١٦١
البظر ١٦١
فتحة المهبل ١٦١
البكارة ١٦١
وجود الغشاء أو عدمه ١٦٢
إزالة غشاء البكارة من غير ألم ١٦٢
باب في الغيرة ١٦٤
الغيرة المحمودة ١٦٤
الغيرة غير المحمودة ١٦٥
نماذج من غيرة الرجال والنساء ١٦٥
المصادر والمراجع ١٧٣
فهرس المحتويات ١٧٥